أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

Alwaei Al-Islami

مجلة شهرية كويتية جامعة

العدد (٥٤٨) ربيع الآخر ١٤٣٢هـ - مارس- ابريل ٢٠١١م

الأبعاد الحضارية للتصنيف المعاصر في السيرة النبوية

الكويت تحتفل باليوبيل الذهبي لاستقلالها وذكرى التحرير الـ ٢٠ والذكرى الخامسة لتولي سمو الأمير الحكم

ملف العدد: العدل أساس العمران

جديد

إصدارات الوعي الإسلامي

هذا الإصدار السابع عشر لمجلة (الوعي الإسلامي)، يضم مجموعة من العلماء والأعلام الذين زاروا الكويت في فترات سابقة من أمثال الشيخ محمد رشيد رضا والشيخ عبدالعزيز العلجي والشيخ محمد البشير الإبراهيمي، وقد وقع الاختيار على ما يزيد عن تسعين شخصية ممن لهم آثار وحضور في الكويت أو العالم العربي والإسلامي ... الاصدار من تأليف أ. د. وليد عبدالله المنيس.

الافتتاحية

كرامة الإنسان

خلق الله تعالى الإنسان ماس الحاجة، ظاهر العجز، وجعل لنيل حاجته أسبابا، ولدفع عجزه حيلة، دلّه عليها بالعقل، وأرشده إليها بالفطنة، وجعل الله تعالى الإدراك والظفر موقوفا على ما قسم وقدّر، كي لا يعتمد خلقه في الأرزاق على عقولهم، وفي العجز على فطنهم، لتدوم لهم الرغبة والرهبة، والإسلام بتشريعه السامي، ومبادئه الخالدة، قد عالج مشكلة الفقر بحلول علمية، ونظم تشريعية، لتحقيق العيش الأكرم، والمستقبل الأفضل، لبني الإنسانية جميعًا، وقضى على الفقر والجهل والمرض والبطالة، بوسائل إيجابية متكاملة، تحقق للفرد سعادته، وللأسرة كفايتها، وللمجتمع سلامته، وللدولة ولايتها، عدل شامل يدعو إلى الألفة، ويبعث على الطاعة وتعمر به الأرض، وتثمر به الأموال، ويأمن به السلطان.. عدلت فأمنت فنمت. وليس شيء أسرع في خراب الأرض، ولا أفسد لضمائر الخلق من الجور، فالعدل باتباع الميسور، وحذف المعسور، وترك التسلط بالقوة، وأمن عام تطمئن إليه النفوس، ويسكن فيه البريء، ويأنس به الضعيف، فليس لخائف راحة، ولا لحاذر طمأنينة، وخصب دار تتسع النفوس به في الأحوال، ويشترك فيه ذوو الإكثار والإقلال، فيقل في الناس الحسد، وتكثر المواساة والتواصل، وأن يكون آحاد الشعب في كفالة جماعتهم، وأن يكون كل قادر أو ذي سلطان كفيلاً في مجتمعه يمده بالخير، لقوله ﷺ «المؤمن للمؤمن كالبنيان» وقوله«كمثل الجسد»، لهذا نجد أن الإسلام اهتم بوضع الحلول الاقتصادية، وسن النظم المالية، حتى يعيش الناس في تكافل العيش، وكرامة الحياة، فالإسلام يقدس العمل، ويحرم التواكل، فالمسلم الحق هو الذي يمضي في طريق الكفاح، ليحقق لأسرته ومجتمعه موارد العيش والنجاح، ولأمته سبيل التقدم والفلاح.

رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي

في هذا العدد

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

العدد ٥٤٨

العام الثامن والأربعون

ربيع الآخر ١٤٣٢ هـ

مارس - ابريل ٢٠١١ م

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

سكرتير التحرير

سليمان خالد الرومي

التحرير

تمام أحمد الصباغ

د. طاهر خذيري

عبادة السيد نوح

الإخراج والجرافيك

أبورواش زكي محمد

الإشراف الفني

الشركة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي

صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت - هاتف: ٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦

فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ - ٣٠١

البريد الالكتروني:

info@alwaei.com

manager@alwaei.com

المجلة غير ملزمة

بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر.

والمقالات لا تعبر بالضرورة

عن رأي الوزارة أو المجلة.

الكويت تحتفل باليوبيل الذهبي لاستقلال البلاد ٦

موضوع الغلاف

حجم نهضة الأمم لا يقاس بالزمن بقدر ما يقاس بالإنجازات الملموسة في شتى ميادين الحياة وهذا ما حققته الكويت خلال خمسين عامًا مضت على استقلالها.

مكتبة الجامع الكبير في صنعاء ١٢

الكوفية تاريخ عربي ورمز وطني ٨٠

التوزيع

وكيل التوزيع: المجموعة التسويقية لتوزيع الصحف والمطبوعات

هاتف: ٢٤٩١٩٦٢٠ - فاكس : ٢٤٨٣٩٤٨٧

- السودان . الخرطوم - العمارات - شارع ٧٣ - ص.ب ١١١٦ - دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع - ت: ١٨٣٤٩٥٧٧٠ (٠٠٢٤٩)
- اليمن - دار القلم للنشر- ف: ٤٦٩٤١٥ (٠٠٩٦٧١)
- لبنان - شركة نعنوع الصحفية - ت: ٦٥٣٢٥٩ (٠٠٩٦١١) ف: ٦٥٣٢٦٠
- سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت: ٢١٢٤٨٣١ (١١ ٠٠٩٦٣) ف: ٢١٢٨٦٦٤ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
- الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ - ت: ٤٦٣٠١٩١ (٠٠٩٦٢٦) ف: ٥٣٣٧٧٣٣
- مصر - القاهرة - شارع الجلاء . رمز بريدي ١١٥١١ - ت: ٢٧٧٠٥٠٦٦ (٠٠٢٠٢) ف: ٢٧٧٠٥٤١٣ - دار الأهرام
- المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢١٢) ف: ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة الشريفية
- مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت: ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف: ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع
- الإمارات العربية المتحدة - ت: ٢٦٨٣٨٥٣ ٠٠٩٧١٤ - شركة دار الحكمة للنشر والتوزيع
- المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت: ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف: ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع الشريفية للتوزيع والصحف
- سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذيبة . رمز بريدي ١٣٠ - ت: ٢٤٤٩٣٢٠٠ (٠٠٩٦٨) ف: ٢٤٤٩٣٣٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع
- قطر - الدوحة - ت: ٢٤٤٩٣٣٠٠ (٠٠٩٧٤) دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر.
- المملكة المتحدة - لندن - شركة يونفرسال ت : ٢٠٨٧٤٢٣٣٤٤ (٠٠٤٤) .

الأسعار

- الكويت : ٥٠٠ فلس
- السعودية : ٧ ريالات
- البحرين : ٥٠٠ فلس
- قطر : ٧ ريالات
- الإمارات : ٧ دراهم
- سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة
- الأردن : دينار واحد
- مصر : ٢ جنيه
- السودان : ٥٠٠ جنيه
- موريتانيا : ٢٠٠ أوقية
- تونس : ٢ دينار
- الجزائر : ١٠ دنانير
- اليمن : ٧٠ ريالا
- لبنان : ٢٠٠٠ ليرة
- سورية : ٣٠ ليرة
- المغرب : ١٠دراهم
- ليبيا : دينار واحد
- اوروبا : ١,٥ جنيه استرليني او مايعادله
- اميركا ودول العالم : ٣ دولارات أو مايعادلها.

المحتويات

٣	الافتتاحية: كرامة الإنسان	رئيس التحرير
٥	كلمة العدد: وقفة تقييمية	التحرير
٦	الكويت تحتفل باليوبيل الذهبي لاستقلال البلاد	التحرير
١١	رثاء/ د.محمد رجب البيومي في ذمة الله	التحرير
١٢	مكتبات - مخطوطات/ مكتبة الجامع الكبير في صنعاء	التحرير
١٤	مركز البحوث الكويتية	التحرير
١٨	حوار/ مع مفتي البوسنة مصطفى سيريتش	سليمان الرومي/ عامر أحمد
٢٠	ملف العدد: العدل أساس العمران	من مقدمة ابن خلدون
٢٠	ملف العدد: الفوضى المجتمعية	رشيد ناجي الحسن
٢٣	ملف العدد: دعوة لإجراءات عاجلة لتفادي المجاعة في العالم	التحرير
٢٤	ملف العدد: الظلم الاقتصادي وأثره في استقرار المجتمع	د.حسين شحاتة
٢٨	ملف العدد: مظالم العباد	محمد عبدالرحمن النجار
٣٠	ملف العدد: العدل أساس الملك	محمد الهنداوي
٣٣	أصبعي السادسة/ قيمة العدل	عبادة السيد نوح
٣٤	دراسات: التداوي في الإسلام	د. صالح النهام
٣٨	دراسات: نظرة الإنسان إلى الكون والحياة في الإسلام ٢/١	د. زغلول النجار
٤٢	دراسات: ضمانات شرعية لحقوق المتهم	السيد أحمد المخزنجي
٤٨	دراسات: الأبعاد الحضارية للتصنيف المعاصر في السيرة النبوية	د.خالد فهمي
٥١	ملف الأدب: رؤى نقدية (مقدمة)	التحرير
٥٢	ملف الأدب: منطلقات تعليم اللغة العربية في الوطن العربي	د. بليغ حمدي إسماعيل
٥٦	ملف الأدب: أثر السياق في التنوعات الأسلوبية في القرآن	عثمان اسماعيل حسين
٥٨	ملف الأدب: المغلف الأخير (قصة)	علي محمد محاسنة
٦٠	ملف الأدب: جناحا الثقافة الأدب والعلم	التحرير
٦٣	ملف الأدب: الاستشراق الأدبي والإسلام	محمود عبدالعزيز راضي
٦٦	أنباء الكتب الصعقة الغضبية	التحرير
٦٧	ملف الأسرة: الأسرة والتنشئة الوطنية (مقدمة)	التحرير
٦٨	ملف الأسرة: فن الحوار الناجح وإقناع الآخرين	تسنيم الريدي
٧١	ملف الأسرة: التكنولوجيا والعلاقات الأسرية	التحرير
٧٢	ملف الأسرة: خطوبة ناجحة.. خطوبة فاشلة	علي إبراهيم علي
٧٤	ملف الأسرة: الأسلوب الأمثل لعلاج الصدمة العاطفية	أميرة سليمان أبوجبة
٧٥	ملف الأسرة: رمزية الحجاب	إيمان القدوسي
٧٦	ملف الأسرة: الطفل الديكتاتور أو المستبد	بشرى شاكر
٧٩	ملف الأسرة: إغرسي الانتماء في نفوس أبنائك	د. محمد عيسوي الفيومي
٨٠	الكوفية تاريخ عربي ورمز وطني	د.رفيق حسن الحليمي
٨٢	منارات: جامعة دار الحديث المحمدية في باكستان	تركي محمد النصر
٨٤	طب: مشكلات النطق عند الأطفال	د. ناصر أحمد سنة
٨٧	أعلام: الشيخ أحمد نصيب المحاميد	التحرير
٨٨	فتاوى الوعي	التحرير
٩٠	التميز	خالد خلاوي
٩٢	جديد العلوم	هالة محمد
٩٤	بريد القراء	التحرير
٩٦	ينابيع المعرفة	التحرير
٩٨	مسك الختام: صناعة الرحيل	محمود القلعاوي

كلمة العدد

وقفة تقييمية

يتزامن صدور هذا العدد مع احتفالات دولة الكويت بالذكرى الخمسين لاستقلالها، وإذا كانت نهضة الأمم وتقدمها في عالمنا المعاصر تقاس بمدى اعتمادها على المواكبة لتطورات العصر وتقنياته والاستفادة منها في مسيرتها الحضارية مع التمسك بهوية الأمة وثوابتها، فإن الكويت ومنذ فجر استقلالها وضعت هاتين الركيزتين نصب عينها، وفي مقدمة اهتماماتها، وبنت على أساسها خططها الاستراتيجية والتنموية الأمر الذي مكنها أن تخطو خطوات نوعية سريعة في سلم الحضارة والرقي والتقدم.

إن المناسبات في تاريخ الأمم الحية نقاط انطلاق نحو أهداف جديدة ومحطات سريعة، وهذا ما تطمح إليه الكويت وتنوي تحقيقه بإذن الله لتؤدي دورها الإيجابي الفاعل في مسيرة الحضارة الإنسانية.

التحرير

الاشتراكات

- **داخل الكويت:** للأفراد ٧,٥ دنانير. للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- **الدول العربية:** للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- **دول العالم:** للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- **للمؤسسات:** ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

الكويت تحتفل باليوبيل الذهبي لاستقلالها وذكرى التحرير الـ ٢٠ والذكرى الخامسة لتولي سمو الأمير الحكم

التحرير

تعيش الكويت هذه الأيام الاحتفالات الوطنية بشكل مختلف وفريد من نوعه، حيث يصادف فبراير من هذا العام الذكرى الخمسين للاستقلال، والعشرين لتحرير الكويت، والخامسة لتولي سمو أمير الكويت مقاليد الحكم في البلاد.

تنطلق باكورة الاحتفالات الوطنية مع رفع سمو أمير البلاد الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح علم الكويت بالتزامن مع رفع العلم في جميع المحافظات، وسينقل تلفزيون الكويت هذا الحدث التاريخي للعالم عبر قنواته المختلفة.

ويبدأ احتفال الكويت باليوبيل الذهبي للاستقلال يوم ٢٦ فبراير من خلال إبراز الوحدة الوطنية في تلك الاحتفالات وتماسك الشعب الكويتي، لاسيما أن الكويت درة الخليج.

وتأتي الاحتفالات الوطنية بشكل مختلف عن السنوات السابقة، فهناك شعار تم تصميمه على شكل رقم ٥٠ وضع عليه عبارة «لو دامت لغيرك ما اتصلت إليك»، خاصة أن مثل هذه الكلمات المضيئة لابد أن نؤمن بها وتكون هي القاعدة التي نتحرك من خلالها.

نبذة عن الكويت

أسست دولة الكويت من مجموعة من القبائل بزعامة أسرة آل الصباح، وآل الصباح أسرة عربية كانت تعيش في منطقة الهدار بنجد، وتعتبر نجد منطقة صحراوية قليلة المياه والأعشاب، اعتمد السكان فيها على حرفة الرعي كأساس لمصدر الرزق، وأصاب نجد الجفاف فتنازعت القبائل المقيمة هناك على ما تبقى من المراعي القليلة، وأصبحت الحياة صعبة، فقرر آل الصباح الهجرة مع بعض الأسر من نجد إلى مكان أكثر استقرارا وأمنا وتتوافر فيه سبل العيش.

وقرر آل الصباح والأسر التي معهم الهجرة إلى قطر بعد أن استأذنوا أميرها بالنزول في بلاده فسمح لهم ورحب بهم، ومن خلال إقامة آل الصباح ومن معهم من القبائل في قطر تعلموا حرفا جديدة لم يعرفوها أثناء وجودهم في منطقة الهدار في شبه الجزيرة العربية، حيث ارتبطت هذه الحرف بالبحر، وبعد أن تمكن آل الصباح ومن معهم من القبائل من تعلم وممارسة الحرف البحرية وركوب البحر غادروا قطر بحرا متجهين إلى شمال الخليج العربي حيث نزلوا قرب كوخ أو حصن صغير يضع فيه الصيادون أسلحتهم وأدوات الصيد، يسمى الكوت، وحين استقر

المقام بآل الصباح والقبائل التي معهم بدأوا في بناء أساسيات الحياة حول هذا الكوت، فبنوا مسجدا، وسوقا، وبيوتا، وغيرها... ومنذ تلك الفترة بدأت الكويت تظهر حتى أصبحت دولة حرة ذات سيادة.

وعندما بدأت الحياة تزدهر في الكويت وتتسع مساحتها من منازل وأسواق هاجرت إليها جماعات من البادية والبلاد المجاورة، وبدأ الشعب الكويتي يفكر فيمن سيقوم بإدارة شؤون البلاد ويفصل في المنازعات بين سكانها فكان لابد من تعيين حاكم على دولة الكويت، واتفق سكان الكويت جميعهم على اختيار الشيخ صباح بن جابر زعيم آل الصباح حاكما لهم، وكان رحمه الله أهلا للإمارة لكرمه وعدله وإخلاصه وحكمته وحسن سيرته، ومنذ هذا التاريخ بدأ حكم آل الصباح لدولة الكويت.

ازدهار دولة الكويت وتطورها

منذ أن تولى آل الصباح حكم دولة الكويت نمت البلاد وازدهرت وزادت ثروتها بفضل جهود شعبها ونشاطه، وقد حرص حكامها على استقلالها ونشر الأمن والعدل فيها، وزادت الأطماع الأجنبية في السيطرة على دولة الكويت، فاضطر حكامها لبناء أسوار عديدة لحماية الوطن من الاعتداءات الخارجية، ففي عهد الشيخ عبدالله بن صباح بني السور الأول حول مدينة الكويت، ثم بني السور الثاني في عهده أيضا.

من جانب آخر يعتبر الشيخ مبارك الصباح بحق مؤسس دولة الكويت الحديثة وراعي نهضتها، فقد تولى الحكم في عام ١٨٩٦م وكان عهده حافلا بالأحداث المهمة، فقد عقد معاهدة عام ١٨٩٩م مع بريطانيا لحماية دولة الكويت من الأخطار التي هددتها آنذاك، وافتتحت في عهده أول مدرسة وهي المدرسة المباركية في عام ١٩١١م، وأسس أول مستشفى في العام نفسه، ومنح امتياز للتنقيب عن النفط، ثم تولى حكم دولة الكويت الشيخ سالم بن مبارك الصباح، وقد بذل الشيخ سالم جهودا ملموسة في سبيل تطوير وازدهار

التجارة، وأهم الأحداث في عهده بناء سور الكويت الثالث عام ١٩٢٠م، حيث أمر سموه ببناء السور بعد أن تعرضت دولة الكويت لغارات القبائل، وكان من أبرز الأحداث في عهد الشيخ سالم بن مبارك الصباح معركة الجهراء، حيث استطاع الكويتيون بقيادته الانتصار على القبائل المعادية بفضل شجاعتهم وبسالتهم وصبرهم وتضحيتهم ووقوفهم صفا واحدا.

وتميز حكم المغفور له الشيخ أحمد الجابر الصباح باستتباب الأمن والاستقرار، ودام حكمه فترة طويلة، ومن أبرز الأحداث في عهده قيام أول مجلس للشورى في دولة الكويت، واكتشاف النفط وإنتاجه وتصديره.

أما في عهد الشيخ عبدالله السالم الصباح فقد دخلت دولة الكويت مرحلة جديدة من التقدم والازدهار، وأخذت شكل الدولة العصرية الحديثة، وشهدت فترة حكمه إنجازات كثيرة منها: التوسع في نشر الخدمات التعليمية في دولة الكويت ودول الخليج العربية، وتأسيس شركة البترول الوطنية الكويتية، وإلغاء معاهدة عام ١٨٩٩م التي عقدت مع بريطانيا، وحصول دولة الكويت على استقلالها عام ١٩٦١م، كذلك انضمت دولة الكويت إلى جامعة الدول العربية عام ١٩٦١م، وإلى الأمم المتحدة عام ١٩٦٣م، وتم التصديق على دستور دولة الكويت عام ١٩٦٢م، وأجريت أول انتخابات نيابية، وافتتح أول مجلس أمة بعد الاستقلال في عام ١٩٦٣م، وواصلت دولة الكويت تقدمها في عهد الشيخ صباح السالم الصباح، وحققت الكثير من المكاسب والرفاهية لأبنائها، ففي عهد سموه افتتحت جامعة الكويت عام ١٩٦٦م، وتملكت الدولة شركات النفط العاملة في أراضيها ابتداءً من عام ١٩٧٥م، وأنشئت مؤسسة الكويت للتقدم العلمي عام ١٩٧٦م، كذلك عقدت دولة الكويت اتفاقات اقتصادية مع دول الخليج العربية، واشتركت دولة الكويت في العديد من المنظمات والهيئات العالمية.

أما سمو الأمير الراحل الشيخ جابر الأحمد الصباح فقد تولى الحكم في نهاية عام ١٩٧٧م، وقد كان رحمه الله يتمتع بخبرة واسعة في إدارة شؤون الحكم لتقلده العديد من المناصب الحكومية العليا، ومن أبرز إنجازاته المحلية إصدار قانون الخدمة الإلزامية (التجنيد) عام ١٩٧٨م، وإنشاء مجلس الخدمة المدنية عام ١٩٧٨، أما على صعيد السياسة الخارجية فقد وضع أساس التعاون الخليجي عندما نادى بإنشاء مجلس التعاون لدول الخليج العربية الذي أسس في عام ١٩٨١م.

الاستقلال

حصلت دولة الكويت على الاستقلال في عهد الشيخ عبدالله السالم الصباح في عام ١٩٦١م، حيث طلبت الكويت من بريطانيا إلغاء معاهدة ٢٣ يناير١٨٩٩م المعقودة بينهما، وبدأت مرحلة جديدة من التقدم والازدهار وأخذت شكل الدول العصرية، وحين استقلت دولة الكويت عام١٩٦١م أصدر سمو الأمير المغفور له الشيخ عبدالله السالم الصباح مرسوما أميريا يقضي بانتخاب أعضاء المجلس التأسيسي الذي وضع دستور دولة الكويت الدائم.

وصدق الشيخ عبدالله السالم الصباح على الدستور في نوفمبر عام ١٩٦٢م، وفي يناير عام ١٩٦٣م انتخب أول مجلس أمة بعد الاستقلال، ويتألف مجلس الأمة من خمسين عضوا ينتخبون بصورة مباشرة

من أفراد الشعب ويمثلون جميع محافظات دولة الكويت.

وينص دستور دولة الكويت على أن:

- الكويت دولة عربية مستقلة ذات سيادة تامة.
- شعب الكويت جزء من الأمة العربية.
- لغة الدولة الرسمية هي اللغة العربية.
- دين الدولة الإسلام والشريعة الإسلامية مصدر رئيسي للتشريع.

العيد الوطني

أعلن استقلال دولة الكويت في التاسع عشر من شهر يونيو عام ١٩٦١م في عهد المغفور له الشيخ عبدالله السالم الصباح الذي تولى الحكم عام ١٩٥٠م، وكان عيد جلوس سموه في الخامس والعشرين من شهر فبراير، فاتفق على أن يجمع العيدان في يوم واحد، ومنذ ذلك الحين ودولة الكويت تحتفل بعيدها الوطني في الخامس والعشرين من فبراير من كل عام.

الاحتلال والصمود والتحرير

دخلت القوات العراقية الآثمة أراضي

أرسى الشيخ عبدالله السالم (رحمه الله) دعائم الدولة داخلياً بإنشاء المؤسسات الدستورية

دولة الكويت في الثاني من أغسطس عام ١٩٩٠م واحتلتها لمدة سبعة أشهر، ولكنها وجدت مقاومة شديدة ورفضا تاما من أبناء دولة الكويت جميعهم الذين قاوموا احتلال النظام العراقي البائد بشتى الوسائل العسكرية والمدنية، وتعددت أشكال المقاومة ضد الاحتلال العراقي البائد، حيث تشكلت فرق المقاومة العسكرية التي ألحقت أكبر الضرر بالقوات العراقية، كذلك اشتدت المقاومة المدنية التي تمثلت في الامتناع عن العمل في الوزارات والمؤسسات الحكومية، ولم يلتحق الطلاب بالمدارس والكليات ورفضوا كذلك تبديل أرقام سياراتهم وبطاقاتهم المدنية بأخرى عراقية.

وعانت كثير من الأسر الكويتية من قسوة الاحتلال وأساليبه الهمجية، فقد تعرض الكثير من أبنائها للتعذيب، كما استشهد الكثير من أبنائها البررة ووقع آخرون أسرى في أيدي الغزاة، مما جعل الأسر الكويتية جميعها تهب للتناصر فيما بينها مقتدين بما كان يفعله أجدادهم وآباؤهم من عادات وتقاليد حسنة، فقد شارك الكثير منهم في توزيع الغذاء والملابس والنقود على المحتاجين.

ولقد وقفت دول مجلس التعاون الخليجي والدول العربية ودول العالم الصديقة مع دولة الكويت ضد الاحتلال، وأدانته، حيث طلبت انسحاب القوات العراقية من دولة الكويت، وعودة الحكم بقيادة صاحب السمو أمير البلاد وولي عهده الأمين وحكومته الرشيدة، ولكن لم يستجب الحاكم العراقي لطلب الانسحاب.

لذلك قرر مجلس الأمن استخدام القوة ضد النظام العراقي لرفضه الانسحاب ففي ١٧ يناير عام ١٩٩١م بدأت حرب تحرير دولة الكويت بتعاون قوات التحالف الصديقة

والشقيقة، وتم تحرير دولة الكويت من براثن الغزو العراقي الغاشم في يوم ٢٦ فبراير عام ١٩٩١م.

تاريخ الكويت

يرجع تاريخ الكويت إلى أكثر من ٤٠٠ عام حينما استوطنها آل الصباح والعتوب عام ١٦١٣م، وذكر حاكم الكويت الشيخ مبارك الصباح في رسالته المؤرخة عام ١٩١٢م للمقيم البريطاني في الخليج ما نصه «الكويت أرض قفراء نزلها جدنا صباح ١٠٢٢هـ»، وتدل الآثار على أن تاريخ المنطقة ككل يرجع إلى ما قبل الميلاد حيث استوطنت جزيرة فيلكا من قبل الهيلينستيين في القرن السادس قبل الميلاد ثم استولت قوات الإسكندر الأكبر على الجزيرة، والتي أطلق عليها اليونانيون اسم إيكاروس.

في القرن السادس عشر أسست المدينة، وكان غالب سكانها منذ تأسيسها يمتهنون الغوص على اللؤلؤ والتجارة البحرية بين الهند وشبه الجزيرة العربية، الأمر الذي ساعد في تحويل الكويت إلى مركز تجاري في شمال الخليج العربي وميناء رئيسي لكل من شبه الجزيرة وبلاد الرافدين، وقد بلغت مهنة الغوص ذروتها زمن حكم مبارك الصباح إذ بلغ عدد السفن بالكويت قرابة الثمانمائة سفينة.

بعد اكتشاف النفط وبدء تصديره في منتصف القرن العشرين، شهدت مدينة الكويت وقراها نهضة عمرانية واسعة فكان ذلك نقطة تحول في تاريخ الكويت، حيث هدم سور مدينة الكويت واستوطن البدو الرحّل وتغير نمط البناء والحياة بشكل عام.

وعلى الرغم من أن الكويت حكمها ١٥ شيخا منذ عام ١٦١٣م حتى اليوم، فإن الشيخ مبارك الصباح (١٨٩٦- ١٩١٥) يُعتبر المؤسس الحقيقي والفعلي للدولة، وقد نص الدستور الكويتي في مادته الرابعة على أن جميع حكام الكويت من بعده هم من ذريته بأبنائه وأبناء أبنائه.

وقفت دول مجلس التعاون الخليجي والدول العربية ودول العالم الصديقة مع دولة الكويت ضد الاحتلال

حكام الكويت

الشيخ صباح الأول بن جابر (١٧٥٦- ١٧٦٢).
الشيخ عبدالله الأول (١٧٦٢- ١٨١٢).
الشيخ جابر الأول (١٨١٢- ١٨٥٩).
الشيخ صباح الثاني (١٨٥٩- ١٨٦٦).
الشيخ عبدالله الثاني (١٨٦٦- ١٨٩٢).
الشيخ محمد الأول (١٨٩٢- ١٨٩٦).
الشيخ مبارك الصباح (١٨٩٦- ١٩١٥).
الشيخ جابر الثاني (١٩١٥- ١٩١٧).
الشيخ سالم المبارك (١٩١٧- ١٩٢١).
الشيخ أحمد الجابر (١٩٢١- ١٩٥٠).
الشيخ عبدالله السالم (١٩٥٠- ١٩٦٥).
الشيخ صباح السالم (١٩٦٥- ١٩٧٧).
الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح (١٩٧٧- ٢٠٠٦).
الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح (٢٠٠٦- حتى الآن).

الشيخ عبدالله السالم الصباح

الشيخ عبدالله السالم الصباح هو مؤسس دولة الكويت الدستورية، فقد دشن أول برلمان في البلاد وهو الحاكم الحادي عشر من أمراء آل الصباح، وكان أول استثناء لمبدأ تعاقب الحكم بين أسرتي الجابر والسالم في الستينيات عندما خلف الشيخ عبدالله أخوه الشيخ صباح السالم (والد وزير الخارجية الحالي) في الفترة من (١٩٦٥- ١٩٧٧)، وفي عام ١٩٧٧م عادت الإمارة إلى أسرة الجابر وتولى الشيخ جابر الأحمد الصباح الحكم.

ولد الشيخ عبدالله السالم في عام ١٨٩٥، وفي عهد الشيخ أحمد الجابر (١٩٢١- ١٩٥٠) تولى رعاية شؤون البلاد الإدارية والمالية قبل أن يتولى في عام ١٩٥٠ ولاية الإمارة التي أصبحت في عهده دولة مستقلة ذات سيادة تامة يحكمها نظام دستوري، وجاءت هذه التطورات في فترة شهدت فيها الكويت تدفق العائدات النفطية، وعم الرخاء الاقتصادي الكويت مع تزايد إنتاج النفط، واتجهت البلاد إلى نهضة عمرانية شاملة كان وراء مسيرتها شخصية الأمير الشيخ عبدالله، فقد تولى رئاسة المجلس التشريعي ثم رئاسة مجلس الشورى، كما ترأس الكثير من الجمعيات الأدبية والعلمية وأشرف على مالية الكويت.

وإن كان الشيخ مبارك الصباح حافظ على مكانة الكويت السياسية والدولية، فإن الشيخ عبدالله السالم الصباح أرسى دعائمها داخليا بالمؤسسات الدستورية والقانونية، ففي عهده..

• انتشر التعليم وزودت المدارس بالأجهزة والوسائل التعليمية الحديثة وأنشئت معاهد المعلمين والمعاهد الخاصة للمعوقين.

• وتم تأمين العلاج للمواطنين والمقيمين مجانا، وأنشئت المستوصفات والمراكز الصحية ومستشفى الصباح النموذجي

• كما أنشئت أكبر محطة لتقطير مياه البحر، وأنشئت محطة كبيرة لتوليد الكهرباء، وبنيت المساكن لذوي الدخل المحدود، ونظمت المساعدات المالية لذوي الحاجة.

• نشطت التجارة في عهده في الميادين شتى.

• شهد عام ١٩٦١م في عهده استقلال الكويت وإلغاء معاهدة الحماية المبرمة مع بريطانيا عام ١٨٩٩م واستعيض عنها بـ معاهدة صداقة وتعاون، وأصبحت الكويت دولة مستقلة ذات سيادة وعضوا في جامعة الدول العربية في يوليو/ تموز ١٩٦١م.

• شكلت في عهده أول وزارة في الكويت بعد الاستقلال، وأجريت انتخابات عامة لاختيار عشرين عضوا يكونون المجلس التأسيسي الذي اضطلع بمهمة وضع الدستور.

• أجريت في عهده انتخابات لاختيار أول مجلس أمة بعد الاستقلال في يناير/ كانون الثاني ١٩٦٣م وتوالت بعد ذلك المجالس النيابية.

• تبادلت الكويت في عهده التمثيل الدبلوماسي مع معظم دول العالم، وانضمت إلى هيئة الأمم المتحدة في ١٩٦٣/٥/١٤م.

• صدر في عهده أول دستور كويتي.

الشيخ صباح الأحمد الصباح

تمّت مُبايعة سموه بالإجماع أميرًا لدولة الكويت في ٢٩ يناير ٢٠٠٦.

صدر مرسوم أميري بتاريخ ٢٠٠٣/٧/١٣م بتعيينه رئيسا لمجلس الوزراء.

وُلي منصب النائب الأول لرئيس مجلس الوزراء ووزير للخارجية في ١٨ أكتوبر ١٩٩٢م.

عيِّن نائبا لرئيس مجلس الوزراء ووزيرا للخارجية في ٣ مارس ١٩٨٥م.

عين وزيرًا للإعلام بالوكالة بالإضافة إلى منصبه نائبا لرئيس مجلس الوزراء ووزيرًا للخارجية في الفترة من ٤ مارس ١٩٨١م وحتى ٩ فبراير ١٩٨٢م.

عين نائبا لرئيس مجلس الوزراء بتاريخ ١٦ فبراير ١٩٧٨م إضافة إلى منصب وزير الخارجية.

عين وزيرا للإعلام بالوكالة في الفترة من ٢ فبراير ١٩٧١م وحتى ٣ فبراير ١٩٧٥م إضافة إلى منصبه وزيرا للخارجية.

تولى منصب وزير الخارجية ابتداء من ٢٨ يناير ١٩٦٣م واستمر متقلدا هذا المنصب في جميع الوزارات التي شكلت منذ عهد الاستقلال وحتى ٢٠ إبريل ١٩٩١م.

عين وزيرا للإرشاد والأنباء في ١٧ يناير ١٩٦٢م.

عين رئيسا لدائرة الشؤون الاجتماعية والعمل ودائرة المطبوعات والنشر عام ١٩٥٥م.

الوزير الحماد يفتتح معرض «إصدارات الأوقاف» الثالث احتفالا بالأعياد الوطنية

افتتح نائب رئيس مجلس الوزراء للشؤون القانونية وزير العدل وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية المستشار راشد الحماد أخيرًا معرض «إصدارات الأوقاف» الثالث الذي يقام في مسجد الدولة الكبير احتفالا بأعياد الكويت الوطنية.

وعقب الافتتاح قام المستشار الحماد بجولة ضمن أرجاء المعرض اطلع خلالها على إصدارات الإدارات التابعة للأوقاف إضافة إلى الجهات المشاركة في فعالياته.

من جهته قال وكيل وزارة الأوقاف د.عادل الفلاح في تصريح صحافي: إن تنظيم المعرض يأتي انطلاقا من إستراتيجية الوزارة التي جعلت من التنمية كفريضة شرعية وضرورة بشرية ومن الشراكة المجتمعية ركنين أساسيين من أركانها.

وأضاف د.الفلاح أن «المعرض من شأنه المساهمة بتعزيز التنمية الثقافية للمجتمع في سبيل النهوض بوطننا العزيز الكويت ومن خلال مشاركة عدد من جمعيات النفع العام وغيرها من الجهات في مثل هذه الفعاليات».

وذكر أن المعرض يتضمن عرضا لكل إصدارات قطاعات الوزارة وإداراتها المختلفة وعلى رأسها «الموسوعة الفقهية» التي أصدرها قطاع الإفتاء والتي تعد مفخرة للكويت وللعالم العربي والإسلامي إضافة إلى إصدارات أخرى.

يذكر أن المعرض استمرت فعالياته خمسة أيام بمشاركة ٣٠ جهة من إدارات الوزارة إضافة إلى سفارات دول مجلس التعاون الخليجي ومنظمات المجتمع المدني وجمعيات النفع العام في الكويت.

د. محمد رجب البيومي في ذمة الله

التحرير

ودعت الأمة الإسلامية منذ أيام واحدًا من أعلام العالم الإسلامي هو الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومي رئيس تحرير مجلة الأزهر والأمين العام الأسبق لمجمع البحوث الإسلامية.

ولد الدكتور محمد رجب البيومي عام ١٩٢٣م في قرية الكفر الجديد التابعة لمدينة المنزلة بمحافظة الدقهلية بمصر، ونال عالمية الأزهر عام ١٩٤٩م، ودبلوم معهد التربية عام ١٩٥٠م، والماجستير عام ١٩٦٥م، والدكتوراه في الأدب والنقد ١٩٦٧م.

وقد تدرج في السلك الوظيفي الحكومي، فعمل مدرسًا بالمدارس الثانوية بالإسكندرية عام ١٩٤٨م، ثم بالفيوم، ثم انتقل إلى كلية اللغة العربية مدرسًا، فأستاذًا مساعدًا، فأستاذًا، فرئيسًا لقسم الأدب والنقد، فعميدًا للكلية، فأستاذًا متفرغًا.

كتب في مجلة الرسالة الشهيرة منذ عام ١٩٤٨م وكان صديقًا شخصيًا لأحمد حسن الزيات والإمام عبدالحليم محمود والشيخ محمود شلتوت، وهو تلميذ محمد فريد وجدي ومحب الدين الخطيب.

أعير البيومي إلى السعودية وكوّن صداقة قوية مع صاحب مجلة «المنهل»، وأثناء الإعارة فقد زوجته وألف ديوان «حصاد الدمع»، ثم بعد العودة عيّن عميدًا لكلية اللغة العربية بالمنصورة لمدة عشر سنوات، كما شغل منصب الأمين العام الأسبق لمجمع البحوث الإسلامية وأستاذ الأدب والنقد بكلية اللغة العربية.

من أبرز مؤلفات البيومي البيان القرآني، وخطوات التفسير البياني، والبيان النبوي، وأدب السيرة النبوية عند الرواد المعاصرين، والأدب الأندلسي بين التأثر والتأثير، والنقد الأدبي للشعر الجاهلي، وأحمد حسن الزيات بين البلاغة والنقد، وحديث القلم، وقطرات المداد، والتفسير القرآني، بالإضافة إلى بعض الدواوين الشعرية مثل ديوان «صدى الأيام»، وديوان «حنين الليالي»، و«من نبع القرآن»، و«فاتنة الخورنق» (قصة أدبية)، ومسرحية «انتصار» وغيرها... ومن الكتب التاريخية «الأزهر بين السياسة وحرية الفكر»، و«مواقف خالدة لعلماء الإسلام»، و«النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين» (٥ أجزاء)، و«ابن حنبل»، و«من القصص الإسلامي» (جزءان)، و«في ميزان الإسلام» (جزءان)، و«من منطلق إسلامي» (جزءان)، بالإضافة إلى أنه كتب منذ الخمسينيات بمجلات: الأزهر والهلال والرسالة والثقافة والأديب اللبنانية وجريدة صوت الأزهر.

– ومن الجوائز الأدبية التي حصل عليها:

جائزة شوقي بالمجلس الأعلى للفنون والآداب بمصر، سنة ١٩٦١م، عن المسرحية الشعرية «انتصار».

– نال جائزة مجمع اللغة العربية الأولى، عن المسرحية الشعرية «فوق الأبوة» سنة ١٩٦٢م.

جائزة مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٩٦٣م، عن ديوانه الشعري «صدى الأيام».

– جائزة مجمع اللغة العربية بالقاهرة الأولى سنة ١٩٦٤م، في الدراسات الأدبية عن كتاب «الأدب الأندلسي بين التأثر والتأثير».

– جائزة مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٩٦٥م، في التراجم الأدبية عن حياة «محمد توفيق البكري».

– جائزة مجمع اللغة العربية سنة ١٩٧٢م، عن المسرحية الشعرية «بأي ذنب».

– جائزة وزارة التربية والتعليم سنة ١٩٥٨م، عن المسرحية الشعرية «ملك غسان».

توفي- رحمه الله- يوم السبت الموافق الخامس من فبراير سنة ألفين وإحدى عشرة من الميلاد، ودُفن في مسقط رأسه، تاركًا من الذرية سبع بنات وولدًا واحدًا يعمل طبيبًا للأطفال.

ومن المعلوم أن الفقيد كتب في مجلة (الوعي الإسلامي) مقالات عديدة أبرزها: رسول معجزته البيان، تاريخ يجب أن نتجاوزه، نظرات في تفسير القرآن، مناقشة هادئة حول أصحاب الفيل، نظرات قرآنية، الأسبانيون يعترفون بحضارة الإسلام، مسجد الفسطاط وعبدالله بن عمر.

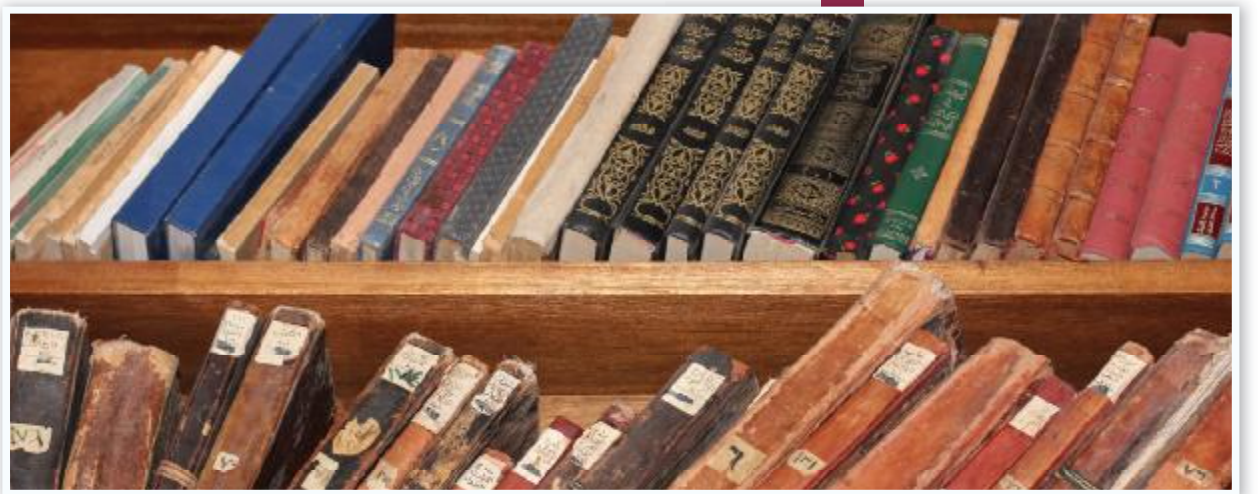

مخطوطات مكتبة الجامع الكبير في صنعاء

- وزارة الأوقاف والإرشاد اليمنية -

التحرير

في التراث اليمني تكثر المكتشفات وتزيد المخبوءات، وكل يوم يطالعنا البحث بعيون قيمة من روائع التراث اليمني، سواء كتب في اليمن أم ألف بأقلام يمنية.

وقد حفظت المكتبة اليمنية تراث الأمة بعد أن كاد يندثر، فظهرت الرؤية الصادقة لهذا التراث الإسلامي المهضوم، وكان للتراث اليمني أمجاد عظيمة في مجال الفكر الإسلامي، لم تكتشف بعد، وهي بحاجة إلى باحثين مهتمين متخصصين، يجدون لإظهار تلك المفاخر الموضوعية وبأمانة علمية.

لاقى التراث اليمني من التشريد والضياع ما نحن في غنى عن إعادته، وقد عرف هجرات كبيرة خارج وطنه الأصلي تعرض لها عن طريق السطو من ناحية وعن طريق البيع والمتاجرة به- من قبل من لا ضمير لهم- من ناحية أخرى.

وكما هو معروف فاليمن مشهور بثروته الخطية من خلال ما تقتنيه المكتبة اليمنية وغيرها من نفائس، لا من حيث الكم فقط وإنما كذلك من حيث الكيف، وقد رفع من قيمتها العلمية والمادية معا أن كثيرا منها بأقلام مؤلفيها أمثال العلامة محمد بن إبراهيم الوزير ٨٤٠هـ، والعلامة الشوكاني ١٢٥٠هـ، والعلامة ابن حجر العسقلاني ٨٥٢هـ... وغيرهم، كما أنه توجد على بعضها خطوط كثير من العلماء.

إن المخطوطات جزء من تراث الأمة، ووثيقة تاريخية تعكس الصورة الحضارية لأي أمة، ولأنها ذات أهمية يجب أن تبذل نحوها كل الجهود، وتوفر لخدمتها كل الإمكانات حفاظًا على تاريخنا وحضارتنا.

وزير الأوقاف القاضي حمود الهيتار

وفي العصر التركي الأخير (القرن الثالث عشر الهجري) كان لشغف الأتراك بنوادر المخطوطات أثر كبير في تسرب كتب أهل اليمن، وعرف من هؤلاء هواة كبار كالشيخ الجليل علي أميري الذي يقول عنه الأستاذ أيمن فؤاد السيد: «كان مجردا طول حياته في ابتياع الكتب، وكان دفتر دار للأتراك في اليمن، فبلغت الكتب التي ابتاعها منها

دائرة الأوقات

مدير المكتبة عبدالله الوشلي

نحو ألف مجلد».

وكان لجهد هذا الشيخ الجليل أثر كبير في التعرف على نوادر من المخطوطات اليمنية هي الآن محفوظة في تركيا.

وحدث ولا حرج عن قصة تسرب المخطوطات اليمنية إلى العالم، ويكفي أن نعلم أن أمهات من عيون التراث الإسلامي لم تعرف إلا عن طريق المكتبة اليمنية، ومن أهمها كتب ابن عبدالبر والتنوخي وغيرهم.

ولكنه مما يثلج الصدر أن ما تعرض للهجرة من المخطوطات هو محفوظ معتنى به في مكتبات أوروبا وتركيا، وهذا عام في أغلب الكتب التي اقتنتها المؤسسات العامة، أما ما حصل عليه أشخاص فإن أمره في ظل النسيان والله أعلم.

لقد كان من أمر وزارة الأوقاف اليمنية الجليلة، تحت رعاية القاضي حمود الهيتار، أن تلافت فداحة النقص الذي سبب الضياع والتلف، وقامت بإعادة فهرسة مكتبة الجامع الكبير في صنعاء (مكتبة الأوقاف).

وقد حاولت بقدر الإمكان تحاشي ما وقع من أخطاء فادحة في هذا المجال.. فتحرت الدقة في ضبط عناوين الكتب والمؤلفين، ولم تتساهل في تحديد كل كتاب حتى لا نقع في التكرار والخطأ.

ومن ثم جمعت لكل كتاب مخطوطاته ووصفتها وصفا دقيقا، وأعطت كل كتاب بمخطوطاته أرقامًا متسلسلة، فنقول مثلا، بعد إيراد عنوان الكتاب الأصلي ووصفه من إحدى المخطوطات الخاصة به نقول في حالة تعدد مخطوطاته: نسخة أخرى ثانية - ثالثة.. وهكذا.

ثم راعت الوزارة الدقة في أسماء المؤلفين، والبحث عن أسمائهم إذا كانت غير موجودة في بعض المخطوطات، وما أكثر المخطوطات التي لا تحمل أسماء مؤلفيها، أو أنها كتبت مضطربة أو ناقصة أو مبتورة، فكان جهدها في هذا العمل أن جندت كل ما لها من معرفة واطلاع والبحث عن أسماء مؤلفي تلك الكتب الحقيقية، ولم تكتف بثقافة الناسخ ومعلوماته إذ أكثرهم من محدودي الثقافة.

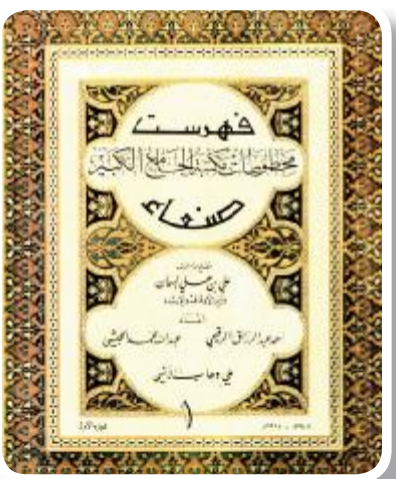
فهرست مخطوطات مكتبة الجامع الكبير صنعاء

ثم أضافت عملا آخر جديدا لا أظن أن أحدا قد سبقها إليه في مجال الفهرسة، وهو إلى أصحاب الخطوط من العملاء والأدباء والزعماء وسائر المشاهير...، فكان هذا العمل تكملة لما بدأه العلامة الجليل خير الدين الزركلي في كتابه «الأعلام» الذي حشد جملة وافرة من خطوط العلماء.

لقد حوت المكتبة في جملتها على ٢٤٠٩ مجلدات عدا المجاميع والكتب والرسائل داخل تلك المجلدات، وكانت المجاميع قد بلغت ١٢٤ مجلدا. وبلغت مجلدات علم التفسير وفروعه ٣٩٧ مجلدًا.

وعلم الحديث ٢٩٤ مجلدا.

وعلم الكلام ٢٥٤ مجلدا.

وعلم الفقه وفروعه ٨٥٧ مجلدا.

وعلم التصوف ٥١ مجلدا.

وعلم النحو واللغة والبلاغة والأدب ٤٣٧ مجلدا.

وعلم التاريخ ١٠٠ مجلد.

وعلم الطب ٦١ مجلدًا.

ومتفرقات ٩٦ مجلدًا.

هذا فيما يتعلق بالمجلدات، أما العناوين فهي أكثر من هذه الأرقام، وقد حوت المجاميع جملة وافرة من الرسائل والكتب، سيجدها القارئ في طيات الفهرست الخاص بالمكتبة.

مركز البحوث الكويتية

التحرير

يعد مركز البحوث والدراسات الكويتية أحد مصادر المعرفة للبحوث والدراسات المتعلقة بشئون الكويت السياسية والاقتصادية والأدبية وتراثها الحضاري، وبالإضافة إلى ذلك فإن هذا المركز يسهم في جمع الوثائق والكتب والدراسات والدوريات ذات الصلة بتراث الكويت وقضاياها وعلاقاتها الإقليمية والدولية والإفادة منها في التعريف بالكويت وهويتها العربية.

وقد تفضل أ. د. عبدالله يوسف الغنيم رئيس المركز - كعادته حفظه الله - بإرسال هاتين القصيدتين اللتين حصل عليهما المركز من مخطوطات محمد صالح العدساني تبينان أهمية هذا العمل في إبراز التراث الوطني الكويتي الثمين، لذا ارتأت المجلة نشرهما لتعميم الفائدة .

بسم الله الرحمن الرحيم هذا نظم للصور التي يجب على المسافر إتمام الصلاة فيها للشيخ عبدالعزيز بن عبدالرحمن الرزيني الحنبلي

يَا سَائِلِي نَظْمَ حَالَاتٍ يَكُونُ بِهَا
عَلَى الْمُسَافِرِ إِتْمَامٌ لَدَى الْبُصَرَا

اسْمَعْ لَهُ صُورَةً فِي الْعَدِّ يَتْبَعُهَا
عِشْرُونَ يَأْثَمُ مَنْ فِيهِنَّ قَدْ قَصَرَا

نَظَمْتُهَا يَا أَخَا الْإِتْقَانِ فَاعْنَ بِهَا
نَظْمًا يَفِي لَكَ بِالْمَقْصُودِ مُخْتَصَرَا

مَنْ مَرَّ يَوْمًا بِأَوْطَانٍ لَهُ وَكَذَا
بِبَلْدَةٍ لَهُ فِيهَا زَوْجَةٌ ذُكِرَا

أَوْ قَدْ تَزَوَّجَ فِيهَا يَا أَخِيَّ وَلَوْ
قَدْ كَانَ فَارَقَهَا فَاعْمَلْ بِمَا سُطِرَا

أَتَمَّ مِثْلَ الَّذِي فِي الْحَضْرِ أَدْرَكَهُ
وَقْتٌ لِمَفْرُوضَةٍ فَأَوْقَعَتْ سَفَرَا

أَوْ بَعْضُهَا فِيهِ وَالثَّانِي لَدَى وَطَنٍ
كَمِثْلِ رَاكِبِ فُلْكٍ تَسْبِقُ النَّظَرَا

أَوْ كَانَ أُنْسِيَ فَرْضًا وَهْوَ فِي حَضَرٍ
أَتَمَّ فِي سَفَرٍ فِيهِ لَهُ ذُكِرَا

أَوْ عَكْسُهُ مِثْلُ مَنْ قَدْ كَانَ مُقْتَدِيا
بِذِي مُقَامٍ وَمَنْ قَدْ شَكَّ فِيهِ جَرَى
مَجْرَاهُ أَوْ شَكَّ فِي أَثْنَائِهَا أَحَدٌ
أَعِنْدَ إِحْرَامِهَا نَوَى وَلَوْ خَبَرَا
أَوْ قَدْ أَعَادَ صَلاَةً قَبْلَ فَاسِدَةٍ
عَلَيْهِ إِتْمَامُهَا فَالْقَصْرُ قَدْ حُضِرَا
أَوْ كَانَ لَمْ يَنْوِ قَصْرًا عِنْدَ أَوَّلِهَا
أَوْ قَدْ نَوَاهُ وَلَكِنْ رَفْضَهُ ابْتَدَرَا
وَإِنْ يَكُنْ جَاهِلاً أَنَّ الإِمَامَ نَوَى
قَصْرًا فَبَعْضُهُمُ عَنْ قَصْرِهَا زَجَرَا
وَمَنْ نَوَى فِي مَكَانٍ أَنْ يُقِيمَ بِهِ
وَلَمْ يُقَيِّدْ فَبِالإِتْمَامِ قَدْ أُمِرَا
أَوِ الإِقَامَةُ يَا ذَا الْحَزْمِ أَكْثَرَ مِنْ
عِشْرِينَ مَفْرُوضَةً فَالْحُكْمُ قَدْ ظَهَرَا
أَوْ ظَنَّ ذُو حَاجَةٍ أَنْ لَا يُحَصِّلَهَا
فِيهَا فَإِتْمَامُهُ فِي الْكُتْبِ قَدْ ذُكِرَا
وَشَكَّ هَلْ قَدْ نَوَى إِقَامَةً بِمَكَا
نٍ تَمْنَعُ الْقَصْرَ فَالإِتْمَامُ قَدْ نُصِرَا
وَفِي الصَّلاَةِ مَتَى يَعْزِمْ عَلَى سَفَرٍ
لِقَصْدِ مَعْصِيَةٍ فَلْيُتْمِمِ الْقَصَرَا
أَوْ تَابَ مِنْهُ بِهَا أَوْ كَانَ أَخَّرَهَا
مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ مُبِيحٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَا
حَتَّى تَضَايَقَ عَنْهَا وَقْتُهَا فَهُنَا
إِتْمَامُهَا وَاجِبٌ فِي الْكُتْبِ قَدْ سُطِرَا
وَتَمَّ نَظْمِي لَهَا فَاحْفَظْهُ يَا عَضُدِي
فِي ظَهْرِ قَلْبِكَ كَيْمَا تَضْبِطَ الصُّوَرَا

بسم الله الرحمن الرحيم وقال الأقل صالح بن سيف: ليعلم الواقف على هذه الأبيات أن شيخنا الشيخ محمد بن فيروز أراد أن ينظم الشهداء في أبيات فنظم منهن اثني عشر بيتًا من أولها إلى «وقل شهيد ... الخ» وباقيها وهو أحد عشر بيتًا لي نظمتها مستعينا بالله تعالى.

اللـــهَ أَحْـــمَـــدُ فِـــي سِـــرِّيْ وَفِـــي جَـــهْـــرِيْ
حَـــمْـــدًا بِـــهِ أَرْتَجِـــي مِـــنْ وَاسِـــعِ الْـغَـفْـرِ
عَـــفْـــوًا وَغُـــفْـــرَانَ ذَنْـــبٍ مُـــثْـــقِـــلاً ظَـهْـرِي
وَخَـــتْـــمَـــهُ بِـــالْـــهُـــدَى الْـبَـــاقِـــيْ مِـــنَ الْـعُـمْـرِ
وَبَـــعْـــدَ حَـــمْـــدِي أُصَـــلِّـــيْ مَـــا جَـــرَى فَـلَـكٌ
عَـــلَـــى الـــرَّسُـــولِ الـــزَّكِـــيِّ الْـكَـــامِـــلِ الـشُّـكْـرِ
مُـــحَـــمَّـــدٍ خَـــيْـــرِ خَـــلْـــقِ الـــلّـــهِ قَـــاطِـــبَـــةً
شَـفِـيـعَـنَـا يَـــوْمَ جَـمْـعِ الـنَّـاسِ فِـــي الْـحَـشْـرِ
وَالْآلِ وَالـــصَّـــحْـــبِ مَـــنْ حَـــازُوا بِـــهِ شَـرَفًـا
مَـــادَامَ بَـــدْرُ الـسَّـمَـا فِـــي أُفْـــقِـــهِ يَـسْـرِي
وَبَـــعْـــدَ ذَا خُـــذْ هَـــدَاكَ الـلـه عِـــدَّةَ مَـنْ
سُـمِّـيْ شَـهِـيـدًا بِـنَـصِّ الْمُـصْـطَـفَـى تَـدْرِي
فَـهُـمْ قَـتِـيـلاَنِ فِـــي ظُـلْـمٍ وَمَـعْـرَكَـةٍ
وَذَانِ أَعْـــلاَهُـــمُ أُيِّـــدْتَ بِـــالـنَّـصْـرِ
وَمَـــنْـــعُ غُـــسْـــلٍ لِـــذَيْـــنِ وَالـــصَّـــلاَةِ مَـــعَ الـتَّـ
ـتَّـكْـفِـينِ خُـــذْهُ عَـــنِ الْـعَـلاَّمَـةِ الْـحَـبْـرِ
أَعْـــنِـــي الْمُـبَـجَّـلَ بَـحْـرَ الْـعِـلْـمِ سَـيِّـدَنَـا
إِمَـــامَـــنَـــا أَحْـــمَـــدًا مِـــنْ غَـيْـرِ مَـــا نُـكْـرِ
وَذَا لِـــمَـــنْ مِـــنْـــهُـــمَـــا فِـــي الْـحِـــينِ مَـوْتَـتُـهُ
وَإِنْ بَـقِـي اغْـسِـلْ وَكَـفِّـنْ وَادْعُ بِـالْـغَـفْـرِ
وَانْـــزِعْ جُـــلُـــودًا وَآلاَتِ الـــقِـــتَـــالِ وَلَا
تَـــغْـــسِـــلْ فَـــفِـــيـــهَـــا الْـحُـكْـمُ بِـالـطُّـهْـرِ

وَقُـــلْ شَـهِـيـدٌ فَـتـى قَـدْ مَـــاتَ مُـغْـتَـرِبًـا
وَمَـــنْ بِـبَـطْـنٍ وَطَـاعُـــونٍ وَمَـــا يَـجْـري
عَـلَـيْـه سُـــلٌّ وَذَاتُ الجَـنْـبِ مَـعْ غَـرَقٍ
كَـــذَا شَـريـقٌ حَـريـقٌ فَـاسْـتَـمِـعْ وَادْرِ
وَصَـاحِـبُ الْـهَـدْمِ وَالْمَـجْـنُـونُ ثُـمَّـتَ مَـنْ
مِـنَ الْجِـبَـالِ تَـرَدَّى فَـاحْـفَـظَـنْ خُـبْـرِي
وَنُـفَـسَـاءُ لَـدِيـغٌ ثُـمَّ بَـعْـدَهُـمُ
مُـرَابِـطٌ مَـيِّـتٌ فِـي سُـبُـلِ الـبِـرِّ
وَصَـابِـرٌ فِـي أَذَى الـطَّـاعُـونِ مُـحْـتَـسِـبًـا
وَصَـاحِـبُ الـلَّـقْـوَةِ افْـهَـمْ مَـا عَـسَـى تَـدري
كَـذَاكَ مَـنْ مَـاتَ فِـي حَـجٍّ وَفِـي طَـلَـبِ الـ..
عِـلْـمِ الـشَّـرِيـفِ الْـكَـثِـيـرِ الـنَّـفْـعِ وَالأَجْـرِ
وَأُمَـنَـاءُ إِلَـهِـي جَـلَّ عَـنْ وَلَـدٍ
فِـي الأَرْضِ هُـمْ عُـلَـمَـاءٌ فَـضْـلُـهُـم يَـسْـرِي
وَطَـالِـبٌ مَـوْتَـةً بِـنِـيَّـةٍ صَـدَقَـتْ
عَـلَـى الـشَّـهَـادَةِ مِـنْ مَـوْلَاهُ فَـاسْـتَـقْـرِ
كَـذَاكَ يَـا صَـاحِ مَـنْ رَمَـتْـهُ دَابَّـتُـه
فَـرِيـسُ سَـبْـعٍ فَـخُـذْ وَاحْـذَرْ مِـنَ الـشَّـرِّ
وَمَـنْ يُـقَـتَّـلُ دُونَ مَـالِـه وَكَـذَا
أَهْـيْـلِـه دَمِـه أَوْ دِيـنِـه الـيُـسْـرِ
كَـذَاكَ مَـظْـلِـمَـةٌ بِـكَـسْـرِ لَامَـةَ
ثُـمَّ عَـاشِـقٌ ذو عَـفَـافٍ كَـاتِمُ الـسِّـرِّ
فَـهَـذِه نُـبْـذَةٌ فِـي ضَـبْـطِـنَـا الـشُّـهَـدَا
وَأَحْـمَـدُ الـلّـه حَـمْـدًا دَائِـمَ الـشُّـكْـرِ

مفتي البوسنة والهرسك: العجم يشعرون بروحانية القرآن أكثر من بعض العرب

مسلمو البوسنة حجة على انتشار الإسلام بالإقناع لا بالسيف

حوار: سليمان الرومي وعامر أحمد عامر

حث المفتي العام الرسمي للبوسنة والهرسك مصطفى سيريتش جموع المسلمين على تحري الدقة والحيطة فيمن يأخذون عنهم الفتاوى، ودعا إلى ضرورة إقامة مرجعيات رسمية مختصة بذلك تكون ذات مصداقية لإفتاء الناس وعدم إلجائهم إلى غير المختصين. ودعا سيريتش في حوار خص به «الوعي الإسلامي» إلى ضرورة إعادة النظر في تقسيم الفقهاء القدامى للعالم إلى دار حرب ودار سلام، مؤكدًا أن هناك الآن ما يسمى دار عهد، وهي التي يعيش فيها الآن كثير من الأقليات المسلمة، ومنها المسلمون في البوسنة، لافتا إلى ضرورة استيعاب الشباب المسلم لحمايته من براثن المتطرفين، كما أشار إلى أن الصحوة الإسلامية في البوسنة في ذروتها الآن، وهي في طريقها للازدياد... وفيما يلي تفاصيل الحوار.

● بصفتكم المفتي العام الرسمي للبوسنة والهرسك.. كيف ترون مستقبل الفتوى الرسمية في ظل انتشار الفضائيات الإسلامية؟

– على المسلمين أن يتحروا الدقة والحيطة فيمن يأخذون عنهم الفتاوى، وليعلم الجميع أن تحليل الحرام وتحريم الحلال من أعظم الكبائر، والمفتي بغير علم يحمل إثمًا كبيرًا، كما أن جانبًا من المسؤولية كذلك ملقى على من يذهبون لأخذ الفتوى من غير المتخصصين، والله عز وجل يقول ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾، ولابد من وجود مرجعيات تضبط هذه الأمور، تكون على قدر عال من التخصص والقدرة على التطور المتلاحق لما يجري في العالم من حولنا، وتشكلها المؤسسات الرسمية التي تتمتع بالمصداقية والمرجعية.

● هلّا أطلعتم قراء «الوعي الإسلامي» على نظام الإفتاء في البوسنة؟

– هناك مجلس للفتاوى تابع للمشيخة، وبصفتي المفتي العام أرأس هذا المجلس الذي يتكون من ثلاثة عشر مفتيًا، ليسوا للبوسنة والهرسك فقط ولكن لكرواتيا وصربيا وسلوفونيا، وقد رأيت من الأفضل أن نعين أمينًا للفتوى ليتابع الأحداث، ويتلقى الفتاوى اليومية، ويصدر الفتاوى الرسمية، ونحن نجتمع كلما دعت الحاجة إما بطلب الأمين العام، أو بتكاثر الأسئلة أو غير ذلك، لمناقشة القضايا الكبرى التي تتعلق بالفتوى، ومن بين علماء هذا المجلس امرأتان، ونحن نميل في كثير من الأمور الفقهية إلى المذهب الحنفي، وهذا لا يمنعنا من النظر في بقية المذاهب المعتبرة الأخرى والأخذ بها في بعض المواطن، أما على المستوى العقدي فنميل إلى العقيدة الماتريدية (أهل السنة والجماعة).

● هل صحيح أن الصحوة الإسلامية تراجعت في البوسنة في الفترة الأخيرة؟

– إذا نظرنا إلى الوعي الإسلامي في البوسنة في الفترات ما قبل الحرب، وأثناء الحرب، وبعد الحرب ندرك أن الصحوة الإسلامية تعيش أقوى فترة لها الآن، فالشباب يملأ المساجد، وقد كنا من قبل لا نرى إلا كبار السن، لكن هذا لا يمنعنا أن نصير إلى الأفضل، ولا أدري على أي أساس بنى هؤلاء كلامهم حول ضعف الصحوة، وتبقى لهم الحرية في التعبير عن وجهات نظرهم.

● أين تقع البوسنة على خريطة العالم الإسلامي اليوم؟

– الفقهاء قديمًا قسموا العالم إلى دار السلام ودار حرب، أما نحن في البوسنة فنعيش في النوع الثالث وهو دار العهد، أو دار الصلح، ولذلك علينا نحن المسلمين أن نعيد النظر في هذا التقسيم مرة أخرى، لأن المسلمين الآن يعيشون في كل ركن في العالم، فلا يصح أبدًا أن نقول لهذه الأقليات هاجروا إلينا أنتم في دار حرب! وعلى أية حال هذا التقسيم ليس من القرآن ولا من السنة، بل هو من عندالفقهاء، وبناء على تجارب تاريخية.

● ماذا عن الهوية الإسلامية لمسلمي البوسنة في ظل ما يلقونه من تحديات من خلال العيش بين أغلبية غير مسلمة؟

– نعيش في البوسنة تحديًا كبيرًا في ظل تعدد الثقافات والحضارات والعقائد، ما يضطرنا أن نثبت كل يوم بشكل أو بآخر هويتنا الإسلامية، لكن هذا التحدي في الحقيقة ليس خاصًا بمسلمي البوسنة وحدهم، بل يواجهه المسلمون في العالم كله، ويتعاظم هذا التحدي في ظل الانفتاح الفضائي والإعلامي الذي يعيشه العالم اليوم، وهذا لا يمنع أن تكون الأوضاع في البلاد ذات الأكثريات المسلمة مختلفًا عنه في البلاد ذات الأقليات، فنحن نواجه بعض الكراهية والأحقاد ونسمع بعض

لقطة من الحوار

من المسلمين جاهلون بالإسلام أكثر من الآخرين.. والقرن الـ ٢١ روحاني بالدرجة الأولى

الكلمات التي قد تؤذينا في الإعلام ونعد ذلك نوعًا من الابتلاء.

الذي أود أن يعرفه قراء «الوعي الإسلامي» والعالم أجمع أن مسلمي البوسنة خير حجة على أن الإسلام لم ينتشر بالسيف، فلو أدخلونا إلى الإسلام بالسيف لسهل عليهم إخراجنا منه بالسيف أو بغيره، فنحن قدمنا للإسلام من دمائنا مائتي ألف شهيد من الرجال والنساء والأطفال، ولم يستطع أحد أن يزحزحنا عن ديننا المتجذر في أعماقنا، وقد احتفلنا في عام ٢٠٠٧ بمرور ستة قرون على دخول الإسلام إلى شبه جزيرة البلقان.

● ما الذي تقدمونه من أجل نشر الإسلام في الغرب الذي تعدون بوابة الإسلام إليه؟

- مازالت الشمس تطلع من الشرق، والله عز وجل لم يرسل نبيًا ولا رسولًا في أوروبا ولا الغرب، فنحن في الغرب ننظر إلى ما يأتي من الشرق من حكمة ورسالة وغيرهما، ومصير الإسلام في الغرب مرتبط بما يحدث في الشرق، ونحن ننتظر انبثاق الثورة الروحية الكبرى من الشرق، لأن الإنسان لديه احتياج جسدي واحتياج فكري واحتياج روحي، والقرن الواحد والعشرون سيكون روحيًا بالدرجة الأولى، لأن الحضارة الغربية تركز على الحاجات الجسدية والفكرية وتتغافل عن الحاجات الروحية وتتهاوى من هذه الناحية.

نعم نحن نبذل جهدًا كبيرًا لنشر الإسلام، وخير جهد يبذل من وجهة نظري هو القدوة الحسنة، والله تكفل بحفظ دينه وكتابه ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾، لكن يجب علينا أولًا وقبل أي شيء أن نحسن فهم الإسلام، لأن هناك من المسلمين من يجهل الإسلام أكثر مما يجهله غير المسلمين، ولذلك علينا أن نفكر في تعليم الإسلام للمسلمين قبل أن نعلمه لغيرهم، وكثير من الضرر الذي وقع على الإسلام جاء من المسلمين أنفسهم، وغير المسلمين حينما ينظرون إلى وضع المسلمين ينكرون عليهم فإذا ما قرأوا في القرآن والسنة والسيرة بتجرد ونزاهة أيقنوا أنه دين صحيح ودخلوا فيه من غير جهد من المسلمين.

● ماذا عن التبادل الرسمي للخبرات والثقافات بينكم وبين العالم الإسلامي؟

- التبادل الرسمي يكون من خلال الزيارات إلى دول العالم الإسلامي، بهدف فتح حوارات فكرية لنشر الدين الصحيح بين الشباب حتى لا ينتشر الفكر التكفيري والمتعصب بينهم، ونشيد في هذا الصدد بمشروع الوسطية الذي تقيمه الكويت في تجربة رائدة في العالم الإسلامي، وكذلك ندعو علماء العالم الإسلامي إلى القدوم إلينا بين حين وآخر، وفي شهر أبريل المقبل، إن شاء الله، تنظم وزارة الأوقاف في البوسنة بالتعاون مع المشيخة مؤتمرًا حول تدريب الأئمة والدعاة والوقوف على التجارب المختلفة في تنظيم الأوقاف بيت الزكاة... إلخ.

● علمنا أن خطبة الجمعة في البوسنة تبدأ في المقدمة باللغة العربية ثم تكون باللغة البوسنوية، فهل هناك جهود مبذولة لتعليم البوسنويين اللغة العربية؟

- أخبرنا وزارة الأوقاف والمؤسسات المعنية باللغة العربية أننا بصدد إنشاء دورات في اللغة العربية، وكذلك إنشاء أقسام في بعض جامعاتنا، تعنى بتخريج معلمين مختصين يقومون على تعليم اللغة العربية في المدارس الابتدائية، لتصبح العربية هي اللغة الثانية في البلاد يتحدث بها أهل البوسنة جميعا في غضون السنوات المقبلة، والآن عشرون في المائة من الشعب البوسنوي يفهمون خطب الجمعة باللغة العربية، وبعضهم يتفاعل مع الأدعية باللغة العربية ويبكي وهو لا يفهمها، والعجم المسلمون بصفة عامة يصغون إلى القرآن ويتأثرون به ويشعرون بروحانياته ربما أكثر من بعض العرب أنفسهم، ويقطعون بما لا يدع مجالًا للشك أنه منزل من عند الله.

العدل أساس العمران

إن الملك لا يتم عزه إلا بالشريعة، والقيام لله بطاعته، والتصرف تحت أمره ونهيه، ولا قوام للشريعة إلا بالملك، ولا عز للملك إلا بالرجال، ولا قوام للرجال إلا بالمال، ولا سبيل للمال إلا بالعمارة، ولا سبيل للعمارة إلا بالعدل، والعدل الميزان المنصوب بين الخليقة، نصبه الرب وجعل له قيمًا وهو الملك، والملك بالجند، والجند بالمال، والمال بالخراج، والخراج بالعمارة، والعمارة بالعدل، والعدل بإصلاح العمال، وإصلاح العمال باستقامة الوزراء، ورأس الكلّ بافتقاد المَلِك حال رعيته بنفسه، واقتداره على تأديتها حتى يملكها ولا تملكه.

فإذا انتزعت الحقوق من أهلها، وأعطيت لغير أهلها، ووقع الظلم على الناس؛ قلّت العمارة، وخربت الضياع، وهلكت الأموال، وتفرّقت الجنود والرّعية، وبإقامة العدل في القضاء والعمل تصلح أحوال الرعية، وتؤمن السُّبل، وينتصف المظلوم، ويأخذ الناس حقوقهم، وتحسن المعيشة، ويُؤدّى حق الطاعة، ويَرزق الله العافية والسلامة، ويقيم الدين، ويُجري السنن والشرائع في مجاريها.

والعدوان على الناس في أموالهم ذاهبٌ بآمالهم في تحصيلها واكتسابها، وعلى قدر الاعتداء ونسبته يكون انقباض الرعايا عن السعي في الاكتساب، والعمران إنما يكون بالأعمال، والظلم عام يشمل كلّ مَن أخذ ملك أحد أو غصبه في عمله، أو طالبه بغير حق، أو فرض عليه حقًا لم يفرضه الشرع، فجُباة الأموال بغير حقها ظلمة، والمعتدون عليها ظلمة، والمنتهبون لها ظلمة، والمانعون لحقوق الناس ظلمة، ووبال ذلك كله عائد على الدولة بخراب العمران.

وهذه هي الحكمة المقصودة للشارع في تحريم الظلم، وهو ما ينشأ عنه من فساد العمران وخرابه، وذلك مُؤْذن بانقطاع النوع البشري، وهي الحكمة العامة المراعية للشرع في جميع مقاصده الضرورية الخمسة من حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال.

(من مقدمة ابن خلدون)

الفوضى المجتمعية

رشيد ناجي الحسن

«أيها البعير لا تخاصمني إلى ربك فإني لم أحمّلك يوما ما لا تطيق»، كلمات قالها أبوالدرداء رضي الله عنه في حق بعير خشي على نفسه منه أن يكون خصمًا له يوم القيامة إن هو ظلمه فيقتص الله بعدله للبعير من جور العبد، مع ما لأبي الدرداء من صحبة وفضل وقدر.

إن نفوس الناس مهما أحيطت بالعظة البالغة، والكلمة الطيبة، والتربية المتزنة قد تطغى عليها في لحظة من لحظات الضعف أو الغفلة بواعث الغريزة، وتتمرد في وجدانهم دوافع الشر وعوامل الطغيان، وفي هذه الحالة تداس قيم وتنتهك حرمات ويستبد الظلم، وتقوم القوة مقام الموعظة.

والظلم من السجايا الراسخة في أغلب النفوس، وقد عانت منه البشرية في تاريخها المديد ألوان المآسي والأهوال، مما جهّم الحياة، ووسمها بطابع كئيب رهيب. قال تعالى: ﴿إن الإنسان لظلوم كفّار﴾ (إبراهيم: ٣٤) وقال كذلك: ﴿إنه كان ظلوما جهولا﴾ (الأحزاب: ٧٢).

ويُعدُّ الظلمُ من أخطر الآفات المهددة للمجتمعات البشرية بالانهيار والزوال والدمار، فما ساد الظلم في أي مجتمع من المجتمعات الإنسانية إلا وساده انتهاك حقوق الإنسان، وانعدام الاستقرار الاجتماعي، وسلب الحريات الفردية والعامة، وضياع الحقوق، وغياب العدل، وانتشار الفساد والمفسدين.

كما أن الظلم يسرع بزوال الأمم الظالمة و يعجل انهيارها لأنها تعمل عكس سنن الله تعالى في البقاء والتمكين وان كانت هذه الأمم تظن أنها بظلمها وعدوانها تعزز مكانتها وسلطانها. لذلك أعلن الله عز وجل في كتابه الكريم في أكثر من موضع أنه لا يحب الظالمين، فقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (آل عمران: ٥٧)، كما حذر القرآن الكريم من ممارسة الظلم، وتوعّد الظالمين بسوء العاقبة كما في قوله تعالى:﴿إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (الأنعام: ٢١)، وقوله تعالى:﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ (الشعراء: ٢٢٧).

ولمَّا كانَ الظُّلمُ والعُدوانُ مُنافِيَين للعدْلِ والحقّ الذي اتّصفَ به الملكُ الديّانُ، ومنافِيَين للميزانِ الذي قامتْ به الأرضُ والسمواتُ، وحُكِمَ به قِسطاً وعدلاً بيْنَ جميعِ المخلوقات، كانَ الظُّلمُ والعُدوانُ عندَ اللهِ تعالى مِنْ أكبرِ الكبائرِ والمُوبقات، وكانتْ درَجتُهُ في الجُرْمِ والإثمِ بحسَبِ مفسدتِهِ في الأفرادِ والمُجتمعات. ويكفي في تحريمِ الظلمِ أنّ اللهَ تعالى ملكَ الملوكِ الجبارَ القهارَ حرّمَ الظلمَ على نفسه

إمام وخطيب في وزارة الأوقاف الكويتية

المقدسة والمنزهة عن الظلم، فقال سبحانه وتعالى في الحديث القدسي: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا» (مسلم).

وإنما حرّم اللهُ الظلمَ بين عباده ليحفَظوا بذلك دينَهم ودُنياهم، وليَصلَحوا بترك الظلم، وليُصلحوا آخرَتهم ودنياهم، وليتمّ بين العباد التعاوُن والتّراحمُ بترك الظّلم، وأداءُ الحقوق لله ولخلق الله تعالى. قال ابنَ خلدون رحمه الله: «واعلم أن هذه هي الحكمة المقصودة للشارع في تحريم الظلم وهو ما ينشأ عنه من فساد العمران وخرابه؛ وذلك مؤذن بانقطاع النوع البشري... ثم قال: فلما كان الظلم كما رأيت مؤذنا بانقطاع النوع لما أدى إليه من تخريب العمران كانت حكمة الخطر فيه موجودة فكان تحريمه مهمًا وأدلته من القرآن والسنة كثيرة» اهـ.

وقد أعلن النبيُّ ﷺ حرمة الظلم في أعظم مجمع وموقف، فقال في خطبته يوم عرفة: «ألا إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا»، وفي الصحيحين أنّ النبيّ ﷺ قال: «اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة» وقوله ظلمات: قيل على ظاهره فيكون ظلمات على صاحبه لا يهتدي يوم القيامة سبيلاً حتى يسعى نور المؤمنين بين أيديهم وبأيمانهم. ويحتمل أن الظلمات هنا الشدائد وبه فسروا قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ أي: شدائدهما، وقيل: إنها عبارة عن الأنكال والعقوبات. كما قال ﷺ: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره» رواه البخاري (٣/٩٨) ومسلم (٤/١٩٩٦).

إنّ تدمير الظلم لحياة البشر وتقويضه لصرح الأخوة الإسلامية أمر معلوم بالضرورة لا يحتاج إلى شرح وإيضاح..

الظلم يسرّع من زوال الأمم الظالمة ويعجل انهيارها

فإن المسلم إذا ظلمه أخوه المسلم سيحاول دفع الظلم عن نفسه ومن هنا يحدث النزاع والخصومات.. ولو فرض أن المظلوم صبر على ظلم ظالمه، فإنه لا يثق فيه ولا يأمنه على شيء من حقوقه.. ولهذا كان الظلم من أول ما يناقض الأخوة الإسلامية، فيجب اجتنابه والقضاء عليه للمحافظة على رابطة الأخوة الإسلامية.. فقوله ﷺ: «المسلم أخو المسلم» تقرير للأصل الذي يجب أن يكون بين المسلم والمسلم، وهو الأخوة الإسلامية المقتضية للود والصفاء وسلامة الصدور والنصح والتعاون بينهما.. وقوله بعد ذلك: «لا يظلمه» تحذير من أهم العوامل المناقضة لتلك الأخوة، وفي طليعتها الظلم أي أن يظلم المسلم أخاه المسلم... وفي قوله ﷺ: «ولا يسلمه» أنه يجب على المسلم ألا يسلم أخاه المسلم إذا ظلمه أحد، بل يجب أن يدفع عنه الظلم إذا كان قادرًا عليه.. فالمسلم ليس منهيًا عن ظلم أخيه المسلم فحسب، بل هو مأمور مع ذلك بدفع الظلم عن أخيه إذا صدر من غيره عليه ولا يسلمه له.

وإذا كان الظلم بهذه الخطورة الشديدة فلنتعرف على معناه، فقد عرفه أهل اللغة بأنه: وضع الشيء في غير موضعه المختص به إما بنقصان أو بزيادة وإما بعدول عن وقته أو مكانه، ومن هذا يقال: ظلمت السقاءَ: إذا تناولته في غير وقته، ويسمى ذلك اللبن ظليمًا. وظلمت الأرض: حفرتها ولم تكن موضعًا للحفر، وتلك الأرض يقال لها: المظلومة، والتراب الذي يخرج منها ظليم. (ابن منظور، ١٥/٢٦٦)، وفي ضوء هذه التعريفات يتبين لنا أنّ كل ذنب عُصي اللهُ به سواء كان ذلك الذنب شركًا بالله عز وجل أو دون ذلك من سائر المعاصي ومظالم العباد داخل في مسمى الظلم؛ لأنه وضع للشيء في غير موضعه الذي يرضاه الله عز وجل، مع التفريق بين ظلم أكبر وظلم دون ظلم.

قال ابن الجوزي: «الظلم يشتمل على معصيتين: أخذ مال الغير، ومبارزة الرب بالمخالفة، والمعصية فيه أشد من غيرها، لأنه لا يقع غالبًا إلا بالضعيف الذي لا يقدر على الانتصار، وإنما ينشأ الظلم عن ظلمة القلب، ولو استنار بنور الهدى لاعتبر» (كشف المشكل ٢/٥٥٩).

وبعد بيان معنى الظلم لنا أن نتساءل: ما بواعث الظلم؟ وما أنواعه؟ وكيف نعالجه؟ وهل للظالم من توبة؟ وما واجبنا تجاه الظالم؟

أما بواعث الظلم فمن مصادر شتى، فإن كان الباعث العداوة والحسد فيكون الظلم من رذائل قوة الغضب، وإن كان باعثه الحرص والطمع في المال، فيكون من رذائل قوة الشهوة.

وأما أنواع الظلم فهي ثلاثة:

الأول: أن يظلم الناسُ فيما بينهم وبين الله تعالى، وأعظمه الكفر والشرك والنفاق، ولذلك قال تعالى:﴿إن الشرك

لظلم عظيم﴾ (لقمان:١٣).

الثاني: ظلم بينه وبين الناس، وإياه قصد بقوله: ﴿وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (الشورى:٤٠)، وبقوله: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (الشورى: ٤٢) وهذا القسم هو ظلم العبد للعباد، وهو نوعان: ظلم بترك الواجب لهم، وظلم بالعدوان عليهم بأخذ أو بانتهاك حرماتهم. ومثاله ما ذكره النبي عليه الصلاة والسلام في قوله: «مَطْلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ»، يعني ممانعة الإنسان الذي عليه دَين عن الوفاء وهو غني قادرٌ على الوفاء ظلم، وهذا منع ما يجب؛ لأنّ الواجب على الإنسان أن يبادر بالوفاء إذا طلبه صاحبه، أو أجله وانتهى الأجل. إذا كان له قدرة، وإلا كان ظالماً والعياذ بالله.

الثالث: ظلم بين العبد وبين نفسه، وذلك بأن يوردها المهالك، وإياه قصد بقوله: ﴿فمنهم ظالم لنفسه﴾ (فاطر:٣٢)، وقوله على لسان نبيه موسى: ﴿رب إني ظلمت نفسي﴾ (القصص:١٦)، وكل هذه الثلاثة في الحقيقة ظلم للنفس، فإن الإنسان في أول ما يهمّ بالظلم فقد ظلم نفسه، وما أكثر ما قال الله عند ذكر العصاة والمذنبين والظالمين: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (النحل:١١٨). فالنفس البشريّة مَفطورة ومَجبولة على العبودية لخالقها وبارئها الحق، فمنه وجودها، وبأمره بقاؤها؛ فهو القيّم عليها في كل حين وعلى كل حال، فإذا صرفها صاحبُها عن ربّها، وأخضعها لغير مولاها، فيكون قد صدّها عن سبيل الرب الحقيقي كَرْهًا، وحرمها مُقتضى فطرتها الأصليّة، فتصبح النفس في هذا الوضع الشاذ مَظلومة.

● وأما علاج الظلم فمن العسير جدًا علاجه، واجتثاث جذوره المتغلغلة في أعماق النفس، بيد أنه من الممكن تخفيف حدته وتلطيف هواه، وذلك بالتوجيهات الآتية:

– تذكر تنزهه عزّ وجلّ عن الظلم:

الظلم لا يدوم ولا يطول وسرعان ما ينتهي ويزول وسيعلم الظالمون عاقبة الغرور

قال تعالى: ﴿من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد﴾ (فصلت:٤٦).

– تذكر ما جاء في مزايا العدل وجميل آثاره في حياة الأمم والأفراد، من إشاعة السلام ونشر الوئام والرخاء.

– النظر في سوء عاقبة الظالمين، واستقراء سيرَ الطغاة وما عانوه من غوائل الجور وعواقبه الوخيمة: قال تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا. ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ (مريم:٧١-٧٢).

– تقوية الوازع الديني، وذلك بتربية الضمير والوجدان، وتنويرهما بقيم الإيمان ومفاهيمه الهادفة الموجهة.

– عدم اليأس من رحمة الله، قال تعالى: ﴿إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾ (يوسف:٨٧).

– استحضار مشهد فصل القضاء يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون. ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون﴾ (الزمر: ٦٩-٧٠).

– الذكر والاستغفار، قال تعالى: ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون﴾ (آل عمران:١٣٥).

– كف النفس عن الظلم ورد الحقوق لأصحابها.

● وأما توبة الظالم وغيره فبابها مفتوح إذا توافرت شروطها، وأعيد حق الآدمي له، أو تحلل منه، قال تعالى ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (المائدة:٣٩).

● وأما واجبنا تجاه الظالم فيكون بما يلي:

– وجوب مناصحة الظالم وردعه ونصرة المظلوم، فعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: سمعت رَسُولَ اللّهِ ﷺ يقول: «مَن رَأَى مِنكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بيده فَإِنْ لم يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانه فَإِنْ لم يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِه وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ» (مسلم)، وعن أَنَس رضي الله عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ «انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أو مَظْلُومًا» قالوا: يا رَسُولَ اللّه هذا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ قال: «تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ» (البخاري).

– أن نعلم أن ترك الأخذ على يديه آذنٌ بعقوبة الجميع: فعن أبي بَكْرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه قال: أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية ﴿يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ وإني سمعت رَسُولَ اللّه ﷺ يقول «إِنَّ الناس إذا رَأَوُا الظَّالِمَ فلم يَأْخُذُوا على يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ الله بِعِقَابِه» (رواه أحمد (٣٠) وأبوداود (٤٣٣٨) والنسائي، وصححه ابن حبان).

وختاما: فالظلم لا يدوم ولا يطول، وسرعان ما ينتهي ويزول، وسيعلم الظالمون عاقبة الغرور، فالزمان عليهم سيدور، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ (إبراهيم:٤٢).

فاتقوا الله عباد الله، واحذروا مظالم العباد، وتحللوها فيما بينكم واتقوا ظلم بعضكم لبعض، قبل ألا يكون درهم ولا دينار، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله: «مَن كانت عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لأَخِيه فَلْيَتَحَلَّلْهُ منها فإنه ليس ثَمَّ دِينَارٌ ولا دِرْهَمٌ من قَبْلِ أَنْ يُؤْخَذَ لأَخِيه من حَسَنَاتِه فَإِنْ لم يَكُنْ له حَسَنَاتٌ أُخِذَ من سيئات أَخِيه فَطُرِحَتْ عليه». (البخاري، ٦١٦٩).

دعوة لإجراءات عاجلة لتفادي المجاعة في العالم

التحرير

نبه كبير المستشارين العلميين في الحكومة البريطانية إلى الحاجة الملحة لاتخاذ خطوات عملية لحماية الجيل القادم من أزمة غذائية طاحنة في العالم. وأفاد تقرير أعد بتكليف من الحكومة البريطانية أن هناك حاجة ملحة لاتخاذ إجراءات لتفادي المجاعة في العالم.

ويتوج التقرير دراسات استمرت سنتين وشارك فيها ٤٠٠ خبير من ٣٥ بلدا.

ويقول كبير مستشاري الحكومة البريطانية للشؤون العلمية، البروفيسور جون بادينجتون إن ما جاء بالتقرير المذكور لهو دليل على أن هناك حاجة ملحة لاتخاذ الحكومة خطوات فورية.

ويؤكد التقرير على ضرورة إجراء تغييرات في أساليب الزراعة، بينها تقديم محفزات للقطاع الزراعي للتعامل مع سوء التغذية.

ويوصي التقرير أيضا بتضييق نطاق إنتاج الأغذية التي تتطلب موارد كثيرة واستثمار ما يتوفر بفعل هذا الإجراء في إنتاج الطعام.

ويرى التقرير أن هناك ضرورة لانتهاج أساليب جديدة في الإنتاج الغذائي.

وقال بادينجتون لإذاعة بي بي سي: «نحن نعرف أن سكان العالم سيبلغون ٨،٣ مليار نسمة في السنوات العشرين القادمة، وأن ٦٥-٧٠ من السكان سيعيشون في المدن بحلول ذلك الوقت، وأنه سيكون هناك إقبال كبير على السلع الأساسية كالغذاء والماء والطاقة مع ارتفاع مستوى الرخاء، وذلك بموازاة زيادة عدد السكان».

وأضاف بادينجتون أن لدى العالم ٢٠ سنة لتأمين زيادة في المواد الغذائية بنسبة ٤٠ في المائة وفي الماء العذب بنسبة ٣٠ في المائة وفي الطاقة بنسبة٥٠ في المائة.

وقال إن العالم لا يستطيع أن ينتظر ٢٠ سنة أخرى ولا حتى ١٠ سنوات، فالموضوع ملح.

تغييرات جذرية

وكان البروفيسور بادينجتون الذي كلف الخبراء بإعداد الدراسة من أوائل من حذر من تأثيرات زيادة عدد السكان والتغير المناخي وتراجع مصادر الإنتاج الغذائي.

وينص التقرير على ضرورة إجراء تغييرات جذرية في نظام إنتاج الغذاء، ويوصي بانتهاج أسلوب للإنتاج الغذائي قابل للاستمرارية.

ويرى التقرير أن نظام الإنتاج الغذائي يعمل لمصلحة الغالبية، ولا يأخذ بالاعتبار الشريحة المهمشة.

ويقول بروفيسور بادينجتون إن مليار شخص يأكلون أكثر مما يجب ويعانون من السمنة وهذا دليل على عجز نظام إنتاج الغذاء الحالي عن تأمين الصحة الجيدة لسكان العالم.

ويدعو معدو التقرير إلى صعود موضوع الغذاء والتغذية إلى مرتبة أعلى في الأجندة السياسية، وأن يأخذ اهتماما كالذي يحظى به التغير المناخي.

ويرى التقرير أن الأبحاث العلمية قد تستطيع المساعدة في حل المشكلة وأنه لا يجب استبعاد وسائل علمية كالتعديل الوراثي والاستنساخ.

ويدعو التقرير إلى حماية الشرائح الأكثر فقرا من الزيادة الحادة في الأسعار، ويلاحظ التقرير أن الصين استثمرت الكثير في قطاع الزراعة وهي الوحيدة التي استطاعت إنجاز هدف التنمية الألفي الرامي إلى تخفيض مستوى المجاعة إلى النصف.

الظلم الاقتصادي.. وأثره في استقرار المجتمع وأمنه

د.حسين حسين شحاتة

يقول العلماء وأساتذة الاقتصاد الإسلامي: إن الظلم الاقتصادي معناه ضياع الحقوق والمصالح، وهو من أشكال أكل أموال الناس بالباطل، ولقد نهى الله ورسوله عنه و أجمع على ذلك الفقهاء، ويترتب عليه الحياة الضنك، وهذا هو ما أشار الله إليه في كتابه الكريم:﴿فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا يضل ولا يشقى. ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا﴾ (طه: ١٢٣-١٢٤).

ولقد ظهر الظلم الاقتصادي بكافة صوره في المعاملات المعاصرة مثل: الربا والاحتكار وغلو الأسعار والجشع والاستغلال والرشوة والاختلاس والتطفيف في الكيل والميزان، والغش والمماطلة في أداء الحقوق، والمحسوبية، وتسلط المال والجاه، وضياع الحقوق المشروعة للفقراء في أموال الأغنياء... وغير ذلك من أشكال أكل أموال الناس بالباطل.

لقد نجم عن الظلم الإقتصادي الحياة الضنك ولا سيما للطبقة الفقيرة التي تعيش دون حد الكفاية، و أحيانا دون حد الكفاف، مما أدى إلى سلوكات من بعض الناس منها على سبيل المثال: السرقة والاختلاس وقبول الرشوة والخيانة للوطن والعنف والارهاب والتذمر وتنظيم المظاهرات السلمية وغير السلمية... ونحو ذلك، وهذا بدوره يقود إلى عدم استقرار المجتمع وأمنه.

وتحاول الحكومات علاج هذه الظاهرة بسياسات مختلفة تختلف من دولة إلى دولة، وما يصلح في مجتمع لا يصلح لمجتمع آخر، منها القمع والاعتقالات وإصدار القوانين الاستثنائية وإعلان حالة الطوارئ ونحو ذلك ولكن دون جدوى، فالعنف يولد عنفا، والقمع يولد انتفاضا، ويتساءل كثير من الناس: ما هو الحل؟

تدور هذه الدراسة حول منهج الإسلام في علاج قضية الظلم الاقتصادي بما يحقق استقرار المجتمع وأمنه ورخاءه وتكافله، وذلك في ضوء معايير وضوابط الشريعة الإسلامية.

من نتائج الظلم الاقتصادي بأشكاله المختلفة زعزعة المجتمع والتذمر والمظاهرات للتعبير عن الغضب

من أشكال الظلم الاقتصادي المعاصرة

لقد ورد في القرآن الكريم أن انتشار الظلم بكافة أشكاله من أسباب هلاك الأمم، ومن النماذج البارزة على ذلك في القرآن الكريم نموذج قوم شعيب الذين كانوا يطففون المكيال والميزان في المعاملات، ولقد وصفهم الله بالمفسدين في الأرض، ونموذج قارون الذي بغى بماله وقال إنما أوتيته عن علم عندي، وامتنع عن أداء الزكاة والصدقات، ونصحه قومه فقالوا له كما ورد في القرآن الكريم:﴿... وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين﴾ (القصص: ٧٧)، ونموذج أصحاب الجنة الذين أقسموا بألا يعطوا الفقراء حقهم في الحرث، ولقد وصفهم الله بأنهم كانوا ظالمين طاغين، وفي زماننا المعاصر توجد النماذج والأشكال نفسها.

ومن أشكال الظلم الاقتصادي المعاصرة و الظاهرة والمنتشرة على سبيل المثال:

- عدم العدالة في توزيع الدخول والثروات، وزيادة الغني غنا والفقير فقرا.
- الاحتكار وغلو الأسعار وعدم التوازن بين الأجور وتكاليف المعيشة الأصلية.
- الغش والتدليس والتطفيف في الكيل والميزان، والتزوير والمعاملات الوهمية.
- الرشوة والاختلاس والاعتداء على المال الخاص والعام دون حق شرعي.
- استغلال الجاه والسلطان والوظيفة للتربح والكسب دون حق مشروع.

الأستاذ بجامعة الأزهر - خبير استشاري في المعاملات المالية الشرعية

- خيانة الأمانة بكل صورها وما يترتب على ذلك من ضياع الحقوق.
- المحسوبية وعدم تكافؤ الفرص بين الجميع فقيرهم وغنيهم.
- بخس حقوق العمال بسبب القوانين الظالمة التي تنصف صاحب العمل على العامل.
- التعامل بالربا بصفة عامة وما ينجم عنه من ظلم ومحْق.
- عدم تطبيق نظم التكافل والتضامن الاجتماعي ولاسيما بالنسبة لأصحاب المعاشات.
- تقاعس الحكومات في حل مشكلة البطالة والعنوسة والمديونية والمرض وغيرها.

ولقد حرّمت الشريعة الإسلامية كل الأشكال السابقة بأدلة من الكتاب والسنة؛ لأنها جميعا تدور حول جريمة أكل أموال الناس بالباطل، وبخس الناس حقوقهم، ولاسيما الفقراء، ولقد تناولها الفقهاء بالتفصيل وبيان العلل من تحريمها، ومن تلك العلل أنها تؤدي إلى ضياع الحقوق وهلاك المال والأعيان والموارد، وكل هذا يقود إلى التخلف والفقر والحياة الضنك، والتي أشار إليها الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا﴾ (طه: ١٢٤) ومن آثارها: التذمر والمظاهرات والانتفاضات الشعبية من جانب المظلومين المقهورين، ويقابله من الناحية الأخرى القمع والاعتقالات والسجن والعنف من جانب النظم الحاكمة، وهذا وذاك يؤديان إلى عدم استقرار في المجتمع وأمنه، وهذا هو السائد في الواقع المعاصر في معظم دول العالم الغنية والفقيرة، والكبيرة والصغيرة، والمتقدمة والمتخلفة.. فما هو العلاج والحل؟

أسباب الظلم الاقتصادي

يستنبط من مظاهر الظلم الاقتصادي وأشكاله المعاصرة أنه ينجم بصفة أساسية عن عدم تطبيق ما أمر الله به، وعدم الانتهاء عما نهى الله عنه، أي عدم الالتزام بأحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية بصفة عامة، وفي مجال المعاملات الاقتصادية بصفة خاصة، وهذا يرجع إلى مجموعة من الأسباب نوجزها في الآتي:

- ضعف الإيمان مع عدم الخشية والخوف من الله وانعدام المراقبة والمحاسبة الذاتية، ونسيان المحاسبة الأخروية أمام الله سبحانه وتعالى، يوم يسأل المرء عن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وطغيان المادية التي لا ترقب في الفقير والمسكين إلا ولا ذمة.
- انتشار الأخلاق الفاسدة مثل الكذب والنفاق والرياء والغلظة وسوء الظن وعدم الوفاء بالعهود والعقود، وخيانة الأمانة والرشوة والمحسوبية والاحتيال مما يقود إلى طغيان أصحاب المال والسلطة على مقاليد الأمور ولا يهمهم إلا مصلحتهم المادية.
- انتشار السلوكات السيئة، ومنها المادية، وتفكك عرى التكافل والتضامن الاجتماعي، وانتشار الأنانية والحقد والكراهية، وهذا أدى إلى ضياع الحقوق المشروعة في أموال الأغنياء للفقراء ومنها: زكاة المال والصدقات والوقف الخيري وما في حكم ذلك.
- تسلط الحكومات الظالمة على كل شيء، ولا تعمل لتحقيق العدل والمساواة بين الناس بصرف النظر عن عقيدتهم وانتماءاتهم الفكرية والحزبية، و تتسلط على رعاياها وتكبت حرياتهم، وتركز في المقام الأول على مقاعد الحكم وتحقيق مصالح رجال المال والأعمال، وتطبق نظم وقوانين الطوارئ و الأحكام العرفية ونحو ذلك مما يخالف أحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية، وهذا أدى إلى زيادة الكراهية والبغض بين الحكام وشعوبها.
- التضييق الشديد من قبل الحكومات الظالمة على منظمات التكافل والتضامن والرعاية الاجتماعية، بأن تقوم بدورها في تقديم العون للفقراء والمساكين والمعوزين ومن في حكمهم، بدعوى أن بعض هذه المنظمات تمول الإرهاب دون أي دليل.
- التدخل الأجنبي بكافة صوره، والذي ينهب ثروات بعض الدول، ولا يسهم مساهمة فعلية في مساعدتها في علاج مشكلاتها ومنها: التخلف والفقر والمرض ونحو ذلك، بل يظهر دوره الجلي في دعم النظم الحاكمة في قمع شعوبها بدعوى التصدي للإرهاب.

آثار الظلم الاقتصادي على استقرار المجتمع وأمنه

يسبب الظلم الاقتصادي بأشكاله المختلفة الظاهرة والباطنة، الجلية والخفية، مجموعة من الآثار السيئة على الإنسان المظلوم والمقهور بصفة عامة وعلى فئة الفقراء والمساكين والغارمين والعوانس والمراهقين والعاطلين ومن في حكمهم بصفة خاصة، وهذا بدوره يؤدي

إلى قلق وزعزعة المجتمع ومن مظاهر ذلك على سبيل المثال:

- الهم والغم والكرب النفسي الذي ينتاب بعض أفراد المجتمع ويؤدي إلى السلبية؛ بسبب الخوف على تأمين حاجاته الضرورية والأصلية للمعيشة، فالجوع يقود إلى الخوف والكفر، وهذا يؤدي إلى الإحباط والاستسلام للظلم خوفا من الاعتقالات وما في حكمها، وينتظر فرصة للانتفاضة، وهذا عندما يحدث يسبب قلقا في المجتمع.

- التذمر والمظاهرات من قبل فئة من النشطاء للتعبير عن الغضب بسبب نقص في الحاجات المعيشية الضرورية، وهذا واقع نجده في الوقت المعاصر، وما يطلق عليه ثورة الجياع، أو مظاهرة العاطلين، أو تذمر الموظفين المعدومين، أو إضراب أصحاب المعاشات، أو مظاهرة المشردين بدون مأوى... إلى غير ذلك من المسميات، وهذا دون شك يسبب عدم استقرار في المجتمع.

- انتشار الفساد الأخلاقي والاجتماعي، ومن أخطر صوره ارتكاب الفاحشة، والتجارة في المحرمات بكافة صورها، والعنوسة، والبطالة، والسرقة، والاغتصاب، والحرابة وغير ذلك مما يسبب خللا في قِيَم ومُثُل المجتمع.

- ارتكاب جريمة الخيانة الوطنية، ومن صورها الوقوع في شبكات الجاسوسية والتعاون مع أعداء الوطن تحت تأثير ضغوط الحاجة والفقر.. هذه الآثار وغيرها تسبب عدم الاستقرار في المجتمع.

سلوكات النظم الحاكمة تجاه تداعيات آثار الظلم الاقتصادي

تدفع التداعيات السابقة للظلم

الاقتصادي بعض الحكومات أو النظم الحاكمة سواء أكانت رأسمالية أو ليبرالية أو اشتراكية أو غير ذلك إلى اتخاذ بعض الإجراءات الاستثنائية مثل:

- مقابلة الانتفاضات والمظاهرات والتذمر الشعبي بالقمع والعنف، وهذا ما يطلق عليه أحيانا: مقابلة العنف بالعنف، و يولد ذلك مزيدا من الغضب والقلق الأمني وعدم استقرار المجتمع، وإصدار قرارات وقوانين استثنائية حتى تستطيع الأجهزة الحكومية الأمنية قمع المظاهرات والسيطرة على المجتمع، وهذا ما يطلق عليه مصطلح: القوانين الاستثنائية، أو الأحكام العرفية أو قانون الطوارئ أو قانون الإرهاب بما يمكن الحكومة من اعتقال بعض المتظاهرين وتقديمهم إلى المحاكمات لإسكات الآخرين.

- قيام الحكومة بإقالة بعض المسؤولين الحكوميين من مناصبهم، وأحيانا محاكمتهم محاكمات فعلية أو صورية شكلية أو تهريبهم إلى خارج البلاد، بهدف امتصاص غضب المتظاهرين.

- توجيه أجهزة الإعلام الحكومية وما في حكمها لنشر معلومات للتهوين من أمر المظاهرات والتذمرات، وأن الأمور هادئة وتكذيب ما تنشره أجهزة الإعلام المستقلة أو المعارضة.

- الاستجابة لبعض مطالب المتظاهرين الممكنة لامتصاص غضبهم وتهدئة الأوضاع مثل: تخفيض الأسعار وزيادة الدعم ونحو ذلك.

- استقالة الحكومة والإتيان بحكومة بديلة لتستجيب لمطالب المتظاهرين ولتهدئة الأحوال، ولو لفترة مؤقتة، وهذا في الدول الديموقراطية حقا.

- تدخل بعض المنظمات العالمية المعنية بحقوق الإنسان تحت أي ذريعة لتجبر الحكومات على القيام بإصدار قوانين وقرارات تحت إشرافها لمنع الظلم.

- تدخل بعض الحكومات الأجنبية لتسقط الحكومة الوطنية تحت ذريعة حقوق الإنسان وتحتل البلاد.

الإسلام يحقق العدل الاقتصادي المنشود

مهما كانت الترتيبات الحكومية لإزالة آثار الظلم الاقتصادي السابقة وأثرها في استقرار المجتمع وأمنه، فهي ترتيبات مسكنة ومؤقتة، وريثما يرجع الغضب والتذمر مرة أخرى، والحل الإسلامي هو تحقيق العدل الاقتصادي ومن مقوماته ما يلي:

- التصدي للفساد المستشري في المجتمع بكل صوره، سواء كان فسادا سياسيا أو اجتماعيا أو اقتصاديا، وتطهير المجتمع من المفسدين الذين لا يصلحون، وصدق الله القائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (يونس: ٨١).

- توفير الحاجات الأصلية للمواطن من الضروريات والحاجيات لحفظ دينه ونفسه وعقله وعرضه وماله، من خلال السياسات الاقتصادية والمالية التي تحقق الضمان الاقتصادي.

- إلغاء القوانين والقرارات والتعليمات التي تقيد الحريات، ومنها حرية العقيدة، وحرية الفكر، وحرية التعبير عن الرأي ونحو ذلك.

- ضمان حق المواطنة للجميع دونما

النظر إلى الديانة أو الانتماء إلى حزب أو جماعة أو نحو ذلك.

- عدالة توزيع الدخول والثروات بين المواطنين ووضع ضوابط ومعايير لذلك في ضوء قاعدة: لا كسب بلا جهد ، ولا جهد بلا كسب.

- تحقيق التوازن بين الأجور والمعاشات من ناحية والأسعار من ناحية أخرى، لاسيما فيما يتعلق بالحاجات الأساسية للإنسان.

- الالتزام بفقه الأولويات وهي الضروريات، فالحاجيات، فالكماليات في الإنفاق الحكومي، وتجنب استفزاز الطبقة الفقيرة التي ترى البذخ والترف الحكومي وكذلك الترف من كبار رجال الأعمال والمال وهي محرومة من الضروريات.

- تجنب الاستفزازات من قبل الطبقة المترفة للطبقة الفقيرة المقهورة ولاسيما إذا كانت من ذوي النفوذ في الحكم، ومنها على سبيل المثال من يمارسون الاحتكار السياسي والاقتصادي، فقد قيل: ما عدل حاكم تاجَر مع رعيته.

العدل المنشود

الحاكم العادل هو أساس العدل الاقتصادي، فإذا ظلم الحاكم رعيته ثار الناس ضده، ويعبرون عن ذلك بصور شتى غير حميدة، وإذا بعد الحاكم عن شرع الله العادل انتشر الظلم وعمت الفوضى وازداد القلق، وعلى أساس هذه الحقيقة يجب على الحاكم وأجهزته الالتزام بالمنهج الإسلامي لتحقيق العدل الاقتصادي المنشود، ويتمثل في الأمور الآتية:

أولا: التربية الروحية القائمة على التقوى والإيمان والمراقبة والمحاسبة الذاتية، ودليل ذلك من الكتاب قول الله تبارك وتعالى:﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون﴾ (الأعراف: ٩٦)، وكذلك التربية الأخلاقية القائمة على العدل والصدق والأمانة والشفافية والتعاون والتكافل والبر، ولقد أجمع علماء الاقتصاد الإسلامي على أنه لا اقتصاد بلا أخلاق.

ثانيا: الرجوع إلى شريعة الله عز وجل وهدي رسوله ﷺ فهما أساس العدل والخير والحياة الرغدة والآمنة السعيدة، ودليل ذلك من الكتاب قول الله تبارك وتعالى:﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى. قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا. قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى﴾ (طه: ١٢٤ . ١٢٦)، وقول الرسول ﷺ: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله وسنتي» (البخاري).

ثالثا: تطبيق الحدود الواردة في شرع الله ضد مرتكبي الجرائم الاقتصادية؛ فهي تأكيد لسلطان العقيدة والأخلاق، ويقول العلماء: إصلاح الناس بالإيمان وإصلاح الدولة بالشريعة.

رابعا: حسن اختيار العاملين على أساس القيم الإيمانية والأخلاقية؛ لأن ذلك من موجبات الوقاية من الفساد قبل وقوعه، ولقد طبق ذلك في صدر الدولة الإسلامية.

خامسا: القدوة في تطبيق أحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية، فإذا صلح الراعي صلحت الرعية، ومن سيرة رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدين ومن تبعهم بإحسان نستطيع أن نستنبط النماذج المشرفة لدور ولي الأمر في منع الظلم الاقتصادي، وفي هذا المقام نذكر من قال لعمر بن الخطاب: «لو رتعت لرتعت الرعية».. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

ارتفاعات قياسية في أسعار المواد الغذائية بالعالم

قالت منظمة الأغذية والزراعة الدولية، التابعة للأمم المتحدة، إن أسعار المواد الغذائية في العالم وصلت إلى ارتفاعات جديدة في ديسمبر/ كانون الأول الماضي.

فقد ارتفع مؤشر أسعار المواد الغذائية إلى معدل أعلى من المعدل القياسي الذي وصله في عام ٢٠٠٨، حين شهدت عدة بلدان مظاهرات واحتجاجات ضد الارتفاع الحاد في الأسعار.

وقال التقرير الصادر من المنظمة إن ارتفاع أسعار مواد مثل السكر والحبوب والزيت هو السبب وراء الارتفاع العام في المؤشر.

وقد وصل معدل المؤشر، الذي يقيس التغيرات الشهرية في أسعار سلة مواد غذائية أساسية مكونة من الحليب ومنتجاته، واللحوم، والسكر، والحبوب ومنتجاتها، وبذور الزيوت النباتية، إلى ٢١٤،٧ نقطة في ديسمبر، مقابل ٢٠٦ نقاط في نوفمبر/ تشرين الثاني السابق له.

وكان المؤشر قد وصل في يونيو/حزيران من عام ٢٠٠٨ إلى ٢١٣،٥ نقطة، مما تسبب في اندلاع احتجاجات ومظاهرات واسعة في بلدان منها الكاميرون وهاييتي ومصر.

كما شهدت موزمبيق مظاهرات مماثلة ولنفس السبب في سبتمبر/ أيلول من العام الماضي.

ويقول الخبير الاقتصادي في المنظمة عبدالرضا أباحسن إنه على الرغم من ارتفاع الأسعار، فإنه لم تظهر عوامل عديدة أسهمت في تلك الاحتجاجات في عام ٢٠٠٧ و ٢٠٠٨، ومنها مثلا تراجع مستوى الإنتاج الزراعي في البلدان الفقيرة، وهو ما يعني أن الخطر أقل مما كان عليه في السابق.

لكن الخبير الاقتصادي قال أيضا إن «تقلبات الطقس» تعني أن الأسعار قد تتجه نحو الارتفاع، وهو أمر «مقلق».

مظالم العباد

محمد عبدالرحمن النجار

إن المتدبر لكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ يجد نصوصًا كثيرةً قد ذمت الظلم وأهله وحذرت العباد منه، وقد ذكر الله تعالى الظلم في أكثر من مائتين وأربعين موضعًا، محذرًا منه بأساليب مختلفة واشتقاقات متنوعة، فتارة بتنزيه الله تعالى نفسه عن هذه الصفة، قال تعالى: ﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾ (فصلت:٤٦)، وتارة بالأمر بالعدل بين الناس كلهم حتى مع غير المسلمين، قال عز وجل: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى﴾ (النحل:٩٠). وقال تعالى: ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ (المائدة:٨)، وأحيانا يأتي ذم الظلم بذم أهله مقرونًا بمقت الله لهم، كقوله تعالى: ﴿وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما﴾ (طه:١١١)، ووصف سبحانه ما دون الشرك من المعاصي بالظلم فقال سبحانه: ﴿قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾ (الأعراف:٢٣).

مع أن الله توعد الظالمين بعقوبات شديدة وقاسية فإن بعض الظالمين لا يزالون في غيهم وعلى ظلمهم بل يتعهدون استشراء الظلم جيلا بعد جيل ويحسبون أنهم يحسنون صنعا، حتى امتلأت المحاكم ودور القضاء من خصومات الناس ومظالمهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ومنها:

- ظلم العمال وعدم إعطائهم حقوقهم في وقتها والمماطلة في ذلك والتأخير، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: قال الله تعالى: «ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حرًا فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعطه أجره» (البخاري). فحقوق العمال واجبة في وقتها، وتحرم المماطلة بها وتأخيرها كما يحرم ظلمهم واستغلالهم بغير حق. روى البخاري ومسلم عن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم».

- غصب الأرض: فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين» (متفق عليه).

- مماطلة من له عليه حق: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَطل الغني ظلم» (متفق عليه).

مظالم العباد كثيرة ومتنوعة ولابد من التحلل منها والتخلص من عواقبها

- التطاوُل على أموال اليتامى والبسطاء والعامة الذين لا يستطيعون حيلة لاسترداد حقوقهم ولا يهتدون سبيلا، قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ أو التعدي على حقوق الغير ولو كانوا أغنياء ففي الحديث الصحيح «مطل الغني ظلم».

- الحلف كذبًا لاغتصاب حقوق العباد: فعن أبي أمامة رضي الله عنه إياس بن ثعلبة الحارثي أن رسول الله ﷺ: «من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة» فقال رجل: «وإن كان شيئًا يسيرًا يا رسول الله؟ قال: «وإن قضيبًا من أراك» (مسلم).

ولابد من القول بأن كثيرا من الناس حين يسمع الحديث عن الظلم ينصرف ذهنه إلى الظلم الحسي الظاهر من تعد على الأموال والدماء والأعراض ونحو ذلك مما تنفر منه الطباع السليمة ويعرفه الجاهل والعالم والصغير والكبير، ولكن ثمة نوع خفي يتساهل فيه كثير من الناس ويخفى عليهم حتى الصالحين، وينتشر في بعض البيئات المحافظة ألا وهو الظلم الاجتماعي!

والمقصود به الظلم المعنوي الذي يصدر من بعض أفراد المجتمع تجاه الآخرين في التعامل معهم والانحياز عنهم وتفضيل غيرهم عليهم أو عدم تحقيق العدل معهم أو الإساءة إليهم، وهذا له صور كثيرة منها:

- ميل الوالد لبعض ولده وعدم العدل بين الأبناء وتفضيله واحدًا منهم على سائر الأولاد في العطية والقبلة والثناء والذكر والمدح ونحوه من التعامل الجائر، ويتخذ ذلك عادة ويشتهر عنه هذا السلوك مما يوقع العداوة والبغضاء بين أولاده وينشب الحسد والحقد بينهم، إلا إذا وقع ذلك طارئًا في مناسبة فمعفو عنه ولا يؤاخذ به ولا يكاد يسلم منه أحد!! روى النعمان بن بشير قال أتى بي أبي إلى النبي ﷺ فقال: إني نحلت ابني هذا غلامًا كان لي فقال الرسول: «أفعلت هذا بولدك كلهم»؟ قال: لا! قال: «اتقوا الله واعدلوا في أولادكم». فرجع أبي فرد تلك الصدقة (متفق عليه).

- جفاء الإخوة لأخيهم وترك ما يجب

إمام وخطيب في وزارة الأوقاف الكويتية

تجاهه من التكريم والسؤال عنه، وعدم دعوته في المناسبات، وأخذ مشورته أو إقصاؤه، وعدم إخباره بما يجد من الأفراح والأحزان، وعدم إكرام أهله، ونحو ذلك من التعامل الجائر، مع كونهم يبذلون البر والصلة والإحسان لغيره من الإخوة الذين ربما لا يصلون إلى مستواه وخلقه. وهذا كله يجعل الأخ يشعر أنه ليس أخًا لهم ولا تربطه بهم رابطة الرحم.

- ظلم أم الزوج للزوجة: كجفائها، وإنكار معروفها، وعدم مكافأتها على ما تقوم به من البر والإحسان، وانتقاصها والتهجم عليها في مجامع النساء كلما سنحت الفرصة، وعدم دعوتها في المناسبات الاجتماعية، وأشد من ذلك أن تُزهد الأم ولدها في زوجته وربما أفسدته عليها، وأمرته بطلاقها.

- جفاء الزوجة لأم زوجها والتقصير في السؤال عنها وزيارتها، وتزهيد زوجها في أمه وأهله، وعدم احتمال هفوات الأم اليسيرة العابرة، وربما تطاولت عليها في الكلام والفعال! والإنكار على الزوج في بذل ماله لأمه وأهله ونحو ذلك.

وفي المقابل تبالغ في بذل مالها ووقتها لأهلها، وربط أبنائها بهم، وحث الزوج دائمًا على صلتهم ولو كان على حساب صلته بأهله وأمه! وهذا التصرف كثير في الزوجات، والاعتدال أمر مطلوب شرعًا، وأشد من ذلك أن تبغض الزوجة زوجها في أهله، وتربي أبناءها على كراهتهم.

- السحر بجميع أنواعه: وأخص سحر التفريق بين الزوجين، قال تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ (البقرة:١٠٢)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات» قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: «الشرك بالله والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات

المؤمنات الغافلات» (البخاري ومسلم).

- حبس الحيوانات والطيور حتى تموت: عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «عذبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت جوعًا فدخلت فيها النار» (البخاري ومسلم) حبستها: أي بدون طعام.

- شهادة الزور: أي الشهادة بالباطل والكذب والبهتان والافتراء وانتهاز الفرص للإيقاع بالأبرار والانتقام من الخصوم فعن أنس رضي الله عنه قال: ذكر رسول الله ﷺ الكبائر فقال: «الشرك بالله، وعقوق الوالدين وقتل النفس، وقال: ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قول الزور، أو قال شهادة الزور (متفق عليه).

- ومن أشد أنواع الظلم منع مساجد الله من أن يذكر فيها اسمه والسعي في خرابها، وهاهو المسجد الأقصى المبارك أولى القبلتين وثالث الحرمين، وأحد المساجد التي تشد إليها الرحال، تاج عز العرب والمسلمين، يئن من ظلم الاحتلال، ويشكو قلة الوافدين إليه من أبناء هذه الأمة، الذين يمنعون، ويحرمون من الصلاة فيه بسبب الحصار المفروض على المدن والقرى الفلسطينية.

- الركون إلى الظالم لأنه سبب في انتشار الظلم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾ (هود:١١٣)، ولأن الركون إلى الظالم سكوت عن ظلمه. وقد نبهنا الله سبحانه على هجر الظالم وعدم إعانته على ظلمه، قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنعام:٦٨).

ومن صور الظلم الكثيرة: أكل صداق الزوجة بالقوة ظلم.. والسرقة ظلم.. وإيذاء المؤمنين والمؤمنات والجيران ظلم.. والغش ظلم.. وكتمان الشهادة ظلم.. والتعريض للآخرين ظلم.. وطمس الحقائق ظلم.. والغيبة ظلم.. وإهدار الكرامة ظلم.. والنميمة ظلم.. وخداع الغافل ظلم.. ونقض العهود وعدم الوفاء ظلم.. والمعاكسات ظلم.. والسكوت عن قول الحق ظلم.. وعدم رد الظالم عن ظلمه ظلم.. إلى غير ذلك من أنواع الظلم الظاهر والخفي.

إن مظالم العباد لابدَ من التحلل منها والتخلص من عواقبها، فرسولنا ﷺ يقول: «إذا خلص المؤمنون من النار حُبسوا بقنطرة بين الجنة والنار، فيتقاصون مظالم كانت بينهم، حتى إذا نُقُّوا وهُذبوا أذن لهم بدخول الجنة» (البخاري)، فيا أيها الظالم لغيره: اعلم أن دعوة المظلوم مستجابة لا ترد مسلمًا كان أو كافرًا، ففي حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كافرًا؛ فإنه ليس دونها حجاب» (مسند أحمد). فالجزاء يأتي عاجلًا من رب العزة تبارك وتعالى.

وأخيرا: يا ظلم قد افترشتْ جذورُه وترعرت أغصانُه الجرداء، لا تفرح برسوخ جذورك وطول أغصانك فالعدل قادر على أن يصحب الماء إليه فتهلك جذورك في الأعماق وتناطح أغصانه المثمرة أغصانك فتهوي بها إلى ما كانت إليه، ويا ظلم لا تفرح بدوام ظلمك فبقدر ما امتد ظلمك بقدر ما سيهوي به عليك، فالحق أحق أن ينتصر والباطل بطل ما أوى إليه. نسأل الله تعالى أن يجنبنا أسباب الظلم والبغي والعدوان وأن يصرف عنا والمسلمين ظلم الظالمين وبغي الباغين وعدوان المعتدين.

الْعَدْلُ: خلافُ الْجَوْرِ، وَهُوَ فِي اللُّغَةِ: الْقَصْدُ فِي الأُمُورِ، وَهُوَ كما قال الجرجاني: عِبَارَةٌ عَنِ الأَمْرِ الْمُتَوَسِّطِ بَيْنَ طَرَفَيِ الإِفْرَاطِ وَالتَّفْرِيطِ. وَالْعَدْلُ مِنَ النَّاسِ: هُوَ الْمَرْضِيُّ قَوْلُهُ وَحُكْمُهُ، وَرَجُلٌ عَدْلٌ: بَيِّنُ الْعَدْلِ، وَالْعَدَالَةُ وَصْفٌ بِالْمَصْدَرِ مَعْنَاهُ: ذُو عَدْلٍ. قَالَ تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ وَالْعَدْلُ يُطْلَقُ عَلَى الْوَاحِدِ وَالاثْنَيْنِ وَالْجَمْعِ، وَيَجُوزُ أَنْ يُطَابِقَ فِي التَّثْنِيَةِ وَالْجَمْعِ فَيُقَالُ: عَدْلانِ، وَعُدُولٌ، وَفِي الْمُؤَنَّثَةِ: عَدْلَةٌ.

العدل أساس الملك

محمد الهنداوي

وَالْعَدَالَةُ: صِفَةٌ تُوجِبُ مُرَاعَاتُهَا الاحْتِرَازَ عَمَّا يُخِلُّ بِالْمُرُوءَةِ عَادَةً فِي الظَّاهِرِ.

وقد جاء ذكر العدل كثيرًا في القرآن الكريم فمن ذلك قوله تعالى: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان...﴾ وقال أيضًا: ﴿واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل...﴾ وقال تعالى: ﴿وأقسطوا إن الله يحب المقسطين﴾.

إن من أهداف الحكم الاسلامي، الحرص على إقامة قواعد النظام الاسلامي التي تساهم في إقامة المجتمع المسلم، ومن أهم هذه القواعد العدل والمساواة.

إن إقامة العدل بين الناس أفرادًا وجماعات ودولاً ليست من الأمور التطوعية التي تترك لمزاج الحاكم و هواه، بل إن إقامة العدل في الدين الاسلامي تعد من أقدس الواجبات وأهمها، قال الفخر الرازي: أجمعوا على أن من كان حاكمًا وجب عليه أن يحكم بالعدل.

وهذا الحكم تؤيده النصوص القرآنية، والسنة النبوية، فإن من أهداف دولة الاسلام اقامة المجتمع المسلم الذي تسود فيه قيم العدل ورفع الظلم، وعليها أن تفسح المجال، وتيسر السبل أمام كل انسان يطلب حقه أن يصل اليه، دون أن يكلفه ذلك جهدًا

أو مالاً، وعليها أن تمنع أي وسيلة من شأنها أن تعيق صاحب الحق من الوصول اليه، قال الله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون﴾ (المائدة: ٨).

وقد وقف الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه في أول تسلمه للخلافة يبين أحقية اقامة العدل بين الناس فقال: «ولست أدع أحدًا يظلم أحدًا، أو يتعدى عليه حتى أضع خده على الأرض، وأضع قدمي على خده الآخر حتى يذعن للحق»، وقد قال له المرزبان، حين رآه وقد نام متبذلاً: عدلت فأمنت فنمت.

لقد جاء هذا الدين لينشئ أمة وينظم مجتمعًا، جاء دعوة عالمية انسانية لا تعصب فيها لعرق أو جماعة أو جنس، وليس شيء أسرع في خراب الأرض ولا أفسد لضمائر الخلق من الجور؛ لأنه ليس يقف على حد ولا ينتهي الى غاية، ولكل جزء منه قسط من الفساد حتى يستكمل.

وان النبي عليه الصلاة السلام ما ترك شأنًا من شؤون الحياة الا ودعا الى العدل فيها، في المطعم والمشرب والملبس، في البيع و الشراء والمعاملات، في التحدث والانصات و الضحك، في كسب المال وانفاقه، في العلاقة مع الخلق، من زوجة وأولاد وجيران وشركاء وغير ذلك من العلاقات الكثيرة التي يتقلب الانسان فيها غدوًا ورواحًا، ولعل من أعظم الأمور التي دعا الاسلام الى اقامة العدل فيها: الامامة العظمى، من ملك وامارة ورياسة، قال الله تعالى: ﴿وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل...﴾.

ان العدل ميزان الله الذي وضعه للخلق، ونصبه للحق، وقد أنزل الله كتبه و أرسل رسله من أجل هذه المهمة وقد قال: ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط...﴾ (الحديد: ٢٥)، وقال لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيمًا﴾

باحث شرعي

إقامة العدل بين الناس أفراداً ودولاً ليست من الأمور التطوعية التي تترك لمزاج الحاكم وهواه

(النساء: ١٠٥).

وقد أكد النبي عليه الصلاة والسلام هذه المعاني فقال: «اذا حكمتم فاعدلوا، واذا قتلتم فأحسنوا فإن الله عز و جل محسن يحب المحسنين» (رواه الطبراني في الأوسط، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رجاله ثقات) وقد جعل العدل من الصدقات فقال ﷺ: «كل سلامى من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس يعدل بين الناس صدقة...» (متفق عليه).

وأخبر أن العدل من أعظم أسباب النجاة فقال ﷺ: «وأما المنجيات فالعدل في الغضب والرضا...». (رواه الطبراني في الأوسط، وحسنه الألباني). وقد بشر النبي ﷺ الحاكم الذي يقيم العدل بين الناس بمقام عظيم، ومنزلة رفيعة فقال: «ان المقسطين عند الله على منابر من نور، الذين يعدلون في حكمهم و ما ولوا».

وقد ورد في الصحيحين: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل...».

وروى مسلم في صحيحه، أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: «أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط موفق، ورجل رحيم رقيق القلب بكل ذي قربى ومسلم، ورجل فقير عفيف متصدق».

ومن أجل ازالة الظلم وتوطيد العدل الكامل بين الناس قيد الله سبحانه وتعالى حرية بني البشر ببعض القيود وهي الحدود الشرعية التي جعلها واجبة التنفيذ. قال تعالى: ﴿تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون﴾ (البقرة: ٢٢٩).

وقد طبق رسول الله ﷺ مضمون هذه الآية، وذلك لاستتباب العدل، كما ثبت في المرأة المخزومية القرشية التي سرقت، وقرر رسول الله ﷺ تنفيذ الحد عليها، فعظم ذلك على رجال من قريش، فطلبوا من أسامة بن زيد رضي الله عنه أن يشفع لها عند رسول الله ﷺ، فلما حدث أسامة النبي ﷺ في أمرها، غضب ﷺ وقال لأسامة مستنكرا: «أتشفع في حد من حدود الله، انما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه، واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد» ثم ختم حديثه بقوله ﷺ «وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت، لقطعت يدها».

وقد حذر النبي ﷺ ولاة أمور المسلمين من عدم اقامة العدل بين الناس فقال: «مَنْ وَلِيَ أُمَّةً مِنْ أُمَّتِي قَلَّتْ أَوْ كَثُرَتْ فَلَمْ يَعْدِلْ فِيهِمْ كَبَّهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى وَجْهِهِ فِي النَّارِ». (رواه الطبراني).

وقال ﷺ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَكُونُ عَلَى شَيْءٍ مِنْ أُمُورِ هَذِهِ الأُمَّةِ فَلَا يَعْدِلُ فِيهِمْ الّا كَبَّهُ اللَّهُ فِي النَّارِ» (رواه الحاكم وصححه).

وقال ﷺ: «انّ في جَهَنَّمَ وَادِيًا وَفِي الْوَادِي بِئْرٌ يُقَالُ لَهُ هَبْهَبُ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُسْكِنَهُ كُلَّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ». (رواه الطَّبَرَانِيُّ بِسَنَدٍ حَسَنٍ وَأَبُويَعْلَى وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ).

وقال ﷺ: «مَا مِنْ أَمِيرِ عَشَرَةٍ الّا يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَغْلُولًا لَا يَفُكُّهُ الّا الْعَدْلُ» (رواه أَحْمَدُ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ).

وقال ﷺ «اَللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ» (رواه مسلم).

وقال ﷺ فيما رواه الشيخان: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ رَعِيَّتَهُ الّا حَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ الْجَنَّةَ» وَفِي رِوَايَةٍ لَهُمَا: « فَلَمْ يُحِطْهَا بِنُصْحِهِ لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ».

وَفِي صحيح مُسْلِمٌ: «مَا مِنْ أَمِيرٍ يَلِي أُمُورَ الْمُسْلِمِينَ ثُمَّ لَا يَجْهَدُ لَهُمْ وَيَنْصَحُ لَهُمْ الّا لَمْ يَدْخُلْ مَعَهُمْ الْجَنَّةَ».

وَ روى الْحَاكِمُ بِنَحْوِ ذَلِكَ وَصَحَّحَهُ وَالتِّرْمِذِيُّ بِلَفْظِ: «مَا مِنْ امَامٍ يُغْلِقُ بَابَهُ دُونَ ذَوِي الْحَاجَةِ وَالْخُلَّةِ وَالْمَسْكَنَةِ الّا أَغْلَقَ اللَّهُ تَعَالَى أَبْوَابَ السَّمَاءِ دُونَ خَلَّتِهِ وَحَاجَتِهِ وَمَسْكَنَتِهِ».

وقد قام الصحابة ببيان عملي لهذا المبدأ، فقد وقف أبو بكر رضي الله عنه، يوم ولي أمر المسلمين فقال لهم: «وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأطيعوني، وان أسأت فقوموني... ».

وهذا علي رضي الله عنه يخاطب ولاته على الأمصار فيقول لهم: «أيها الرعاء، ان لرعيتكم حقوقًا: الحكم بالعدل، والقسم بالسوية، وما من حسنة أحب الى الله من حكم امام عادل».

حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا علي بن عبدالعزيز، حدثنا أبوعبيد، حدثنا عبدالرحمن بن مهدي، عن محمد بن طلحة، عن داود بن سليمان الجعفي، قال: كتب عمر بن عبدالعزيز الى عبدالحميد بن عبدالرحمن: لا سلام عليك فان أهل الكوفة قد أصابهم بلاء وشدة وجور في أحكام وسنن خبيثة، سنتها عليهم عمال السوء، ان قوام الدين العدل والاحسان، فلا يكونن شيء أهم

اليك من نفسك أن توطنها لطاعة الله فانه لا قليل من الإثم.

وقد أعلن الإسلام مبدأ العدل في العقيدة والشريعة والأسرة والعهود والقضاء وكل شؤون الحياة. ومن هنا صار العدل التزاما للمسلم في كل ميادين حياته الروحية والمادية، ومناطا للثواب على صالح الأعمال، فالعدل الحقيقي لا يكتمل بعيدا عن شريعة الله، لأن شريعة الله تعالى هي العدل.

وَقَالَ كَعْبٌ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: وَيْلٌ لِسُلْطَانِ الْأَرْضِ مِنْ سُلْطَانِ السَّمَاءِ، فَقَالَ عُمَرُ أَلَا مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ، فَقَالَ كَعْبٌ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَكَذَلِكَ إِلَّا مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ، مَا بَيْنَهُمَا حَرْفٌ يَعْنِي فِي التَّوْرَاةِ.

- التأصيل الفقهي لاشتراط العدالة في الحاكم اختيارًا واستمرارية ذَهَبَ الْمَالِكِيَّةُ وَالشَّافِعِيَّةُ وَالْحَنَابِلَةُ إِلَى أَنَّ الْعَدَالَةَ شَرْطُ صِحَّةٍ، فَلَا يَجُوزُ تَقْلِيدُ الْفَاسِقِ إِلَا عِنْدَ فَقْدِ الْعَدْلِ.

وَذَهَبَ الْحَنَفِيَّةُ إِلَى أَنَّهَا شَرْطٌ أَوْلَوِيَّةٍ، فَيَصِحُّ تَقْلِيدُ الْفَاسِقِ وَلَوْ عِنْدَ وُجُودِ الْعَدْلِ.

واختلفوا في العدالة هل تشترط لدوام الامامة؟

عِنْدَ الْحَنَفِيَّةِ لَيْسَتِ الْعَدَالَةُ شَرْطًا لِصِحَّةِ الْوِلَايَةِ، فَيَصِحُّ تَقْلِيدُ الْفَاسِقِ الامامة عِنْدَهُمْ مَعَ الْكَرَاهَةِ، وَإِذَا قُلِّدَ انْسَانٌ الامامة حَالَ كَوْنِهِ عَدْلًا، ثُمَّ جَارَ فِي الْحُكْمِ، وَفَسَقَ بِذَلِكَ أَوْ غَيْرِهِ لَا يَنْعَزِلُ، وَلَكِنْ يَسْتَحِقُّ الْعَزْلَ إِنْ لَمْ يَسْتَلْزِمْ عَزْلُهُ فِتْنَةً، وَيَجِبُ أَنْ يُدْعَى لَهُ بِالصَّلَاحِ وَنَحْوِهِ، وَلَا يَجِبُ الْخُرُوجُ عَلَيْهِ، كَذَا نَقَلَ الْحَنَفِيَّةُ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ، وَكَلِمَتُهُمْ قَاطِبَةً مُتَّفِقَةٌ فِي تَوْجِيهِهِ عَلَى أَنَّ وَجْهَهُ: هُوَ أَنَّ بَعْضَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ صَلَّوْا خَلْفَ أَئِمَّةِ الْجَوْرِ وَقَبِلُوا الْوِلَايَةَ عَنْهُمْ. وَهَذَا عِنْدَهُمْ لِلضَّرُورَةِ وَخَشْيَةِ الْفِتْنَةِ.

وَقَالَ الدُّسُوقِيُّ: يَحْرُمُ الْخُرُوجُ عَلَى الامام الْجَائِرِ لِأَنَّهُ لَا يُعْزَلُ السُّلْطَانُ بِالظُّلْمِ وَالْفِسْقِ وَتَعْطِيلِ الْحُقُوقِ بَعْدَ انْعِقَادِ إِمَامَتِهِ،

وَإِنَّمَا يَجِبُ وَعْظُهُ وَعَدَمُ الْخُرُوجِ عَلَيْهِ، إِنَّمَا هُوَ لِتَقْدِيمِ أَخَفِّ الْمَفْسَدَتَيْنِ.

وأما المالكية فقد قال الْخَرَشِيُّ: رَوَى ابْنُ الْقَاسِمِ عَنْ مَالِكٍ: إِنْ كَانَ الامام مِثْلَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَجَبَ عَلَى النَّاسِ الذَّبُّ عَنْهُ وَالْقِتَالُ مَعَهُ، وَأَمَّا غَيْرُهُ فَلَا، دَعْهُ وَمَا يُرَادُ مِنْهُ، يَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنَ الظَّالِمِ بِظَالِمٍ، ثُمَّ يَنْتَقِمُ مِنْ كِلَيْهِمَا.

وَقَالَ حَنْبَلٌ: فِي وِلَايَةِ الْوَاثِقِ اجْتَمَعَ فُقَهَاءُ بَغْدَادَ إِلَى أَبِي عَبْدِاللَّهِ، يعني الامام أحمد فَقَالُوا: هَذَا أَمْرٌ قَدْ تَفَاقَمَ وَفَشَا- يَعْنُونَ اظْهَارَ الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ- نُشَاوِرُكَ فِي أَنَّا لَسْنَا نَرْضَى بِإِمْرَتِهِ وَلَا سُلْطَانِهِ. فَقَالَ: عَلَيْكُمْ بِالنَّكِيرِ بِقُلُوبِكُمْ، وَلَا تَخْلَعُوا يَدًا مِنْ طَاعَةٍ، وَلَا تَشُقُّوا عَصَا الْمُسْلِمِينَ. وَقَالَ أَحْمَدُ فِي رِوَايَةِ الْمَرْوَزِيِّ، وَذَكَرَ الْحَسَنَ بْنَ صَالِحِ بْنِ حَيِّ الزَّيْدِيَّ فَقَالَ: كَانَ يَرَى السَّيْفَ، وَلَا نَرْضَى بِمَذْهَبِهِ.

طَاعَةُ الامام

اتَّفَقَتِ الأُمَّةُ جَمْعَاءُ عَلَى وُجُوبِ طَاعَةِ الامام الْعَادِلِ وَحُرْمَةِ الْخُرُوجِ عَلَيْهِ لِلأَدِلَّةِ الْوَارِدَةِ فِي ذَلِكَ كَخَبَرِ: «مَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ فَلْيُطِعْهُ إِنِ اسْتَطَاعَ، فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الآخَرِ».. وقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (النساء: ٥٩). وَحَدِيثِ: «مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً».

واجبات الامام

مِنْ تَعْرِيفِ الْفُقَهَاءِ لِلإِمَامَةِ الْكُبْرَى بِأَنَّهَا: رِئَاسَةٌ عَامَّةٌ فِي سِيَاسَةِ الدُّنْيَا وَإِقَامَةِ الدِّينِ نِيَابَةً عَنِ النَّبِيِّ ﷺ. يَتَبَيَّنُ أَنَّ وَاجِبَاتِ الامام إِجْمَالًا هِيَ كَمَا يَلِي:

أ- حِفْظُ الدِّينِ عَلَى أُصُولِهِ الثَّابِتَةِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَإِجْمَاعِ سَلَفِ الْأُمَّةِ، وَإِقَامَةُ شَعَائِرِ الدِّينِ.

ب - رِعَايَةُ مَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ بِأَنْوَاعِهَا.

كَمَا أَنَّهُمْ- فِي مَعْرِضِ الاسْتِدْلَالِ لِفَرْضِيَّةِ نَصْبِ الإِمَامِ بِالْحَاجَةِ إِلَيْهِ- يَذْكُرُونَ أُمُورًا لَابُدَّ لِلأُمَّةِ مِمَّنْ يَقُومُ بِهَا، وَهِيَ: تَنْفِيذُ الأَحْكَامِ، وَإِقَامَةُ الْحُدُودِ، وَسَدُّ الثُّغُورِ، وَتَجْهِيزُ الْجُيُوشِ، وَأَخْذُ الصَّدَقَاتِ، وَقَبُولُ الشَّهَادَاتِ، وَتَزْوِيجُ الصِّغَارِ وَالصَّغَائِرِ الَّذِينَ لَا أَوْلِيَاءَ لَهُمْ، وَقِسْمَةُ الْغَنَائِمِ.

يقول عمر رضي الله عنه: «ولكم علي أيها الناس خصال أذكرها لكم، فخذوني بها: لكم علي ألا أجتبي شيئًا من خراجكم، ولا مما أفاء الله عليكم الا في وجهه، ولكم علي اذا وقع بين يدي ألا يخرج مني الا في حقه، ولكم علي أن أزيد في عطاياكم، وأسد ثغوركم، ولكم علي ألا ألقيكم في المهالك، واذا غبتم في البعوث، فأنا أبوالعيال حتى ترجعوا اليهم، فاتقوا الله عباد الله، وأعينوني على أنفسكم بكفها عني، وأعينوني على نفسي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، و احضار النصيحة فيما ولاني الله من أمركم... ».

وأخيرًا: فلنعلم أن في توطيد العدل ومحاربة الظلم والحيلولة دون وقوعه اقرارًا للأمن وتحقيقًا للمساواة بين أفراد المجتمع، والأمر الذي يمكن لكل فرد الوصول الى حقه دون مشقة وعناء، واذا فقد العدل أكل الناس بعضهم حق بعض، وسادت الفتن، وكثرت الجرائم والمنكرات وأصبح كل فرد من أفراد المجتمع عرضة لاعتداء الأشرار، وضعاف النفوس، فتفقد الحياة بهجتها وجمالها.

عبادة السيد نوح abadanooh@hotmail.com

قيمة العدل

«إن الله يقيم الدول العادلة وإن كانت كافرة، ولا يقيم الدول الظالمة وإن كانت مسلمة»... بهذه الكلمات التي توزن بماء الذهب لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى يمكن توصيف الأحداث والحراك الشعبي الواسع في مجتمعاتنا الرافض للظلم والظالمين، بأنها نهاية عصر الفساد وبداية حقبة جديدة من المساواة، شعارها العدل أساس الملك، وشريان الحياة، وضبط أطر العلاقة بين مكونات الأمة من خلال العقد الاجتماعي بين الحاكم والمحكوم.

إن من أجل أسباب النصر الإلهي، العدل.. والمسلم مأمور به مع الأعداء، والأصدقاء على السواء، إذ يقول الحق تبارك وتعالى ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (النساء: ١٣٥)، وقوله ﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ...﴾ (النحل: ٩٠).

ولقد أمر الله الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام بالعدل، وإذا كان الأنبياء والمرسلون، وهم الذين لا يتأتى منهم الجور قد أمروا به، فكيف بنا نحن الذين لا تمضي علينا ساعة إلا وحياتنا ملطخة بصورة من صور الجور والظلم، لذا لابد من اليقين بأن العدل هو الذي يوجب عون الله، وتأييده، ونصره، إذ بالعدل يدوم السلطان والملك، وقد جاء في الأمثال: «من جعل العدل عدة طالت به المدة».

والكل يتذكر موقف سيدنا عمر بن الخطاب مع القبطي عندما أتاه ليشكو الظلم الذي لحق به على يد ابن والي مصر عمرو بن العاص، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أتى رجل من أهل مصر إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين عائذ بك من الظلم، قال: عذت بمعاذ، قال: سابقت ابن عمرو بن العاص فسبقته، فجعل يضربني بالسوط ويقول: أنا ابن الأكرمين، فكتب عمر إلى عمرو يأمره بالقدوم عليه، ويقدم بابنه معه، فقدم، فقال عمر: أين المصري؟ خذ السوط فاضرب، فجعل يضربه بالسوط، ويقول عمر: اضرب ابن الأكرمين، قال أنس: فضرب، فوالله لقد ضربه ونحن نحب ضربه، فما أقلع عنه حتى تمنينا أنه يرفع عنه، ثم قال عمر للمصري: ضع على صلعة عمرو، فقال: يا أمير المؤمنين إنما ابنه الذي ضربني، وقد اشتفيت منه، فقال عمر لعمرو: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا؟! قال: يا أمير المؤمنين لم أعلم ولم يأتني.

وهذا عثمان بن عفان رضي الله عنه يقول لعبد له: إني كنت عركت أذنك، فاقتص مني، فأخذ بأذنه، ثم قال عثمان رضي الله عنه اشدد، يا حبذا قصاص في الدنيا، لا قصاص في الآخرة.

إن هذه الصور من التناصف فيما بينهم تعد مظهرا أساسيا من مظاهر النصرة الإسلامية.

ولشيوع العدل أو التناصف فيما بينهم على النحو الذي قدمنا أمدهم الله عز وجل بالنصر، والتمكين في الأرض، فصاروا سادة الدنيا وأئمة العالمين.

ويمكن أن يمدنا الله عز وجل بذلك كما أمدهم به أول مرة إذا حرصنا على التحلي فيما بيننا بالعدل والإنصاف، وإن مما يعيننا على ذلك دوام النظر في سيرة السلف فيما يتعلق بهذا الخلق، لاسيما الصحابة، والتذكير الدائم بهذا الخلق، فإن الإنسان من شأنه أن ينسى، ولا علاج لهذا النسيان إلا بالتذكير والتنبيه ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الذاريات: ٥٥). والله ولي التوفيق.

التداوي في الإسلام

لاشك أن الإسلام اعتنى بصحة المسلم أيما اعتناء، وذلك من خلال إباحته لكل ما هو نافع له، وحَظْرِه لكل ما هو ضار به؛ لأن الصحة التامة والسلامة من العلل والأسقام في البدن ظاهرًا وباطنًا هي مكمن من مكامن الحياة الطيبة، وقد أحسن من قال: «إن الصحة تاج على رؤوس الأصحاء»، فلا يَعرف حينئذٍ أهميتها وقيمتها إلا من حرمها من الناس.

د. صالح النهام

ويتضح هذا جليًا من خلال عموم الأدلة الشرعية، وفي نواحٍ عدة، منها:

أ- الصلاة؛ حيث اشترط فيها الطهارة، فقال جل جلاله: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ (المائدة: ٦)، وقال رسول الله ﷺ لبلال رضي الله عنه عند صلاة الفجر: «يا بلال! حدثني بأرجَى عمل عملتَه في الإسلام، فإني سمعت دَفَّ نَعْليك بين يدي في الجنة»، قال: ما عملتُ عملاً أرجى عندي أني لم أتطهَّر طُهُورًا في ساعة ليل أو نهار إلا صليتُ بذلك الطُّهور ما كُتِبَ لي أن أُصلِّي (١)، ومعلوم أن للطهارة فوائد كثيرة منها: نيل العبد محبة الله ورضاه، وعن طريقها تشاع النظافة في المجتمع، فينبعث في النفس السرور والانشراح، وهي أيضًا: وسيلة مهمة من وسائل الوقاية من الأمراض، ومن المعروف كما قيل: إن الوقاية خيرٌ من العلاج (٢).

ب- تقوية البدن؛ من خلال الاهتمام بالصحة البدنية والنفسية، ويظهر ذلك عندما قال رسول الله ﷺ لعمار بن ياسر رضي الله عنه حينما كان يحمل حجرين عند بناء مسجده: «إن عمارًا مليء إيمانًا من قرنه إلى قدمه» (٣)، وبهذه القوة الروحية كان النبي ﷺ يواصل الصوم (٤) أيامًا عديدة (٥)، ولهذا جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «صوموا تصحوا» (٦)، وقد قال الربيع: سمعت الشافعي يقول: العلم علمان: علم الأديان، وعلم الأبدان (٧).

فمن دواعي اعتزازنا بشريعتنا الإسلامية أنها أباحت الطب والطبابة، قال الحموي: كان رسول ﷺ يديم التطيب في حالة صحته ومرضه، وشاهد على ذلك ما جاء عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت: «إن رسول الله ﷺ كثرت أسقامه وكان يقدم عليه أطباء العرب والعجم فيصفون له فنعالجه» (٨).

ومع هذا الاهتمام الواضح بصحة البدن، نستطيع القول: إن من عناية شريعتنا بالصحة وسلامة الأبدان مما يُضادها أو يعكِّر تمامها هو حسن تعاملها مع التداوي والتطبب والأخذ بالأسباب؛ لمقاومة الأدواء والأسقام، وهذا من جهة، ومن جهة أخرى نجد أن موقف الشريعة من التداوي لم يكن مقتصرًا على السعي في رفع الداء بعد وقوعه، بل إنه تعدَّى إلى أبعد من ذلك حين اهتم بالوقاية واعتبرها خيرا من العلاج، فإن من القواعد المقررة في الشريعة تلكم القاعدة التي تنص على أن الدفع أولى من الرفع، ومما يدل على ذلك ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال، قال رسول الله ﷺ: «لا يُوردَنَّ ممرِضٌ على مُصحّ» (٩)، هذا ولاريب تأكيد على سعة وأفق هذه الشريعة الغراء.

وبعد هذا التقديم إليك بيان معنى التداوي وحكمه بشيء من التفصيل، وذلك في المسائل التالية:

المسألة الأولى: معنى التداوي.

التداوي لغةً:

مصدر تداوى، أي: تعاطى الدواء، وأصله: دوِي يدوي دوى، أي: مرض، وأدوى فلانًا يدويه، بمعنى: أمرضه، وبمعنى: عالجه أيضًا، فهي من الأضداد، ويداوي، أي: يعالج، وتداوى بالشيء: تعالج به، والدِّواء والدَّواء والدُّواء: ما داويته به.

التداوي اصطلاحًا:

لا يخرج استعمال الفقهاء له عن معناه اللغوي، كما تدل على ذلك عباراتهم(١٠).

ومن الألفاظ ذات الصلة: الطِّب(١١) الذي هو في اللغة: المداواة والعلاج، أي: علاج الجسم والنفس، فيقال: رجل طبَّ وطبيب، وجمع القلة: أطبة، والكثرة أطباء، والطَّب: العالم بالأمور، وكذلك الطبيب يقال له: طَبَّ(١٢).

المسألة الثانية: التداوي والتوكل.

المراقب في مجلة الوعي الإسلامي

لاريب أن الشريعة الإسلامية لم تدع المرء المسلم مذبذبًا بين النظرة إلى التسليم بالقدر والقضاء وبين النظرة إلى مدافعة ذلكم القدر، فالداء والدواء كله من عند الله، فكما أن الداء ينزل بقدر، فإن فعل الأسباب ونفع الدواء لا يكون إلا بقدر، فالمرء في كلتا حالتيه يفر من قدر الله إلى قدر الله، وشاهد ذلك ما جاء عن أبي خزامة رضي الله عنه أنه قال: قلت يا رسول الله، أرأيت رُقىً نسترقيها ودواءً نتداوى به وتُقاةً نتقيها، هل ترد من قدر الله شيئًا؟ فقال: «هي من قدر الله»(١٣).

وقد ذكر ابن القيم في ذلك كلمة عظيمة لمن يعقلون شرع الله، حين أورد في هذا الصدد جملة من الأحاديث الصحيحة، فقال: في هذه الأحاديث الصحيحة الأمر بالتداوي، وأنه لا ينافي التوكل، كما لا ينافيه دفع داء الجوع والعطش والحر والبرد بأضدادها... إلى أن قال: ولابد من هذا الاعتماد من مباشرة الأسباب، وإلا كان معطلًا للحكمة والشرع، فلا يجعل العبد عجزه توكلًا، ولا توكله عجزًا(١٤).

أضف إلى ذلك أنه لا يجوز اليأس من روح الله أو القنوط من رحمته، بل ينبغي بقاء الأمل في الشفاء بإذن الله جل جلاله، وهذا ما تقتضيه عقيدة المسلم، والدليل على عدم مناقضة التداوي للتوكل، هو فعل رسول الله، وقوله، وأمره به، صلوات الله وسلامه عليه.

أما فعله ﷺ فعن جابر رضي الله عنه قال: «رُمِيَ سعد بن معاذ في أكحله، قال: فحَسَمه النبي ﷺ بيده بمشقصٍ ثم ورمت فحَسَمه ثانية»(١٥).

وأما قوله، فقد قال ﷺ: «ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء»(١٦).

وأما أمره به ﷺ: «فقد أمر غير واحد من الصحابة الكرام بالتداوي وبالحمية»، «وبعث طبيبًا لأُبي بن كعب فقطع منه عرقًا ثم كواه عليه»(١٧)، وقال لعلي رضي الله عنه وكان رَمِد العين: «لا تأكل من هذا»، يعني الرطب، «وكل من هذا فإنه أوفق لك»، يعني سلقًا قد طبخ بدقيق شعير(١٨).

الأمر بالتداوي لا ينافي التوكل بل ينبغي بقاء الأمل في الشفاء بإذن الله تعالى

المسألة الثالثة: حكم التداوي.

الأصل في حكم التداوي أنه مشروع من حيث الجملة؛ وذلك لكثرة الأدلة التي جاءت في كتاب الله عز وجل، وسنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه التي توضح أن من فعل النبي ﷺ أنه تداوى، وأنه كان يأمر بالتداوي أحيانًا، وأحيانًا يجيب السائل بأن التداوي لا بأس به؛ لما في ذلك من حفظ النفس البشرية، الذي هو أحد المقاصد الكلية من التشريع، مع العلم أن أحكام التداوي تختلف بناء على اختلاف الأحوال والأشخاص، ولذا اختلف الفقهاء في حكم التداوي على أقوال خمسة(١٩).

فمنهم من اعتبر التداوي: واجبًا، ومنهم من اعتبره: مستحبًا، ومنهم من عده: حرامًا، وآخرون قالوا: تركه أفضل، وغيرهم قال: هو مباح مطلقًا، ولكل فريق أدلته ووجهته، وتوضيح ذلك في الأقوال التالية:

القول الأول: ذهب بعض علماء الحنفية (٢٠)، والشافعية(٢١)، والحنابلة(٢٢)، إلى أن التداوي حكمه الوجوب، وبالأخص حال وجود الخطر، كأن يكون السبب المزيل للمرض مقطوعًا به كالماء المزيل لضرر العطش، والخبز المزيل لضرر الجوع.

ومن أدلتهم أن أبا الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله أنزل الداء والدواء، وجعل لكل داء دواء، فتداووا، ولا تتداووا بالحرام»(٢٣).

القول الثاني: ذهب جمع من علماء الحنفية(٢٤)، والمالكية(٢٥)، والشافعية(٢٦)، والحنابلة(٢٧)، إلى أن التداوي مستحب فعله، وذكر النووي أنه مذهب جمهور السلف وعامة الخلف، وإن تركه توكلًا فهو فضيلة، واستدل أصحاب هذا القول على ذلك بأحاديث كثيرة توضِّح أن النبي ﷺ كان يُذكِّر بمنافع الأدوية والأطعمة، كالحبة السوداء والقسط والصبر، ومن هذه الأدلة ما جاء عن زيد بن أرقم رضي الله عنه أنه قال: أمرنا رسول الله ﷺ: «أن نتداوى من ذات الجَنْب بالقُسْط البحري والزيت»(٢٨)، وذاتُ الجَنْب: يعني السِّلّ. وقوله ﷺ: «إن الله لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء».

القول الثالث: قال غلاة الصوفية(٢٩)، إن حكم التداوي حرام؛ وحجتهم أنهم يعتقدون أن الله تعالى هو الفاعل، وأن التداوي هو أيضًا من قدر الله، وهذا كالأمر بالدعاء، وكالأمر بقتال الكفار، وبالتحصن..والأجل لا يتغير، والمقادير لا تتأخر، ولا تتقدم عن أوقاتها، ولابد من وقوع المقدرات(٣٠). ومادام كل شيء بقضاء وقدر فلا حاجة إلى التداوي(٣١).

القول الرابع: يرى بعض الشافعية(٣٢)، ونص عليه الإمام أحمد(٣٣): أن التداوي يجوز وتركه أفضل، ولا يجب وإن ظن نفعه؛ لأنه أقرب إلى التوكل، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن الإمام أحمد قال: أحب لمن اعتقد التوكل وسلك هذا الطريق ترك التداوي من شرب الدواء وغيره، وقد كانت تكون به علل فلا يخبر الطبيب بها إذا سأله، ومن أدلتهم: قول رسول الله ﷺ: «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفًا بغير حساب، وهم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون»(٣٤)، وقد ثبت أن جمعًا من الصحابة الكرام رضي الله عنهم لم يكونوا يتداوون، بل فيهم من اختار المرض، كأبي بن كعب، وأبي ذَرّ، ومع هذا فلم يُنكر عليهم ترك التداوي(٣٥).

القول الخامس: قال الإمام مالك إن التداوي مباح مطلقًا؛ وقد نقل عنه أنه قال: «لا بأس بالتداوي ولا بأس بتركه»(٣٦)، واستدلوا بأدلة منها: قالت الأعراب: يا رسول الله، ألا نتداوى؟ قال: «نعم يا عباد الله تداووا، فإن الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء، أو دواء، إلا داء واحدًا»، فقالوا: يا رسول الله، ما هو؟ قال: «الهَرَمُ»(٣٧).

وقد قال الخطابي: إن في هذا الحديث إثبات الطب والعلاج، وأن التداوي مباح غير مكروه، وقال العيني: فيه إباحة التداوي وجواز الطب، وبمثلهما قول القرطبي(٣٨).

فالذي يمكن قوله في نهاية مسألة التداوي هو: أن أدلة الأقوال السابقة يمكن جمعها والتوفيق بينها ما أمكن؛ وذلك لأن الجمع بين الأدلة خير من إعمال أحدها وإهمال الآخر؛ وذلك حسب ما هو معروف في مسائل التعارض والترجيح(٣٩)، وهذه المسألة تعتريها الأحكام الخمسة، بمعنى إذا كان المرض خطيرًا ويترتب على تركه هلاك النفس أو أحد أعضائه أو عجزه، أو كان المرض ينتقل ضرره إلى غيره، كالأمراض المعدية، فهنا يترجح قول من قال بوجوب التداوي؛ وذلك حفظًا للنفس البشرية التي هو مسؤول عنها يوم القيامة، وقد أوجب الأئمة الأربعة وجمهور العلماء أكل الميتة عند المخمصة، قال مسروق: من اضطر إلى أكل الميتة فلم يأكل حتى مات دخل النار، ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية(٤٠)، وإذا لم يترتب عليه ضرر كالذي تقدم، فالأمر يكون مستحبًا؛ لكون المرض هنا من الأمراض البسيطة التي لا يترتب على إهمالها هلاك، وإنما تركه قد يؤدي إلى ضعف البدن، فإن صبر ولم يتداوى أجر؛ ولهذا قالوا تركه أفضل، وإذا تداوى فله ذلك، وقد يكون الأمر مباحًا إذا لم ينطبق عليه ما سبق.

مما يدل على أهمية التداوي حاجة البشر إلى المستشفيات المتوفرة في كل بلدان العالم

أما كون التداوي حرامًا ولا حاجة إليه؛ لأن كل شيء بقضاء وقدر، ففير صحيح، ولابد أن يحمل التحريم على أن رسول الله ﷺ نهى عن التداوي بما حرَّم الله، فقال: «إن الله أنزل الداء والدواء، وجعل لكل داء دواء، فتداووا، ولا تتداووا بحرام»، وعن ابن مسعود رضي الله عنه، أنه قال: «إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرَّم عليكم»(٤١)، ومن الدواء المحرَّم أن تكون الأدوية والعقاقير تحوي شيئًا من النجاسات أو المحرمات التي حرمها الشارع الحكيم(٤٢)، كالمستحضَرات المستخلصة من بعض الميتة كرئة البقر مثلًا أو مخاطيات أمعاء الخنازير أو أبوال الحُمُر الأهلية وألبانها، أو أن تكون وسيلةُ العلاج وسيلةً محرمة كالعلاج بالغناء والموسيقى المحرمة إجماعًا؛ لأن غايةَ الشفاء لا تبرر الوسيلة المحرمة في الوصول إليه، وكذلك في حال إذا أضر بنفسه؛ حين يكون سليمًا، وليس بحاجة إلى التداوي.

فالأمر كما قلت يختلف حكمه باختلاف حال المرض والمريض؛ من حيث التحمل وأثر هذا الضرر، فقد جاءت جارية تسأل رسول الله ﷺ عن حالها أنها تصرع، وأنها تطلب أن يدعو لها، فقال ﷺ: «إن أحببت تصبري ولك الجنة، وإن أحببت دعوت الله أن يشفيك». فقالت: بل أصبر، ولكنني أنكشف، فادع الله لي أن لا أنكشف، «فدعا الله لها أن لا تنكشف»(٤٣)، وقد قال ابن عبدالبر: قد كان من خيار هذه الأمة سلفها وعلماؤها قوم يصبرون على الأمراض حتى يكشفها الله ومعهم الأطباء، فلم يعابوا بترك المعالجة(٤٤).

ولاشك أن الأخذ بالتداوي هو من باب الأخذ بالأسباب وحصول الشفاء بالدواء: كدفع الجوع بالأكل، ودفع العطش بالشرب، ولأهمية التطبيب منع رسول الله ﷺ من ليس بأهل لهذه المهنة أن يزاولها، وأوجب عليه الضمان لما يحدث من ضرر بالمريض(٤٥)، وقد فهم الصحابة رضي الله عنهم أن ضمان النفس أمر مطلوب، ولذا امتنع عمرو بن العاص من الاغتسال بالماء البارد حين أُجنب؛ خوفًا على نفسه منه وتيمم، ولما أُخبر الرسول ﷺ قرر قوله(٤٦).

ومما يدل على أهمية التداوي في هذه الدنيا حاجة البشر للمستشفيات المتوافرة في كل بلدان العالم، حيث وضعوا فيها الأطباء، وجعلوا لهم الأجور نظير قيامهم في هذه المهنة الشريفة، التي أباحت الشريعة تعلمها، بل لعلها عند بعض العلماء فرض كفاية؛ لما فيها من حفظ الصحة، ودفع العلل والأمراض، فخلاف ذلك يكون فتح باب لهلاك الأنفس، ولا يخفى على أحد ما ابتلي به العالم الغربي والعربي، من ظهور أمراض فتاكة في هذا العصر، شغلت العالم بخطورتها وما تؤول إليه، مثل: أمراض الإيدز، وجنون البقر، وإنفلونزا الطيور، وإنفلونزا الخنازير، ونفوق الأسماك، وغيرها من الأمراض التي تؤثر على حياة الإنسان، ولهذا نشط العالم كله تجاه هذه الأمراض الخطيرة، آخذًا بالأسباب والحيطة، من خلال تعاون دولي؛ لاجتنابها، ولرصد عدم تكاثرها، فإذا كان التداوي حرامًا، فلماذا كل هذه الاستعدادات الدولية والتي تشارك بها الدول الإسلامية، فما هذا إلا مما نادت به الشريعة الإسلامية من حفظ للنفس البشرية، من خلال مجموع الأدلة التي جاءت بالكتاب والسنة والآثار والتي يحكم بها العقل السليم.

الهوامش

(١) أخرجه البخاري، رقم: (١١٤٩)، مسلم، رقم: (٢٤٥٨).
(٢) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ: (٧/٢٧٤٠).
(٣) ذكره البزار في مجمع الزوائد: (٢٩٥/٩)، الإصابة في تمييز الصحابة، حديث رقم: (٥٦٩٩).
(٤) أخرجه البخاري، رقم: (١٩٦١)، مسلم، رقم: (١١٠٥).
(٥) انظر: فتاوى معاصرة للدكتور/ يوسف القرضاوي: (ص: ٥٨٧-٥٩٣).
(٦) أخرجه الطبراني في الأوسط، رقم: (٨٣١٢)، كنز العمال: (٢٣٦٠٥).
(٧) انظر: الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني للنفراوي المالكي: (٤٣٩/٢)، روضة الطالبين للنووي: (٩٦/٢).
(٨) ذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة: (١٦/٢-١٧)، وانظر: التراتيب الإدارية للكتاني: (٤٥٥/١)، تخريج الدلالات السماعية للتلمساني: (ص: ٦٧٧).
(٩) أخرجه البخاري، رقم: (٥٧٧١)، مسلم، رقم: (٢٢٢١).
(١٠) انظر: مادة: (د وي)، في كل من: مختار الصحاح: (ص: ٩٠)، المصباح المنير: (٢٧٨/١)، معجم مقاييس اللغة: (ص: ٣٦٨).
(١١) ومن الألفاظ ذات الصلة أيضًا: التمريض والإسعاف. انظر: مادة: (م ر ض) و(س ع ف)، في كل من: المصباح المنير: (٧٨٠/٢)، مختار الصحاح: (ص: ٢٥٩)، المعجم الوجيز: (ص: ٥٧٨)، معجم مقاييس اللغة: (ص: ٩٨٠). وقد قال ابن مفلح الحنبلي: الطب بكسر الطاء في اللغة على معان: وذكر منها: الحذق، كل طبيب عند العرب، وأصل الطب الحذق بالأشياء والمهارة بها. انظر: كتابه، الآداب الشرعية: (٩٤/٣-٩٥).
(١٢) انظر: مادة: (ط ب ب)، في كل من: المصباح المنير: (٥٠٢/٢)، مختار الصحاح: (ص: ١٦٣)، المعجم الوجيز: (ص: ٣٨٥). وانظر: الآداب الشرعية: (٩٤/٣-٩٥)، زاد المعاد: (١٣٩/٢).
(١٣) أخرجه الترمذي، رقم: (٢٠٦٥)، ابن ماجه، رقم: (٣٤٣٧).
(١٤) انظر: الطب النبوي: (ص: ١٠٥).
(١٥) أخرجه مسلم، رقم: (٢٢٠٨).
(١٦) أخرجه البخاري، رقم: (٥٦٧٨)، ابن ماجه، رقم: (٣٤٣٨-٣٤٣٩).
(١٧) أخرجه مسلم، رقم: (٢٢٠٧).
(١٨) أخرجه أبوداود، رقم: (٣٨٥٦)، ابن ماجة، رقم: (٣٤٤٢).
(١٩) انظر: الفتاوى لابن تيمية: (١٢/١٨).
(٢٠) انظر: الهداية تكملة فتح القدير: (١٣٤/٨)، تخريج الدلالات السماعية للتلمساني: (ص: ٦٧٧).
(٢١) انظر: إحياء علوم الدين للإمام الغزالي: (٢٧٦/٤)، حاشية الشرواني وابن القاسم على التحفة: (١٨٢/٣).
(٢٢) انظر: كشاف القناع للبهوتي: (٧٦/٢)، الإنصاف للمرداوي: (٤٦٣/٢).
(٢٣) أخرجه أبوداود، رقم: (٣٨٧٤)، الترمذي، رقم: (٢٠٤٦).
(٢٤) انظر: الهداية تكملة فتح القدير: (١٣٤/٨)، حاشية ابن عابدين: (٢٢٨/٥).
(٢٥) انظر: التمهيد لابن عبدالبر: (٢٢٧/٢)، الزرقاني على الموطأ: (٣٢٩/٤).
(٢٦) انظر: المجموع للنووي: (٩٦/٥)، معالم السنن للخطابي: (٢٢٩/٤).
(٢٧) انظر: الآداب الشرعية: (٣٦٥/٢)، كشاف القناع: (٧٦/٢).
(٢٨) أخرجه أبوداود، رقم: (٣٨٧٧)، الترمذي، رقم: (٢٠٧٨).
(٢٩) ذكره النووي في كتابه شرح صحيح مسلم: (١٩١/١٤)، وانظر: طرح التثريب للعراقي: (١٨٤/٨).
(٣٠) انظر: شرح النووي لصحيح مسلم: (١٩١/١٤).
(٣١) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: (١٣٩/١٠).
(٣٢) انظر: إحياء علوم الدين: (١٦٨/٥-١٦٩)، المجموع: (٩٦/٥).
(٣٣) انظر: منتهى الإرادات للفتوحي: (٣٨٥/١)، كشاف القناع: (٧٦/٢).
(٣٤) أخرجه البخاري، رقم: (٥٧٠٥)، مسلم، رقم: (٢١٦).
(٣٥) انظر: الفتاوى لابن تيمية: (٢٦٩/٢٤)، قوت القلوب لأبي طالب المكي: (٢٢/٢).
(٣٦) انظر: الفواكه الدواني: (٤٤٢/٢)، تفسير القرطبي: (١٩٩/١٠).
(٣٧) أخرجه أبوداود، رقم: (٣٨٥٥)، الترمذي، رقم: (٢٠٣٨).
(٣٨) انظر: الجامع لأحكام القرآن: (١٩٧/١٠-١٩٩).
(٣٩) انظر: فواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت لعبدالعلي الأنصاري: (٣٦٨/٢)، تنقيح الفصول للقرافي: (ص: ٤٢١)، المحصول للرازي: (٤٠٦/٥)، العدة لأبي يعلى: (١٠١٩/٣).
(٤٠) انظر: الفتاوى: (١٢/١٨).
(٤١) أخرجه البخاري، رقم: (٥٦١٤)، والحاكم، رقم: (٧٥٠٩).
(٤٢) بينما يجوز استعمال الأدوية المشتملة على الكحول بنسب مستهلكة تقتضيها الصناعة الدوائية بشرط أن يصفها طبيب عدل، كما يجوز استعمال الكحول مطهرًا خارجيًا. انظر: قرار مجلس المجمع الفقهي الإسلامي في دورته السادسة عشرة المنعقدة في مكة من: (٢١-٢٦/١٠/١٤٢٢هـ) الموافق (٥-١٠/١/٢٠٠٢م)، في كتاب: فقه النوازل للجيزاني: (١٦٨/٤)، بخصوص حكم الأدوية المشتملة على الكحول والمخدرات.
(٤٣) أخرجه البخاري، رقم: (٥٦٥٢)، مسلم، رقم: (٢٥٧٦).
(٤٤) انظر: التمهيد لابن عبدالبر: (٧٨/٥).
(٤٥) انظر: الطب النبوي لابن القيم: (ص: ٤٠-٤١) بتصرف يسير.
(٤٦) أخرجه البخاري: في كتاب التيمم، أبوداود، رقم: (٣٣٤). وقد ذكره القرطبي في تفسيره: (١٥٦/٥).

نظرة الإنسان إلى الكون والحياة في الإسلام (٢/١)

يحض القرآن الكريم الإنسان حضًا على النظر في نفسه وفي الكون من حوله بأسلوب علمي منهجي سليم، لأنه بذلك يتعرف على ذاته وعلى شيء من حقائق الكون وأسراره، ومن سنن الله الحاكمة له، فيعينه ذلك على حسن القيام بواجب الاستخلاف في الأرض، وحسن عمارتها، وهو من صميم رسالة الإنسان في هذه الحياة، كما يعينه في التعرف على خالقه، وعلى شيء من صفات هذا الخالق العظيم، فيسجد الإنسان لخالقه سجود العبودية والطاعة، وهذا السجود للخالق العظيم وطاعته يمثل الحكمة من خلق الإنسان، حيث يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ (الذاريات: ٥٦).

د. زغلول النجار

الإنسان في موقفه أمام الكون الشاسع الاتساع، الدقيق البناء، المحكم الحركة يرى ضآلة وجوده حجمًا، ومكانًا، وزمانًا، وقدرة، فيرى حاجته وحاجة الوجود من حوله إلى رعاية خالقه، وإلى رحمة هذا الخالق العظيم، كما يرى في السنن الحاكمة لهذا الكون بثبات واطراد صورة من صور طلاقة القدرة الإلهية المبدعة، ويرى في تمكنه من استقرائها وتوظيفها في عمارة الأرض صورة من صور التكريم الإلهي للإنسان الذي قال ربنا تبارك وتعالى في حقه: ﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾ (الإسراء: ٧٠).

وفي الحض على التفكر في الكون يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب. الذين يذكرون الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار﴾ (آل عمران: ١٩٠-١٩١).

ويقول عز من قائل: ﴿لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ (غافر: ٥٧).

ويقول: ﴿وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين﴾ (الأنعام: ٧٥).

ويقول: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد﴾ (فصلت: ٥٣).

ويقول ربنا تبارك وتعالى: ﴿وفي الأرض آيات للموقنين. وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ (الذاريات: ٢٠-٢١).

ويقول عز من قائل: ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت. وإلى السماء كيف رفعت. وإلى الجبال كيف نصبت. وإلى الأرض كيف سطحت﴾ (الغاشية: ١٧-٢٠).

من هنا كان في تعرف الإنسان على الكون تحقيق لرسالته في هذه الحياة وضرورة من ضرورات وجوده.

ماهية الكون

يقصد بلفظة الكون مجموع الموجودات الكائنة من مختلف صور المادة والطاقة والمكان والزمان، وما تتشكل عليه من الجمادات والأحياء والأناسي كافة، وما يرتبط بها من قوى وعمليات وظواهر، ولمّا كان ذلك يشمل حيزًا كبيرًا من المعارف الإنسانية، خرج الناس بلفظة الكون إلى مدلول أكثر تحديدًا، يقتصر على ذلك النظام الشامل للأجرام السماوية (المدرك منها حسيا وغير المدرك)، بأشكالها وأحجامها، وكتلها، وأبعادها، وحركاتها، وقوى الترابط بينها، وتركيبها الكيميائي، وصفاتها الفيزيائية، والهيئات المختلفة التي تنتظمها، وكيفيات نشأتها وتاريخها، والمصير الذي ينتظرها، وعلى ذلك فإن الدراسات الكونية تنقسم إلى قسمين رئيسيين هما: علم الكون (Cosmology)، وعلم أصل الكون (Cosmogenesis)، وهما من المعارف الكلية التي ينطوي تحتها أفرع عديدة من الدراسات المتعلقة بالكون (Cosmic Sciences).

ولاشك أن الإنسان قد شغل بالتفكير في الكون منذ أن وطئت قدماه الأرض، وأن الله تعالى قد أعانه بالعديد من الإشارات في كافة صور الوحي السماوي التي كلما استضاء الإنسان

عالم جيولوجي

بهديها فهم حقيقة موقعه من الكون، ورسالته فيه، وعلاقته به كما حددها له رب العالمين، وكلما انصرف الإنسان عن هداية الله امتلأ فكره عن الكون بالخرافات والأساطير، أو بالاستعلاء والكبر إذا قدر له فهم شيء من أسرار الكون باتباع المنهج العلمي في تفسير بعض السنن والظواهر الكونية، وقد سجل لنا التاريخ أن أغلب الحضارات القديمة قد اهتمت برصد حركات عدد من الأجرام السماوية، واستخدمت الحسابات الرياضية لتفسير العلاقات والروابط بينها من مثل مراحل منازل القمر المتتابعة، وعلاقة الأرض بالشمس، وظهور واختفاء بعض الكواكب بصورة دورية، وظواهر الكسوف والخسوف وغيرها.

وكان الإنسان إلى عهد غير بعيد يعتقد أن الأرض هي مركز الكون، وأن كل ما حولها يدور في فلكها، حتى أثبتت الدراسات العلمية أنها جزء ضئيل جدًا من بناء محكم دقيق، شاسع الاتساع يشمل أرضنا وقمرنا وشمسنا، وغير ذلك من الكواكب والكويكبات، والأقمار في مجموعتنا الشمسية، وهذه المجموعة الشمسية تشكل جزءًا من مجرتنا التي تحتوي على أكثر من أربعمائة ألف مليون نجم كشمسنا، لكل توابعه من الكواكب والكويكبات والأقمار، كما أن لشمسنا حشدا من كواكب تسع وأعدادا كبيرة من الأقمار والكويكبات.

ومجرتنا جزء من عنقود مجرِّي يسمى باسم المجموعة المحلية (local group) يبلغ قطره عشرات الملايين من السنين الضوئية (والسنة الضوئية تساوي ٩,٥٠ مليون بليون

شُغل الإنسان بالتفكير في الكون منذ أن وطئت قدماه الأرض وأعانه الله تعالى بالعديد من صور الوحي السماوي

كم)، والمجموعة المحلية جزء من عناقيد مجرية أكبر (Superclusters) وهذه تشكل جزءا من تكون المجرات العظمى (Superglalaxies) ويحصي العلماء أكثر من ألفي مليون مجرة تسبح في جزء من السماء الدنيا على هيئة جزر من المجرات، و تتباعد المجرات عن بعضها البعض بسرعات تقترب من سرعة الضوء (المقدرة بحوالي ٣٠٠,٠٠٠ كم في الثانية)، وتتخلق المادة لتملأ المسافات الناشئة عن هذا التباعد من حيث لا يعرف الإنسان.

ولما كانت أغلب معلوماتنا عن الكون مستمدة أصلًا من معرفتنا بالأرض ومادتها وما ينزل عليها من نيازك، كان من الضروري أن نبدأ حديثنا عن الكون بالأرض.

الأرض

يعيش الإنسان على شبه كرة من الصخر تعرف باسم كوكب الأرض الذي يبلغ متوسط قطره ١٢,٧٤٠ كم، ومتوسط محيطه ٤٠,٠٤٢ كم، ومساحة سطحه أكثر قليلًا من ٥١٠ مليون كم، وحجمه أكثر من مليون كم مكعبًا، ومتوسط كثافته ٥,٥ جم/سم٣، وعلى ذلك تقدر كتلته بما يعادل ٥٩٧٦ مليون مليون مليون طنا، (ن ٦ x ١٠ طناً ٢١) ويغطى ثلاثة أرباع سطح الأرض بغلالة مائية يبلغ متوسط سمكها حوالي أربعة كم تقريبًا (٣٧٩٥ مترًا في المتوسط)، بينما يبلغ متوسط ارتفاع الأرض ٨٤٠ مترًا فوق مستوى سطح البحر، وأعلى قمة فوقها (وهي قمة إفرست) تصل الى ٨٨٤٨ مترًا فوق مستوى سطح البحر، وأعمق الأغوار إلى ١١,٠٣٣ مترًا، ويحيط بالأرض غلاف هوائي له تركيب كيميائي محدد، ويتناقص ضغطه بالارتفاع حتى لا يكاد يدرك فوق ارتفاع ٤٠ كم من سطحها، وإن استمرت المادة الغازية لتملأ الجزء المدرك من الكون بتركيز متناه في الصغر كلما بعدنا عن الأجرام السماوية على هيئة ما يسمى باسم المادة بين النجوم (Inter -Stellar Matter).

ويحيا على الأرض، وفي مياهها، وتحت هوائها من صور الحياة النباتية والحيوانية والإنسية بلايين الأفراد التي نعرف منها حوالي المليونين من أنواع الحياة التي تنتظمها أجناس محددة، وعائلات، ورتب، وطوائف، وقبائل، وممالك، ولا يزال العلماء في كشوف مستمرة لمزيد

من أنواع الحياة يوما بعد يوم، وسبحان الله القائل: ﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون﴾ (الأنعام: ٣٨).

والمادة بين الأرض، ومائها، وهوائها، وصور الحياة على سطحها، بل بينها وبين الجزء المدرك لنا من الكون في حركة مستمرة لا تتوقف ولا تنقطع من أجل استمرارية الحياة.

وللأرض غلاف صخري يتراوح سمكه بين ٦٢، ١٥٠كم ويتكون من:

١- قشرة الأرض (Earth،s Crust) بسمك يتراوح بين ٣٠، ٥٠ كم في القارات، وبين ٥، ٨ كم في قيعان البحار والمحيطات.

٢- الوشاح الأعلى من أوشحة الأرض (Uppermost Mantle) ويتراوح سمكه بين ٣٥، ١٠٠كم فوق القارات، وبين ٥٧،٦٥كم فوق قيعان البحار والمحيطات ويحيط الغلاف الصخري للأرض بعدد من النطق الداخلية التي تترتب من الخارج إلى الداخل على النحو التالي:

٣- نطاق الضعف الأرضي (Asthenosphere) ويمثل النطاق الفوقي من أوشحة الأرض (Upper Mantle) ويمتد إلى عمق ٧٠٠ كم في داخل الأرض، وهو في حالة مائعة، لزجة، شبه منصهرة، تحت ضغط عال، وفي درجة حرارة قريبة من درجة الانصهار، مما يؤدي إلى سلوك المادة فيه سلوكًا مرنا.

(٤،٥)- الوشاحان الأوسط والأدنى (Middle and Lower Mantle) ويمتدان إلى عمق ٢٩٠٠ كم، ويتكونان من مواد صلبة، ذات كثافة عالية، في درجة حرارة مرتفعة وتحت ضغوط فائقة، وتزداد هذه الصفات كلها مع تزايد العمق.

٦- اللب الخارج للأرض (Outer Core) ويتكون من مواد سائلة تتركب أساسًا من الحديد والنيكل وقليل من الكبريت (أو السيليكون) ويمتد إلى عمق ٥٢٠٠ كم ويطلق عليه اسم اللب السائل أو اللب المائع (Liquid of Fluid Core).

٧- اللب الداخل للأرض (Inner Core) وهو عبارة عن كرة مصمتة من الحديد والنيكل مع بعض العناصر الأخرى مثل الكبريت (أو السيليكون)، يبلغ نصف قطرها ١١٧٠ كم، وتسمى باسم اللب الصلب للأرض (Solid Core) أو نواة الأرض الصلبة (Solid Earth'xcleous).

ولعل هذه النطق السبع هي المقصودة بالأرضين السبع التي يصفها الحق تبارك وتعالى في ختام سورة الطلاق بقوله: ﴿الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علمًا﴾ (الطلاق: ١٢).

فكما أن السموات السبع متطابقة (أي يغلف الخارج منها الداخل) حسب وصف القرآن الكريم لها بقول الحق سبحانه: ﴿الذي خلق سبع سموات طباقًا...﴾ (الملك: ٣).

فلابد أن تكون الأرضين السبع متطابقة بمعنى أن الخارج منها يغلف الداخل، ويتحقق ذلك في النطق السبعة التي أمكن التعرف عليها في الأرض.

ويتكون الغلاف الصخري للأرض (Lithosphere) من كل من قشرتها ووشاحها الأعلى، ويتمزق هذا الغلاف الصخري بشبكة هائلة من الصدوع التي تحيط بالأرض إحاطة كاملة إلى عمق يتراوح بين ٦٢كم، ١٥٠كم والتي تقسم هذا الغلاف إلى عدد من الألواح (Plates) تسمى باسم ألواح الغلاف الصخري للأرض (Lithospheric Plates) وتتحرك هذه الألواح بفعل تيارات الحمل النشطة في نطاق الضعف الأرضي، أما تباعدها عن بعضها البعض فيؤدي إلى توسع قيعان البحار والمحيطات (Sea- Floor Spreading) أو مصطدمة ببعضها البعض فتؤدي إلى تكون السلاسل الجبلية، أو منزلقة عبر بعضها البعض. ويكثر حدوث كل من الزلازل والثورانات البركانية عند حدود ألواح الغلاف الصخري، خاصة عند مناطق تصادمها، وحركة ألواح الغلاف الصخري للأرض تتم ببطء شديد جدا يتراوح معدله بين ١، ١٠ سنتيمترات في السنة ليتعاظم أثرها عبر ملايين السنين.

سرعة دوران الأرض حول محورها في تناقص مستمر بمعدل جزء من الثانية كل قرن من الزمان

والأرض ثالثة الكواكب السيارة بعدًا عن الشمس، ويبلغ متوسط بعدها عنها حوالي ١٥٠ مليون كم، وهي تدور حول الشمس في فلك شبه دائري قليل الاستطالة (إهليلجي) بسرعة تقدر بحوالي ٣٠ كم في الثانية (٢٩,٦ كم/ث) لتتم دورتها هذه في سنة شمسية مقدارها ٣٦٥,٢٥ يوم تقريبًا (٩,٦ ثانية، ٩ دقيقة، ٦ ساعة، ٣٦٥ يوم)، وهذا بالإضافة إلى دوران الأرض حول محورها في حركة مغزلية بسرعة مقدارها ٢٧,٨ كم في الدقيقة لتكوِّن يومَ الأرض الذي يتقاسمه ليل ونهار، بتفاوت يزيد وينقص حسب الفصول التي تحدث بسبب ميل محور الأرض على مستوى مدارها حول الشمس بزاوية مقدارها (٥/٢٣، ١/٣٠).

وسرعة دوران الأرض حول محورها في تناقص مستمر بمعدل جزء من الثانية كل قرن من الزمان، وذلك بسبب عمليات

المد والجزر التي ينتج عنها ما يشبه فعل الفرملة (الكابح)، وهذا التناقص المستمر في سرعة دوران الأرض حول محورها يؤكد على السرعة الفائقة التي كانت الأرض تدور بها حول محورها عند بدء خلقها وعلى قصر طول اليوم عند بدء خلق الأرض (أقل من أربع ساعات يتقاسمها ليل ونهار)، وعلى زيادة هائلة في عدد أيام السنة (أكثر من ٢٢٠٠ يوم) التي أخذت في التناقص بالتدريج حتى وصلت إلى عددها الحالي (٣٦٥,٢٥ يوم تقريبًا)، وسبحان ربنا الذي أنزل في كتابه قبل ألف وأربعمائة من السنين قوله الحق: ﴿إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا...﴾ (الأعراف: ٥٤).

وهي الآية الوحيدة من آيات إغشاء الليل والنهار التي ارتبطت بالوصف ﴿حثيثا﴾ أي بسرعة فائقة لأنها أشارت إلى بداية الخلق، وصلى الله وسلم وبارك على خاتم الأنبياء والمرسلين الذي أخبرنا قبل أكثر من ألف وأربعمائة من السنين أن من العلامات الكبرى للساعة طلوع الشمس من مغربها، فيأتي العلم الحديث ليؤكد على أن استمرار تباطؤ سرعة دوران الأرض حول محورها سيؤدي بالقطع إلى تغير اتجاه دوران الأرض من الاتجاه الحالي حيث تدور من الغرب إلى الشرق (فتبدو الشمس وكأنها تشرق من الشرق وتغيب في الغرب) لكي تدور من الشرق إلى الغرب) (فتبدو الشمس وكأنها تشرق من الغرب وتغرب في الشرق)، ويسبق ذلك فترة من الاضطراب يطول فيها اليوم بشكل غير عادي ليطابق نبوءة المصطفى ﷺ في حديث الدجال.

والأرض في حالة من التوازن المعجز، فلولا الجاذبية الأرضية لما تماسكت مكوناتها فصارت كرة، ولولا دوران الأرض حول محورها لما تأثرت بالقوة الطاردة المركزية فأصبحت شبه كرة، ولولا تباين صخور الأرض في تركيبها الكيميائي وبالتالي تباين كثافاتها لما اختلف مستوى سطحها فغارت قيعان البحار والمحيطات وارتفعت أسطح القارات وقمم الجبال، ولولا الحركات الدائبة في داخل الأرض وانعكاسات ذلك على غلافها الصخري، والنشاطات المستمرة في نطق الأرض الهوائية والمائية والحياتية وما يسقط عليها من شهب ونيازك لفسدت الأرض وما عادت صالحة للحياة.

القمر

هو تابع صغير للأرض يبلغ قطره ربع قطر الأرض تقريبًا (٣٤٧٦كم)، وتبلغ مساحة سطحه ٣٨ مليون كم٢، ومتوسط كثافته ٣,٣٦جم/سم٣ وتقدر جاذبيته بسدس جاذبية الأرض والقمر يدور حول الأرض في مدار شبه دائري يتراوح نصف قطره بين ٣٥٦ ألف، ٤٠٧ ألف كم، وعلى ذلك فإن متوسط بعد القمر عن الأرض يقدر بحوالي ٣٨٤ ألف كم، ويستغرق القمر نفس المدة الزمنية في دورانه حول محوره ليدور دورة كاملة حول الأرض في ٢٧,٥ يوم، وتتراوح درجة الحرارة على سطح القمر بين ١٠٠ و ٤٠٠ درجة مطلقة (أي بين - ١٧٣ درجة مئوية بالليل، - ١٢٧ درجة مئوية ظهرًا).

ولما كان القمر هو أقرب أجرام السماء إلينا، كانت دورته هي أدق وسائل التقويم الزمني للأرض.

الشمس

هي نجم متواضع يبلغ متوسط قطره حوالي مليون ونصف المليون من الكيلومترات، وكثافته ربع كثافة الأرض تقريبًا، (١,٢٥جم/سم٣)، وكتلته ألفا مليون مليون مليون مليون طن (أي ٣٣٥ ألف مرة قدر كتلة الأرض)، والشمس كأي نجم عادي توجد على هيئة كرة ضخمة من غاز الإيدروجين الذي تكثف على ذاته بقدرة الله فبدأت بداخله عمليات من الاندماج النووي الذي تتحد به نوى ذرات الإيدروجين مع بعضها البعض مكونة غاز الهيليوم، وتتحدر ذرات الهيليوم مكونة عناصر أعلى في وزنها الذري، ويكون غاز الإيدروجين حوالي ٧٠٪ من كتلة الشمس، بينما يكون غاز الهيليوم حوالي ٢٨٪ من كتلتها ويغلب على الـ ٢٪ الباقية عنصرا الكربون والأوكسجين.

وتبلغ درجة حرارة سطح الشمس ٦٠٠٠ °م، ودرجة حرارة ألسنة اللهب الممتدة منها إلى مليون درجة مئوية، وتزداد درجة الحرارة في اتجاه مركز الشمس لتصل إلى حوالي ١٥ مليون درجة مئوية، ويزداد كل من الضغط والكثافة مع ازدياد درجة الحرارة في اتجاه مركز الشمس.

ويبلغ قطر قلب الشمس حوالي ٤٠٠,٠٠٠كم، يحيط به نطاق إشعاعي يبلغ سمكه حوالي٣٠٠,٠٠٠ كم ثم نطاق موصل يبلغ سمكه ٢٠٠,٠٠٠كم، ثم نطاق الضوء (Photosphere) ويبلغ سمكه حوالي ٥٠٠كم، فنطاق الألوان (Chromosphere) الذي يمتد لآلاف الكيلومترات، وتنطلق منه هالة الشمس (The Solar Corona) التي تمتد لملايين الكيلومترات، ومنها الرياح الشمسية (Solar Winds) ويمتد المجال المغناطيسي للشمس إلى ما بعد حدود المجموعة الشمسية، وتسمى منطقة هيمنة الشمس باسم النطاق الشمسي (Heliosphere).

وتفقد الشمس من كتلتها في كل ثانية ما يعادل ٤,٦ مليون طن من المادة على هيئة طاقة مما يؤكد على حتمية فنائها بهذه الطريقة إن لم يقدر الله فناءها قبل ذلك.

يتبع في الحلقة القادمة.

كثيرا ما تتعرض حقوق الإنسان للمحنة، والانحسار، والإلغاء، والإهانة، وخاصة إذا توجهت الشبهة نحو إنسان ما، ووقف في قفص الاتهام، حتى يخطر لبعض الظلمة أن يقرر أن المتهم مسلوب الحقوق عامة، وتهدر حتى حقوقه الإنسانية، متذرعين بالقاعدة الفاسدة «الغاية تبرر الوسيلة». فيعامل المتهم أسوأ مما يعامل به الحيوان، ويعامل المتهم بالقسوة، والإرهاب، والوحشية بأشد من العقوبة التي ستنزل به، وهو ما نسمع به تحت بصر العالم وسمعه، وفي مختلف البلدان التي تعترف نظريا ودعائيا بحقوق الإنسان، وترفع هذا الشعار زورا، وبهتانا، ورياء، ونفاقا، ثم تعامل المتهم أثناء الدعوى والتحقيق معاملة يندى لها الجبين، ويخجل العاقل من تصوره وذكره.

ضمانات شرعية لحقوق المتهم

السيد أحمد المخزنجي
صحفي- عضو اتحاد الكتاب- القاهرة

تجدر الإشارة إلى أن الشريعة الإسلامية تركز على جملة أسس من بينها أساس العدل.

وفي القرآن الكريم آيات عديدة، وفي السنة أحاديث كثيرة تأمر بالعدل وتنهى عن الظلم وتقرن الأمر بالثواب والنهي بالعقاب. وقد عاقبت الشريعة الإسلامية بنصوص صريحة على جرائم محددة، وفيها نصوص أخرى تجيز العقاب على ما تقتضي المصلحة العامة تجريمه، ولا سبيل إلى تطبيق هذه النصوص إلا من خلال القضاء، والقضاء في الإسلام من أشرف الأعمال، بل هو من أفضل العبادات. وقد وليه الرسول ﷺ ومن بعده الخلفاء.

لذلك حدد الإسلام أحكام معاملة المتهم، وقرر جمهور الفقهاء منع ضرب المتهم لانتزاع الإقرار منه، قال الإمام أبويوسف القاضي: «ومن ظن به أو توهم عليه سرقة، أو غير ذلك، فلا ينبغي أن يعزر بالضرب، والتوعد، والتخويف، فإن أقر بسرقة أو بحد، أو بقتل، وقد فعل ذلك به، فليس إقراره بشيء، ولا يحل قطعه ولا أخذه بما أقر به» ونقل قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «ليس الرجل بمأمون على نفسه إن أجعته، أو أخفته، أو حبسته أن يقر على نفسه» (١)، ولأن الإسلام لا يقر أصلا الإقرار والاعتراف الناجم عن الإكراه، لقوله ﷺ: «إن الله وضع عن أمتي الخطأ، والنسيان، وما استكرهوا عليه» (٢)، ولم يرد دليلٌ صحيحٌ يبيح تعذيب المتهم، أو يسلبه حقوقه المقررة شرعا، مما لا مجال للتوسع فيه الآن.

وقد اهتم فقهاء الشريعة الإسلامية بالأدلة التي تثبت بها الحقوق ، وحصرها جمهورهم في ثلاث هي: الكتابة والبينة والإقرار. وبينوا- تفصيلا- شروط كل دليل وطريقة تحصيله واعتبروا هذه المسألة حكمًا شرعيًا.

ولما كان الحاكم أو القاضي هو المختص أصلا بالفصل فيما ينشأ من منازعات حول الحقوق فقد أوجب الفقهاء عليه التزام هذه الأدلة حتى أصبحت دستوره في الفصل في كل ما يعرض عليه من دعاوى أيا كانت طبيعة الدعوى.

تعريف المتهم

وردت كلمة «المتهم» في بعض الأحاديث النبوية والآثار، منها ما رواه عبدالرزاق في المصنف من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ مناديا في السوق: إنه لا يجوز شهادة خصم ولا ظنين. قيل: وما الظنين؟ قال: المتهم في دينه (٣).

وعن إبراهيم قال: «كان يقول لا تجوز شهادة متهم»(٤).

أما في عرف الفقهاء، فقد شاع استعمال لفظ «المدعى عليه» بدلا من «المتهم» أخذاً من «الادعاء» وهو: «قول يطلب الإنسان به إثبات حق على الغير»(٥).

وكما حرص الإسلام على حماية الحقوق الخاصة للإنسان حرص أيضا على حماية المجتمع، فليس للفرد أن يطغى على الجماعة تحت ستار حقوقه وحريته، كما ليس للمجتمع أن يطغى على الفرد ويظلمه، ويصادر حرياته بحجة دفع الضرر المحتمل عنه (٦).

فالمجتمع، بوصفه مجتمعًا يتمتع بحقوق مماثلة، فلابد من تحقيق الأمن للمجتمع وحماية مصالحه، ومنع ظهور الجريمة فيه، وإذا كان تحقيق هذه الحقوق يتوقف على الحد من تلك الحقوق التي يتمتع بها الفرد، أو إيقاف العمل ببعضها فإن ذلك يكون من قبيل ما تفرضه الضرورة، والضرورة تقدر بقدرها، فما تقتضيه الضرورة- إذن- يمثل الحد الذي يعطى- من السلطة- للمحقق على المتهم، فسلطة المحقق خروج عن أصل مقرر شرعا لتحقيق أصل آخر مقرر شرعًا لا يتم إلا بها.

ويثور السؤال إذن: ما هي الضمانات أو

الحقوق التي وضعتها الشريعة الإسلامية للمتهم والتي تمثل في الوقت ذاته قيودًا على سلطة التحقيق؟

قبل الإجابة على السؤال المطروح لابد أن نبين- أولا- سلطات المحقق، وهي سلطات غير مطلقة، لأنها من قبيل الاستثناء الذي لا يجوز القياس عليه، ولا يجوز التوسع فيه.

على أنه تختلف التشريعات المعاصرة في مدى ما تمنحه للمحقق من سلطات، كما تختلف في تحديد الأحوال والشروط التي يتقيد بها المحقق عند استعمال هذه السلطات، إلا أنها على أي حال لا تطلق يد المحقق، بل تحرص على تقرير عديد من الضمانات حماية للمتهم من جهة، ورعاية للنظام العام والآداب من جهة أخرى.

سلطات المحقق

فللمحقق- في سبيل الكشف عن الحقيقة أو تأمين التحقيق- أن يقبض على المتهم، وأن يفتش شخصه ومسكنه وأن يسجل أحاديثه الخاصة، وأن يضبط رسائله وأمتعته، وأن يحبسه احتياطيا.

واختلف الفقهاء فيمن له أن يصدر قرارات الحبس، فذهب الماوردي إلى أن سلطة المحقق تختلف باختلاف صفته، فإن كان حاكما أو قاضيا، واتهم لديه شخص بسرقة أو زنى فليس لهذه التهمة- عنده- من أثر، فلا يجوز له أن يحبسه حتى يكشف عن حاله، فيتحقق من براءته أو إدانته، أما إذا كان الناظر في التهمة الأمير أو والي الجرائم فله أن يأمر بالحبس إذا رأى التهمة قوية أو غليظة، وعليه أن يطلق المتهم إذا تبين أنها ضعيفة أو تافهة. وقد تبع الماوردي على هذا كثير من الفقهاء (٧).

و«الحبس الاحتياطي» جائز عند الحاجة إليه بشروط كثيرة، منها: ما يتعلق بالغاية

قرر جمهور الفقهاء منع ضرب المتهم لانتزاع الاعتراف منه

التي حبس المتهم من أجلها، ومنها ما يتصل بصفة الآمر بالحبس واختصاصه، ومنها ما يعود إلى الأمر به، ومنها ما يرجع إلى مدته. فهذه كلها أمور لولي الأمر مجال واسع لتنظيمها حسبما تقتضيه السياسة الشرعية في كل زمان ومكان (٨).

وللمحقق أيضا أن يسأل المتهم الأسئلة التي يرى أن الجواب عنها يساعد على كشف الحقيقة، وله أن يواجهه بالتهمة الموجهة إليه. ولكن ذلك لا يفرض على المتهم أن يجيب، فله أن يصمت عن الكلام كما سنبين ذلك فيما بعد.

ضمانات حقوق المتهم الشرعية

يحرص الإسلام على حماية الحقوق الأساسية للإنسان، وهو لا يفرق في هذه الحماية بين مسلم وغير مسلم. وبعبارة أدق فإن هناك حدا أدنى من الحقوق يثبت للإنسان بوصفه إنسانا فلا يجوز المساس به إلا لضرورة تعلو على ضرورة حمايته، وذلك مقتضى التكريم الذي ورد في قوله تعالى: ﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾ والحقوق التي يقرها الإسلام ويحميها عديدة، وأهمها حق الحياة وسلامة البدن والعرض والشرف والحرية الشخصية وحرمة المال والمسكن والحياة الخاصة بوجه عام، والآيات القرآنية والأحاديث النبوية في هذا الخصوص كثيرة. ولذلك فإن كفالة هذه الحقوق هي من صميم الشرع، والدولة مسؤولة عن حمايتها بحكم كونها القائمة على تطبيق هذا الشرع (٩).

غير أن هذا الأصل يقابله أصل آخر، وهو أن الحقوق كلها يمكن الحد منها أو حتى العصف بها نزولا على حكم الضرورة، ومن القواعد المجمع عليها في الفقه الإسلامي بل وعلى مستوى الفكر الإنساني أن الضرورات تبيح المحظورات وأنها تقدر دائما بقدرها.

وحق المتهم في هذه الأحوال يتمثل أولا في ألا يتخذ المحقق ضده إجراء يمس بحق من حقوقه إلا إذا كان في القانون نص يقرره، ولذلك فإنه لا يجوز حمله على الإجابة على أسئلة المحقق.

ويتمثل هذا الحق كذلك في أن تمارس سلطات التحقيق في حدودها القانونية، سواء من حيث الجهة التي خصها القانون بمباشرة الإجراء، أو من حيث شكله والأحوال الداعية لاتخاذه وشروط صحته وطريقة تنفيذه. «فإذا باشر المحقق إجراء يخرج عن نطاق اختصاصه أو في غير أحواله المقررة قانونا أو دون توفر شروطه أو تجاوز حدوده أو وكل تنفيذه إلى غير مختص وقع الإجراء باطلاً وثبت للمتهم الحق في التمسك ببطلانه وبطلان ما أسفر عنه، وقد تؤدي المخالفة- فضلا عن ذلك- إلى

ترتيب مسؤولية المحقق مدنيا أو إداريا أو جنائيا» (١٠).

فالشريعة الإسلامية- إذن- تمنع تفتيش الشخص والمسكن والتصنت لأحاديث الشخص، ومراقبته، والاطلاع على رسائله، واستباحة حياته الخاصة بأي شكل من الأشكال إلا إذا قامت دلائل أو قرائن تدل على علاقته بالجريمة، أما تقدير تلك الدلائل أو القرائن فمتروك للسلطة المنفذة لحكم الشرع، الفاقهة «الفاهمة» لتعاليمه وأحكامه.

كما أن على هذه السلطة أن تدرك أن هذه الحقوق ثابتة للإنسان بكتاب الله وسنة رسوله، وأن تقييدها أو الانتقاص منها خروج عن الأصل الثابت بالكتاب والسنُة لا يباح إلا لضرورة الكشف عن الجريمة، وحماية المجتمع من أن ينجو من العقاب فيه المجرمون، أو يحكم فيه على الأبرياء، «ولذلك فإنه لا يجوز لسلطة التحقيق أن تتجاوز ما تقتضيه الضرورة، وينبغي أن تراعى في كل ذلك الآداب الشرعية، فليس لرجل- مثلا- أن يقوم بتفتيش امرأة، أو اقتحام البيت على نساء أو نحو ذلك كإتلاف أموال، أو مصادرة حاجات لا صلة لها بالجريمة» (١١) وبشرط أن ينحصر الأمر في حدود ما تقضي به الضرورة «وعلى ذلك فالقيود التي ترد على حقوق المتهم تقابلها في الوقت نفسه قيود على سلطة المحقق، وهذه القيود من وجهة نظر المتهم تعتبر ضمانات» (١٢).

ويتبين مما سبق أن الحبس الاحتياطي جائز بوجه عام في الفقه الشرعي، ولكنه محاط بقيود منها ما يتصل بالغاية منه، ومنها ما يتصل بمدته، «وتلعب السياسة الشرعية دورا كبيرا في تحديد هذه القيود وتنظيم أحكامها، وليس في أصول الشريعة العامة ولا في نصوصها ما يحول دون تنظيم هذه المسائل على نحو يختلف باختلاف الزمان والمكان إذا اقتضت ذلك دواعي المصلحة العامة» (١٣).

حق الدفاع حق أصيل ينشأ منذ اللحظة التي يواجه فيها الشخص بالاتهام

وإذا كانت حرمات الإنسان واجبة الصيانة فذلك مشروط بألا يقوم من الأسباب ما يوجب الحد أو النيل منها، وقد بين القرآن هذا الشرط ضمنا حين قصر الإثم في آية الحجرات على بعض الظن ولم يبسطه على سائره. قال المفسرون: الظن في الآية هو التهمة، ومحل التحذير والنهي إنما هو تهمة لا سبب لها يوجبها. كمن يتهم بالفاحشة أو بشرب الخمر مثلا ولم يظهر عليه ما يقتضي ذلك. «ودليل كون الظن هنا بمعنى التهمة قوله تعالى: ﴿ولاتجسسوا﴾، وذلك أنه قد يقع له خاطر التهمة ابتداء ويريد أن يتجسس خبر ذلك ويبحث عنه، ويتبصر ويستمع ليتحقق مما وقع له من تلك التهمة، فنهى النبي ﷺ عن ذلك» (١٤).

وحاصل هذا القول أنه لا يجوز تفتيش شخص الإنسان ولا تفتيش مسكنه ولا تسجيل أحاديثه الخاصة ولا هتك أسراره بوجه عام لمجرد الاعتقاد بأنه ارتكب ما يوجب عقابه، لأن الاعتقاد المجرد ظن آثم، وهو لا يغني من الحق شيئا، ولا اعتبار لهذا الظن إلا إذا عززته أمارة صحيحة أو شهد على صحته دليل.

والذي يعنينا تقريره في هذا الخصوص أن الشريعة الإسلامية تحظر تفتيش الشخص والمسكن واستباحة الحياة الخاصة بغرض التحقق من وقوع الجريمة، «وإنما هي تسمح بذلك فحسب إذا قامت القرائن، أو الدلائل على وقوع الجريمة. وهذا الحكم من صميم الشرع، أما تقدير قوة القرائن ومدى كفايتها فمتروك للقائم على تنفيذ حكم الشرع» (١٥).

ولما كان من المقرر أن تقييد حقوق المتهم وحرياته هو خروج على الأصل نزولا على حكم الضرورة فإنه يتعين ألا يجاوز القيد مداه، ويتحدد هذا المدى بالغاية التي استوجبت فرض القيد وهو الكشف عن الحقيقة، فما لا تقتضيه هذه الضرورة لا يباح بل يظل على أصله من الحظر، وإذا اقتضت الضرورة تقييد حرية المتهم أو حق من حقوقه فإنه يتعين تنفيذ هذا الإجراء بطريقة مع الآداب الإسلامية. فإذا دعا الأمر إلى تفتيش أنثى فلا يحل لرجل أن يمس عورة من عوراتها. وهذا الشرط مسلم به، وهو عند المسلمين من البدهيات الشرعية.

على أن «المتهم» يتمتع بمجموعة أخرى من الحقوق- في ظل الشريعة الإسلامية- يمكن إيجازها فيما يلي:

أولا: حق الدفاع

حق الدفاع حق أصيل ينشأ منذ اللحظة التي يواجه فيها الشخص بالاتهام ويقصد بهذا الحق تمكين الشخص من درء الاتهام عن نفسه، إما بإثبات فساد دليله أو بإقامة الدليل على نقيضه وهو البراءة، والاتهام بطبيعته يقتضي الدفاع، فهو ضرورة منطقية له. ذلك أن الاتهام إذا لم يقابله دفاع كان إدانة لا مجرد اتهام، فهما في الحقيقة وجهان لمسألة واحدة. والاتهام كما قررنا يحتمل الشك بطبيعته، وقدر الشك فيه هو قدر الدفاع ومجاله، ومن اقتران الدفاع بالاتهام تبرز الحقيقة، وهي ما يسعى التحقيق إلى الكشف عنها، فكلا الأمرين عاجز وحده عن جلاء الحقيقة. «ولهذا السبب عينه فإن الدفاع لا يعتبر حقا خالصا للمتهم وحده، يمارسه إن شاء أو يهمله، بل هو حق للمجتمع وواجب عليه أيضا. وإذا كانت للمتهم مصلحة في ألا يدان وهو بريء، فحق المجتمع لا يقل عن حقه، لأن العدالة الجنائية والمصلحة الاجتماعية توجبان ألا تنزل العقوبة بغير الجاني،

وإلا تحملت الجماعة ضررين عقاب بريء وإفلات مجرم» (١٦).

والأصل في الدفاع أن يتولاه الشخص بنفسه، غير أنه يجوز له أن يستعين فيه بغيره، وفي هذه الحالة يكون للمدافع عن المتهم نفس حقوقه. ووجود المدافع لا يلغي دور المتهم ولا يغل يده في إبداء ما يشاء من وجوه الدفاع، لأنه الطرف الأصيل أما المدافع فنائب أو وكيل.

ولحق الدفاع مظاهر عديدة، منها (١٧):

١- حق المتهم في أن يعلم بالواقعة المسندة إليه، وبالأدلة القائمة ضده، وبالإجراءات التي تتخذ لجمع الأدلة لتحقيقها وتمحيصها، ويقتضي هذا الحق إخطار المتهم بمكان كل إجراء وزمانه وتمكينه من الحضور أثناء مباشرته والاطلاع على ما يثبته المحقق في أوراقه. وكل حق من هذه الحقوق قائم بذاته، فلا يجوز حرمان المتهم من حضور التحقيق بغير ضرورة اكتفاء بحقه في الاطلاع بعد ذلك على ما يتم في غيبته وما يسري على المتهم في هذا الشأن يسري على من يدافع عنه.

٢- حق المتهم في إبداء دفاعه للمحقق، سواء تعلق الدفاع بوقائع الدعوى أو بالقانون، وسواء كان تفنيدا لدليل إدانة أو إبداء لدليل براءة، ويتفرع عن ذلك حق المتهم في تقديم الطلبات والدفوع في التظلم أو الطعن فيما يصدر من قرارات، وفي الاستعانة بمحام أو بخبير فني أو في دعوة من يرى سماع شهادته أو في إجراء معاينة، ويتصل بذلك أيضا حقه في الاجتماع بمن يدافع عنه دون رقيب وفي التراسل معه وفي حصانة ما يرسله أو يسلمه إليه، وكذلك حقه في أن يستجوب وأن يواجه بغيره من المتهمين أو الشهود.

شروط دفاع المتهم

ولكي يمارس المتهم حقه في الدفاع عن نفسه يجب أن يكون على بينة من الواقعة المسندة إليه والأدلة القائمة ضده، وهذا يقتضي أن يحيطه المحقق علما بذلك، وفقهاء الشريعة متفقون على ذلك بالنسبة للدعاوى التي ينظرها الحاكم أو القاضي «وإذا كان إعلام المدعى عليه بما يطلب خصمه الحكم به عليه لازما في الدعاوى المدنية ودعاوى الأحوال الشخصية فهو ألزم بغير شك في الدعاوى الجنائية. وليس من المتصور على أي حال أن يسلم نظام قانوني بحق المتهم في الدفاع عن نفسه ثم يحجب عنه الواقعة المسندة إليه والأدلة القائمة ضده» (١٨).

«ويشترط أن يكون المتهم قادرا على الدفاع عن نفسه، فإن كان عاجزا عن ذلك لم تصح إدانته، لأن العجز عن الدفاع كالحرمان منه سواء بسواء. وقد بلغ تشدد فقهاء الشريعة في هذا الشأن حدا لم يبلغه المعاصرون من فقهاء القانون الوضعي، فالأحناف يمنعون عقاب الأخرس في الجرائم الخطيرة ولو اكتمل نصاب الشهادة ضده، وحجتهم أنه لو كان ناطقا فربما ادعى شبهة تدرأ الحد عنه، لأنه لا يقدر على إظهار كل ما في نفسه بالإشارة، فلو أقيم عليه الحد لم يكن ذلك عدلا لتحكم الشبهة» (١٩)..

أما استعانة المتهم بمن يدافع عنه فلا نجد في نصوص الشريعة ما يصرح بحظره ولا بإباحته، ولم يجر العمل أو لم يطرد على أن يحضر مع المتهم من يدافع عنه، وربما كان مرجع ذلك إلى أن القضاة كانوا يستشيرون الفقهاء فيما يغم عليهم، ولهذا لم تكن حاجة المتهم شديدة إلى الاستعانة بمن يقدم له الرأي الشرعي، غير أنه يلاحظ أن دور المدافع لا يقف عند هذا الحد، بل يشمل كذلك إبداء الرأي في مدى توفر شروط الحكم الشرعي في الواقعة، وفي مدى صحة أدلة الإدانة، كما يشمل إبداء الأدلة الواقعية المثبتة للبراءة، وعندنا أن أصول الشريعة الإسلامية- بغض النظر عن الواقع العملي- لا تأبى أن يستعين المتهم بمن يدافع عنه.

ثانيا: عدم الإكراه على الاعتراف

ومقتضى هذا الحق تمكين المتهم من إبداء أقواله في حرية تامة، ودون ضغط أو إكراه أو تعذيب أو خديعة، أو أي شيء يؤثر على الإرادة الحرة للمتهم، ويدفعه إلى الإدلاء بأقوال معينة كاستخدام العقاقير المخدرة، أو التنويم المغناطيسي أو غير ذلك.

وللمتهم كذلك الصمت والامتناع عن الإجابة عن كل أو بعض أسئلة للمحقق، وإذا أجاب، وتبين أن ما أجاب به كان كذبا فلا يعتبر شاهد زور، ولا يعاقب بعقابه.

وإذا أقر على نفسه بحق أو بحد فله الرجوع عنه، ورجوعه عن الإقرار مسقط لاعتباره مطلقا.

«فلا يجوز إكراه المتهم لحمله على الإقرار، قال ابن حزم: فلا يحل الامتحان في شيء من الأشياء بضرب ولا بسجن أو بتهديد، لأنه لم يوجب ذلك قرآن ولا سنة ثابتة ولا إجماع، ولا يحل أخذ شيء من الدين إلا من هذه الأصول الثلاثة بل قد منع الله تعالى من ذلك على لسان رسوله ﷺ بقوله: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم وأبشاركم عليكم حرام» فحرم الله- تعالى- البشر والعرض، فلا يحل ضرب مسلم ولا سبه إلا بحق أوجبه قرآن أو سنة ثابتة» (٢٠).

وإن من أهم شروط صحة الإقرار الاختيار، فالمقر مخير بصدق في إقراره لغلبة الظن برجحان صدقه على كذبه، إذ لا يتصور من العاقل أن يخبر عن نفسه بشيء يعرف أنه ضار بها ما لم يكن له ما يبرره.

ولعدم مشروعية الإكراه على الكلام ذهب جمهور العلماء إلى إبطال الإقرار الناجم عن ضغط، وعدم إيجاب أي شيء به.

ولاشك أن الراجح مذهب الجمهور

في منع الإكراه وفي إبطال آثاره، فذلك هو الذي يتفق مع ما ورد في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من وجوب إقامة الحق والعدل، وإقرار المكره ليس حقا، ومعاقبته بمقتضاه ليس عدلا، والذي يدرأ عن المجتمع الخطر حقيقة هو التزام الحق وإقامة العدل، وسد الذرائع إلى الباطل، واعتبار الإكراه وسيلة لإحقاق الحق ذريعة إلى شرور لا تحصى، وخطأ في عفو خير من إصابة بظلم.

ثالثا: الحق في محاكمة عادلة

ننتقل بعد ذلك للحديث عن جزئية أخرى من الضمانات الإسلامية لحقوق المتهم، ألا وهي «الحق في محاكمة عادلة» على نحو ما تقرره أحكام الشريعة الإسلامية الغراء، وذلك على التفصيل الآتي:

(أ) علانية المحاكمات

أ- الأصل في المحاكمات أن تكون علنية يحضرها من يشاء، والاستثناء أن تكون سرية إذا رأى القاضي مصلحة الطرفين في ذلك، خاصة قضايا الأسرة التي ينبغي أن يصان لأطرافها خصوصياتهم.

ب- وتوسيع نطاق العلانية بحضور وسائل الإعلام ونقلهم ما يجري في المحكمة يخرج بالمسألة من نطاق العلانية إلى نطاق النشر والإعلام الواسع الذي ينبغي الاحتياط لنتائجه، خاصة وأن المتهم بريء حتى تثبت إدانته (٢١).

(ب) المحاكمة دون تأخير

أ- يتنازع هذه المسألة اعتباران:

أحدهما: أهمية سرعة البت في القضايا لوصول الحق إلى صاحبه، وأهمية التأني لفهم القضية في جانبيها.. الشق المتعلق بالحقيقة أو الواقع والشق المتعلق بتطبيق القانون، وفي كل من الشقين أهمية إعطاء طرفي الخصومة المهلة اللازمة لتقديم أدلته ومناقشته أدلة خصمه، وبين هذه الاعتبارات يتحرك

لكي يمارس المتهم حقه في الدفاع عن نفسه يجب أن يكون على بينة من الأدلة القائمة ضده

القاضي وهمه الوحيد هو التوصل إلى الحقيقة وتطبيق الحكم الشرعي عليها دون إتاحة فرصة لأحد الخصمين للمماطلة دون مبرر.

ومن هنا كان تحديد المواعيد مما لا يمكن تعميمه، فيترك ذلك للقاضي ليقدر كل حالة بقدرها، فقد يؤخر الفصل إلى آخر المجلس أو يوما أو أياما أو أكثر من ذلك حسبما تقتضيه الظروف (٢٢).

استئناف الحكم أو إعادة النظر فيه في محكمة أعلى

أ- يتنازع هذا الموضوع اعتباران:

أحدهما: ضرورة استقرار الأحكام وما يترتب عليها من حقوق، وبالتالي أن يكون للحكم حجية كعلامة على الحق.

والثاني: ضرورة تصحيح ما يقع من خطأ، لأن القضاة بشر يجري عليهم الخطأ.

ب- وللتوفيق بين هذين الاعتبارين وجدت طرق الطعن المختلفة في الأحكام من معارضة واستئناف وتمييز والتماس إعادة النظر مما هو معروف في النظم القضائية المعاصرة.

ج- وقد عرفت الشريعة الإسلامية جميع طرق الطعن المعروفة حاليا وما جد الآن من تنظيم لهذه الطرق وتحديد مواعيد لها، وإن لم يكن قد تكلم فيه الفقهاء من قبل، إلا أن قواعد الفقه الإسلامي لا تنافيه بل تتفق معه (٢٣).

د- وإعادة النظر في الحكم تكون من نفس القاضي الذي أصدره أو من غيره من نفس درجته أو من درجة أعلى كقاضي القضاة أو ديوان المظالم أو الخليفة على حسب الأحوال (٢٤).

هـ- كما أن إعادة النظر تكون بناء على طلب المحكوم عليه أو بدون طلب، على حسب الأحوال.

و- أما الحالات التي يعاد فيها النظر في الحكم فيمكن تصنيفها إلى الآتي:

١- وجود خطأ مادي في الحكم، فيصحح من قبل القاضي الذي أصدره أو غيره (٢٦).

٢- وجود خطأ في استظهار القاضي لوقائع الدعوى بناء على ما قدم إليه من أدلة إثبات وأدلة نفي، وله حالتان:

■ حالة صدور الحكم في غيبة المدعى عليه، ثم حضوره بعد ذلك وتقديمه لأدلة نفي لم تكن أمام القاضي حين أصدر الحكم، فيمكن نقض الحكم الغيابي وإصدار حكم جديد من نفس القاضي الأول أو من غيره.

■ حالة صدور الحكم في حضور الخصوم، ووقوع القاضي في خطأ استظهار وقائع الدعوى، فيمكن نقض الحكم من قاض آخر من درجة أعلى من درجة القاضي الأول (٢٨).

٣- وجود خطأ في القانون وله حالتان:

■ مصادمة نص قطعي في الكتاب أو السنة، فينقض الحكم ممن أصدره أو من غيره من نفس الدرجة أو أعلى منها (٢٩).

■ بناء الحكم على رأي اجتهادي، فلا ينقض الحكم من قاض آخر لا من نفس الدرجة أو أعلى منها إذا كان له اجتهاد مغاير، بل ولا ينقض من نفس القاضي الذي أصدره إذا غير اجتهاده، وفي هذا وردت القاعدة الشرعية «الاجتهاد لا ينقض بمثله» وهنا يكون استقرار الأحكام واحترام حجية الشيء المقضي به (٣٠).

٤- عدم صلاحية القاضي لنظر الدعوى، إما لأن له مصلحة فيها، أو لأحد أقاربه أو أصدقائه أو أعدائه، أو لخروج الدعوى عن اختصاصه، فينقض

حكمه في جميع هذه الحالات (٣١).

٥- صدور الحكم من قاض جاهل إذا تبين جهله وعزل من منصبه لهذا السبب، أو من قاض يساير الحاكم الظالم- إذا تغير الحاكم أو مات وحل محله حاكم عادل- فتنقض الأحكام الصادرة منهما (٣٢).

ز- وفيما عدا هذه الحالات التي يجوز فيها نقض الحكم، فإن الحكم يكون له حجية الأمر المقضي، ويستثنى من ذلك الأعمال الإجرائية والمسائل الأولية فلا يكون لقرارات القاضي في هذه الأمور حجية، لأنها تصرفات داخل الخصومة أي قبل الفصل فيها (٣٣).

العقوبات الجماعية

تقرر الشريعة الإسلامية المسؤولية الفردية بنصوص صريحة في الكتاب والسنة، ولذلك فلا مجال للعقوبات الجماعية في الشريعة الإسلامية.

ولا يصح أن يلتبس هذا مع بعض الأحكام القائمة على أساس التضامن الاجتماعي كالعاقلة والقسامة، لأنها في مجال المسؤولية المدنية لا الجنائية، والمقصود منها التكافل في دفع التعويض المدني (الدية) لعدم تضييع حق المجني عليه أو ورثته (٣٤).

التدابير المتاحة لحماية الحقوق وتعويض الأضرار

المسألة المطروحة هنا هي أن لأطراف الخصومة حقوقًا، فما الجزاء المقرر لانتهاك هذه الحقوق؟ كما أن المجرى العادي لسير الخصومة قد يترتب عليه أضرار، فكيف السبيل إلى التعويض عنها؟

يحكم هذا الموضوع بضعة قواعد فقهية مقررة مثل قاعدة «لا ضرر ولا ضرار» (المادة ١٩ من المجلة) (×) وقاعدة «الضرر يزال» (المادة ٢٠ من المجلة) وقاعدة «خطأ القاضي في بيت المال» وغيرها (٣٥).

الهوامش

(١) الخراج، أبويوسف، ص١٧٥.

(٢) هذا الحديث رواه ابن ماجه (٦٥٩/١) والبيهقي (٣٥٦/٧) والدارقطني (١٧١/٤) وانظر: تلخيص الحبير (٢٨١/١) حقوق الإنسان في الإسلام للدكتور عدنان الخطيب، ص١١٤، وحقوق الإنسان في الإسلام «دراسة مقارنة» مع الإعلان العالمي والإعلان الإسلامي لحقوق الإنسان، للدكتور محمد الزحيلي، دار الكلم الطيب، دمشق، ط٢/، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، ص٣٨٣.

(×) المتهم في اللغة: من «تهم»، «تعب» تغير أو أنتن، يقال: «تهم اللبن أو اللحم» إذا أريد به ذلك.

ويقال: «تهم الحر» إذا اشتد مع ركود الريح. ويقال: إن تهامة مشتقة من الأول لتغير ريحها بانخفاضها عن نجد، وقيل: من الثاني لشدة حرها ولعله الأنسب. انظر: حقوق المتهم في الإسلام، بحث للدكتور طه جابر العلواني، مجلة المسلم المعاصر، ع/٣٥، رجب ١٤٠٣هـ- مايو ١٩٨٣، ص٥٠.

(٣) المصنف (٣٢٠/٨) وراجع السنن الكبرى للبيهقي (٢٠١/١٠)، وسنن الترمذي (٢٢٩٩)، وأدب القاضي للخصاف (١١٢/٢) و(٢٢٩/١).

(٤) انظر: المصنف (٣٢١/٨).

(٥) د. طه العلواني، البحث السابق، ص٥٠.

(٦) نفس البحث، ص٥٢.

(٧) د. طه جابر العلواني، البحث السابق، ص٥٣، والأحكام السلطانية، للماوردي، ص٨٣.

(٨) نفس البحث، ص٥٣.

(٩) الدكتور عوض محمد عوض، حقوق المشتبه فيه في مرحلة التحقيق، بحث بمجلة المسلم المعاصر، العدد الثاني والعشرون، جمادى الأولى والثانية- رجب ١٤٠٠هـ- أبريل-يونيو ١٩٨٠م، ص٢٣.

(١٠) د. عوض محمد عوض، البحث السابق، ص١٧.

(١١) د. طه جابر العلواني، البحث السابق، ص٥٥.

(١٢) د. عوض محمد عوض، حقوق المشتبه فيه في مرحلة التحقيق، البحث السابق، مجلة المسلم المعاصر، ع/٢٢/١٩٨٠، ص٢٤.

(١٣) نفس البحث، ص٢٨-٢٩.

(١٤) البحث السابق، ص٣٠.

(١٥) د. عوض محمد عوض، نفس البحث، ص٣١.

(١٦) د. عوض محمد عوض، البحث السابق، ص١٥.

(١٧) نفس البحث، ص١٦.

(١٨) د. عوض محمد عوض، البحث السابق، ص١٩.

(١٩) نفس المرجع، نفس الصفحة.

(٢٠) د. طه جابر العلواني، حقوق المتهم في الإسلام، مجلة المسلم المعاصر، سابق ذكره، ص٥٧-٥٨.

(٢١) د. جمال الدين عطية، الحق في محاكمة عادلة، المسلم المعاصر، العدد (٨٤) يوليو ١٩٩٧- المحرم- ربيع أول ١٤١٨ هـ، ص٨٤.

(٢٢) نفس المرجع، ص٩٢-٩٣.

(٢٣) مدكور، ص٥٨، زيدان، ص٢٧٨-٢٨٢.

(٢٤) مذكور ص٥٧، بندر ص ٣٢٣-٣٢٦، زيدان ص٢٧٥-٢٧٦، ٢٩٩-٣٠٩، البكر، ص٥٢٤-٥٣٧، ٢١٥-٢٢٢.

(٢٥) زيدان ص٢٧٦-٢٧٨.

(٢٦) مدكور، ص٥٨-٦٩، المناصف، ص٣٠٤، بندر ص ٣٢٢ - ٣٢٥، البكر ص١٨٦، في «د. جمال الدين عطية، البحث السابق، ص٩٥-٩٦».

(٢٧) زيدان ص١٥٢.

(٢٨) مدكور ص٦٠-٦٩، الزرقا ص١٠٤، الباحي ص١٧٧.

(٢٩) مدكور ص٥٩-٦٢،٦٣ الندوى ص٤١٢-٤١٥، المناصف ص٣٠٤، بندر ص٣١٥-٣١٧، ٣٢٥، رافت ص٤٣٥-٤٤٠/ ابن أبي الدم ص١١٢، الحصاف ص٢١٣، زيدان ص٢٧٠، البكر ص١٨٥.

(٣٠) مدكور ص٦٣، ٦٤-٦٨، الزرقا ص١٠٣-١٤٤، وفيه يذكر أن هذا فيما إذا كان القاضي مجتهدا، أما القاضي المقيد بمذهب معين فلو حكم بخلافه ينقض، وإن وافق أصلا مجتهدا فيه، انظر: أيضا الندوي ص١٣٠، ١٣٨، ١٩٧، ٢١٠، ٣٠٤، ٤٠٢-٤١٧، الباحي ص١٧٦، المناصف ص٣٠٤، بندر ص٣١٧-٣٢٠، الحصاف ص٢١٣، زيدان ٢٦٧-٢٧٠، البكر ص١٧٩-١٩٦. في «د. جمال الدين عطية، نفس البحث السابق».

(٣١) مدكور ص٥، ٥٩، ٦٠، ٦٢، المناصف ص٣٠٢-٣٠٤، بندر ص٣٢١-٣٢٦، زيدان ص٢٧١-٢٧٢، البكر ص١٨٥-١٨٧، الحصاف ص٢٥١، ابن أبي الدم ص١٠٧.

(٣٢) مدكور ص٥٩-٦٠، الباحي ص١٧٨، بندر ص٣٢٥-٣٢٦ ، زيدان ص٢٧٠، ٢٧٢، البكر ص١٨٦-١٨٧.

(٣٣) البكر ص١٩٢،١٩٠.

(٣٤) د. جمال الدين عطية، الحق في محاكمة عادلة، مجلة المسلم المعاصر، العدد (٨٤)، مصدر سابق، ص١٠٦.

(×) أي مجلة الأحكام العدلية.

(٣٥) نفس البحث، ص١١٢.

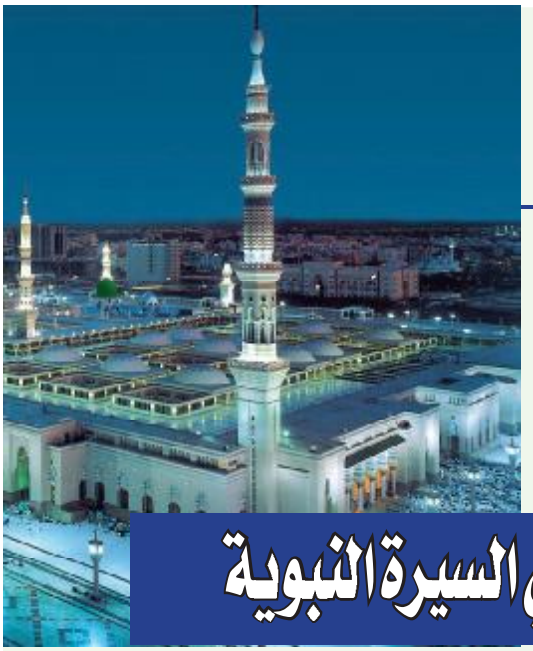

ربما كان لتنامي النظر المعاصر للإسلام الشامل، مع بزوغ فجر القرن العشرين تحديدًا، أثره الواضح في شيوع ما يمكن أن يسمى بالأبعاد الحضارية لاستلهام السيرة النبوية في التصنيف المعاصر، وهو الأمر الذي هيمن على مناهج التجديد في كتابة السيرة النبوية الطاهرة في الشرق والغرب معًا بسبب تطور الحياة المعاصرة، وتقدم المنهجية العلمية، وأهمية دراستها من زوايا نظر جديدة تتواءم مع طبيعة الدرس العلمي المعاصر.

الأبعاد الحضارية للتصنيف المعاصر في السيرة النبوية

د.خالد فهمي

إن أمرًا مهمًّا جدًّا كان له أثره في الكشف عن الأبعاد الحضارية في محاولات دراسة السيرة النبوية في التصنيف المعاصر، يتمثل في إرادة الشعوب العربية والإسلامية إحياء أوطانها وفق النموذج الإسلامي باعتبارها بلدانًا إسلامية يحكم وجدانها سياق عام يسيطر عليه الدين الإسلامي، ومن هنا صارت السيرة النبوية النموذج الحاكم الذي يتم استحضاره، تحقيقًا لاستقامة أحوال هذه المجتمعات المعاصرة بعد زمن طويل من الغزو الغربي من جانب، ومحاولات التشويه والاستبداد العلماني من جانب آخر.

لقد استُحضرت السيرة النبوية في الأوضاع الراهنة لتجاوز ضعف ظاهر، وكان أهم مبررات ذلك الاستحضار النجاح المبهر للنموذج النبوي كما تصوره السيرة النبوية في الانتقال النوعي بالحياة الإنسانية من عهودها المظلمة إلى عهود أخرى ترعى القيمة الإنسانية، وتوازن في تعاملها بين الشق المادي والشق الروحي للإنسان معًا.

ثمة أمر آخر كان له أثره المهم كذلك في الكشف عن الوجه الحضاري الكامن في السيرة النبوية تكفل به الدرس المعاصر لها، ألا وهو تنامي ظهور الحركات الإسلامية، ولا سيما التي تتبنى عن وعي حقيقي خيار الدعوة إلى الإسلام الشامل كمنظومة تشريعية قادرة على قيادة الحياة في أبعادها المختلفة.. التعبدية والأخلاقية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وفي مجال العلاقات الدولية وغير ذلك.

وقد كان للعلماء المنتمين لحركات النهضة والإصلاح منذ محمد عبده والأفغاني ورشيد رضا، ومحب الدين الخطيب، كان لهم أثر ظاهر في تطوير درس السيرة النبوية في التصنيف المعاصر، بما أتاحوه لهذا الدرس من نقلة نوعية من مرحلة كان المنهج التاريخي هو الغالب عليه إلى العناية بالكشف عن الأبعاد الحضارية لهداية المجتمعات العربية والإسلامية في هذه السيرة، لتحقيق كامل عودة الأمة إلى التصورات الإسلامية الحاكمة لحركة الإنسان في الحياة، وهي العودة الكفيلة بتحقيق تمدنه وارتقائه.

ومن هنا فإن النظر إلى السيرة والسنة النبوية باعتبارهما شيئًا واحدًا، وأصلًا عامًّا حاكمًا في ضبط حركة الإنسان المسلم على هذه الأرض، هو ما رشح استحضار النموذج النبوي الكريم لإعادة إحيائه في الواقع المعاصر المأزوم.

السيرة النبوية مصدرًا للحضارة

تعرف الحضارة في المعجمية العربية المعاصرة، على ما جاء في المعجم العربي الأساس(حضر٣٢٧) (طبعة لاروس سنة١٤٢٠هـ/١٩٩٩م) بأنها: «مجموع الخصائص الاجتماعية والدينية والخلقية والتقنية (أي: التطبيقية) والعلمية والفنية الشائعة في شعب معين».

وقد أدرك الدرس المعاصر أن السنة أو السيرة بما هي مرادفة للسنة تمثل مصدرًا للحضارة، وأن سيرة المصطفى ﷺ وتجربته في الحياة والقيادة والإرشاد نجحت في الانتقال بالعرب من مرحلة البداوة والهمجية والجهل والأمية إلى أجواء التمدن والارتقاء المادي والعلمي والأدبي والاجتماعي والفني والروحي.

ويكشف د.القرضاوي في كتابه «السنة مصدرًا للمعرفة والحضارة» (دار الشروق ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص ٢٠٣)، أن عددًا كبيرًا من أحداث الإسلام الكبرى كالهجرة مثلًا كان من مقاصده تحقيق الانتقال بالأمة المسلمة إلى مراحل الحضارة: «وقد كان من مقاصد الهجرة إلى المدينة التي فرضت على كل من أسلم من قبائل العرب قبل فتح مكة: إتاحة

كلية الآداب- جامعة المنوفية- مصر

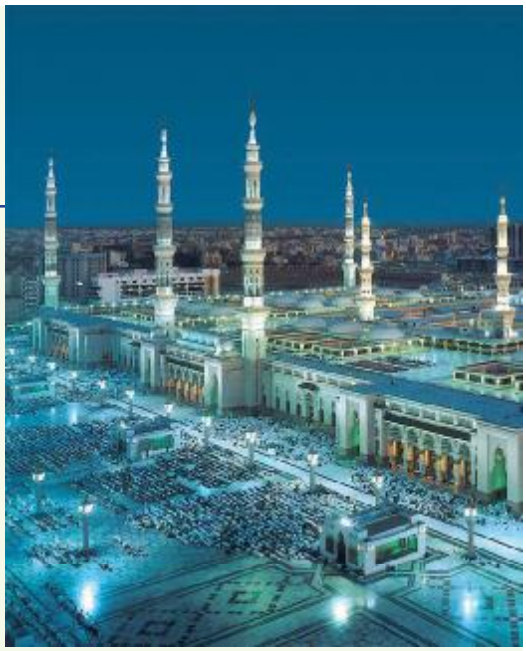

الفرصة لهم ليتعلموا ويتثقفوا بثقافة الإسلام الجديدة، التي تلزمهم بالجماعة والجمعة وتهيئ لهم حضور مجالس العلم، والتأدب بآداب الإسلام التي صبغ بها الحياة كلها، حتى في المأكل والمشرب والملبس والمشي والجلوس، وسائر شؤون الحياة كبيرها وصغيرها»، وجعل السيرة النبوية الشريفة تمثل في النظر العلمي قديمًا وحديثًا شرقًا وغربًا مصدرًا محوريًا لتحقيق الانتقال بالأمة من أجواء البداوة والوحشية والهمجية والتراجع إلى أجواء الارتقاء المادي والروحي معًا.

ومن ثم غدا النظر إلى السيرة النبوية بما مارسته في ميادين الزراعة والاقتصاد وتنظيم الأسواق، والعمارة، والتطبيب والمداواة، ومحاصرة الأمراض، وإجراءات الصحة العامة، وتدابير الحفاظ على البيئة وغيرها من جانب، وبما ورثاه عنها في ميادين السلوك الحضاري وطرائق التعامل وصنوف الاجتماعيات المختلفة من جانب آخر - أساسًا لازمًا في حركة المجتمعات العربية التي تمثل لها السيرة النبوية مرجعية هادية على طريق تمدينها وتحضرها، أو هكذا ينبغي أن تكون.

منهجية معالجة السيرة النبوية من منظور حضاري كلي

وقد كان ظهور منهجية معالجة السيرة النبوية في التصنيف المعاصر من منظور يرعى الأبعاد الحضارية بشكل عام وكلي أسبق زمنيًا من غيره، حيث عالج عددٌ من العلماء المعاصرين السيرة النبوية بأبوابها المختلفة على ترتيب أحداثها التاريخية مع العناية الظاهرة بما يمكن أن تقدمه من حلول للمشكلات المعاصرة، بحيث كان استحضار أحداث السيرة مقصودًا من ورائه استلهام ممارسات عصر النبوة الكريم للانتقال بالمجتمعات المعاصرة من وهدتها وتراجعها إلى أجواء المدنية والتحضر والارتقاء وتجاوز الضعف والانهيار.

وفي هذا السياق تأتي مؤلفات مهمة معاصرة استهدفت إحداث حراك نحو البناء الحضاري للأمة رقيًا وتقدمًا عن طريق استلهام أحداث السيرة باعتبارها نموذج قدوة قابلاً للنقل، وإعادة الاستحضار.

ومن أهم هذه المؤلفات:

مصطفى السباعي: في السيرة النبوية.. دروس وعبر.

محمد الغزالي: في فقه السيرة.

منير الغضبان: في المنهج الحركي للسيرة النبوية.

هذه المعالجات ومن يسير على منهجيتها تسرد أحداث السيرة وفق تتابع وقوعها تاريخيًا مع العناية بما يمكن استخلاصه واستلهامه لدفع القوة الحضارية للأمة في التاريخ المعاصر.

وقد ظهر من القراءة الدقيقة لهذه المعالجات ما يمكن أن يمثل قواعد حضارية حاكمة في مسيرة الأمة المسلمة، يمكن لمقتضيات المقام أن نذكر عددًا منها كما يلي:

المرونة في النقل عن الآخر الحضاري:

يقول مصطفى السباعي- رحمه الله- : «وفي قبوله ﷺ إشارة سلمان بحفر الخندق، وهو أمر لم تكن تعرفه العرب من قبل، دليل على أن الإسلام لا يضيق ذرعًا بالاستفادة مما عند الأمم الأخرى من تجارب تفيد الأمة وتنفع المجتمع، فلاشك أن حفر الخندق أفاد إفادة كبرى في دفع خطر الأحزاب عن المدينة، وقبول رسول الله ﷺ هذه المشورة دليل على مرونته ﷺ واستعداده لقبول ما يكون عند الأمم الأخرى من أمور حسنة».

وهذا التطبيق العملي واحد من الأبعاد الحضارية بالمعنى الذي تعرفه دراسات الحضارة، وهو دال على ضرورة تنبه الأمة في عملية النقل والتحديث إلى ما يجب مراعاته من ضوابط في هذا النقل.

احترام المنجزات الحضارية: ولو كانت للعدو باعتبارها تراثًا إنسانيًا، وتطبيقات هذه القاعدة الحضارية ماثلة وحاضرة حضورًا ظاهرًا في حروب المسلمين، فقد تواترت النصوص على النهي التام عن حرق النخيل، أو اقتلاع الأشجار، أو ردم الآبار، أو هدم المعابد، وهذه أمور مهمة جدًا تعكس الوجه الحضاري بأبعاده المختلفة الذي حرص التصنيف المعاصر في السيرة النبوية على تجليته وبيانه.

لقد كشفت دراسات السيرة النبوية وفق المنهجية الكلية أن للإسلام فضلاً كبيرًا في الحفاظ على التراث الإنساني بما أمر به ونفذه من حفاظه على المؤسسات والمظاهر الحضارية التي أنشأها الإنسان، ولو كان هذا المنجز الحضاري ناتج جهد أمة أو شعب معاد للمسلمين، تورط في حرب الإسلام ومواجهته، واستبقاء آثار الأمم المختلفة التي تعرضت لحركة الفتوحات الإسلامية خير شاهد على هذه القاعدة الحضارية.

احترام قيم العلم والمعرفة: وهذه القاعدة الحضارية ماثلة كذلك في معالجات السيرة النبوية الكلية في العصر الحديث، حرص الدارسون على الكشف عن تطبيقاتها، مثل منير الغضبان عندما وقف طويلاً أمام تطبيقاتها في المناقشات التي سبقت قرار الهجرة إلى

الحبشة تحت عنوان ظاهر الدلالة على هذه القاعدة، وهو «اختيار الأرض.. وسرية التجمع فيها والهجرة إليها»، وهو الأمر الذي يحكمه تمامًا في حديثه المباشر للحركة الإسلامية المعاصرة على ما يقرره مثلًا (١/١٨٥) عندما يقول: «والحركة الإسلامية اليوم وهي تقتدي برسول الله ﷺ في إنشاء دولتها لابد أن تراعي هذه المعاني وتفقه دروسها».

هذه ثلاث فقط مما أسميه بالقواعد الحضارية الحاكمة التي حرص المصنفون المعاصرون في السيرة النبوية على بيانها، والكشف عنها؛ لتكون تقدمة بين يدي نهضة شعوب العالم الإسلامي، شريطة الاستحضار الواعي لمعالمها المختلفة.

منهجية معالجة السيرة النبوية من منظور حضاري جزئي

وفي مرحلة تالية لظهور منهجية معالجة السيرة النبوية من منظور حضاري كلي ظهرت دراسات انشغلت بمعالجة قطاعات جزئية تفصيلية خاصة بموضوع معين من قطاعات الدرس الحضاري لهذه السيرة، منها دراسات تعنى بمعالجة السيرة للجوانب التعليمية أو التربوية، أو لجوانب الطعام والمطعومات والتغذية، أو أنماط الملابس ووظائفها النفعية والجمالية، أو خصائص التطبيب والتداوي ومميزاته، أو البعد السياسي، أو الدبلوماسي، أو الأمني، أو النفسي... إلى غير ذلك من الموضوعات التفصيلية الداخلة في المفهوم الشائع للحضارة.

والحق يقضي بأن نقرر أن العلماء على اختلاف تخصصاتهم أسهموا في خدمة هذه المنهجية الجزئية الحضارية في معالجات السيرة النبوية في العصر الحديث؛ بمعنى أن علماء السنة والسيرة مع علماء الطب مع علماء الأمن والسياسة، مع علماء التخصصات المختلفة، كل في مجاله تعاونوا جميعًا على الكشف عن

سيرة المصطفى ﷺ نجحت في الإنتقال بالعرب من مرحلة الهمجية والبداوة إلى أجواء التمدن والإرتقاء

الأبعاد الحضارية الكامنة في السيرة النبوية.

وقد نبه عدد من علماء الشريعة والسنة إلى أن الكشف عن هذه الأبعاد الحضارية ظل محكومًا ومحدودًا بما يمكن تسميته بالإطار الإرشادي للأمة.

يقول العلامة د.القرضاوي: إن عددًا من هذه الأبعاد الحضارية داخل في إطار ما يطلق عليه الأصوليون بأمر الإرشاد ونهي الإرشاد، ثم يمثل على ذلك فيقول (ص ٦٦) من كتابه السنة النبوية مصدرًا للمعرفة والحضارة: «وفي رأيي أن جل الأحاديث المتعلقة بالوصفات الطبية وما في معناها... هي من باب الإرشاد»، والمعنى الذي يبتغيه من وراء هذه الاستلهامات هو أن الأمة في رحلة انتقالها لمراحل الحضارة يلزمها تطبيق القواعد الحضارية الكامنة وراء هذه التفصيلات، فيلزمها العناية بالطب والاقتصاد والزراعة والتعليم ووضع الخطط التفصيلية، كما كان يفعل عصر النبوة الكريم في هذا السياق مما حقق للعرب الانتقال من أجواء الهمجية والوحشية إلى آفاق رحبة من التمدن.

وفي هذا السياق التفصيلي الجزئي تأتي المعالجات التالية لتكشف عن الأبعاد الحضارية في مناطق تفصيلية تمثل مصابيح على الطريق في العصر الحديث؛ وفيما يلي رصد لرؤوس بعض الموضوعات التي عالجها التصنيف المعاصر في السيرة النبوية:

١ – **في تكوين الإنسان وبنائه الذاتي**: صفاء الابتداء والبدء النابض للجيل الصاعد، لعبدالفتاح شاهين، ومنهج النبي ﷺ في تربية جيل النصر، لعبدالرحمن البر.

٢ – **في منهجية التعليم**: السمات العشر للنبي المُعَلِّم، لعبدالرحمن البر.

٣ – **في التغذية وأنواع الطعام وجلب فوائده وتجنب مضاره**: التغذية النبوية، لعبدالباسط محمد السيد، والأطعمة والأشربة في عصر الرسول ﷺ، لمحمد بن فارس الجميل.

٤ – **في الملابس ووظائفها**: اللباس في عصر الرسول ﷺ، لمحمد بن فارس الجميل.

٥ – **في مجال الأمن السياسي**: تأملات إعجازية للنبي ﷺ في مجال الأمن السياسي، لصادق حسين.

٦ – **في المجال الإعلامي**: الإعلام في صدر الإسلام، لعبداللطيف حمزة.

٧ – **في المجال النفسي**: الحديث النبوي وعلم النفس، لمحمد عثمان نجاتي.

٨ – **في مجال البيئة والحفاظ عليها**: محمد عليه السلام رائد الحفاظ على البيئة، لفرانسيسكا دوشاتل، ترجمة إبراهيم عوض.

٩ – **في الدبلوماسية والمفاوضات**: الدبلوماسية النبوية، لعبدالرحمن أبي المجد.

في هذه المجالات التسعة، والتي هي قابلة للزيادة بلاشك، يظهر لنا أمرٌ مهم جدًا متمثل في الوعي المعاصر بما يمكن أن تقدمه السيرة النبوية إذا ما عولجت من منظور حضاري يرعى أمر الارتقاء بالأمة.

وتؤكد هذه الدراسات على أن تحقيق التمدن للمجتمعات الإسلامية يلزمه فحص السيرة النبوية واستخلاص القواعد الحضارية في المجالات التفصيلية، واستلهامها لدعم مسيرة هذه المجتمعات المعاصرة وفق تحكيم المرجعية الإسلامية، كما تعرضها دراسات السيرة النبوية.

لغة وأدب

رؤى نقدية

العمل الحقيقي للناقد الأدبي يبدأ حيث ينتهي الأديب، فلا نقد مجديًا لنص لم يستو على سوقه، لأنه لا يتصور أن تساير الحركة النقدية عملًا أدبيًا في طور التكوين أو النشر المتتابع في حلقات، ذلك أن الصورة النقدية التحليلية ينبغي أن تبنى على نظرة كلية شاملة بينة، فالأدب ليس كالمواد المعملية التي يمكن أن تؤخذ منها عينة تصدق نتائج تحاليلها على سائر الأجزاء، وهذا بالطبع لا يمنع تحليل الأجزاء الأدبية على حدة، بعد إدراك الترابط الفني بينها والوقوف على لبنات نسيجها وروابطها.

كما أن توثيق النص وإخضاعه لأطر التحقيق العلمي من أهم وأولى أعمال الناقد، إذ ذلك بمنزلة تثبيت الأرض التي يقف عليها، حتى لا يبنى نقده على شفا جرف هار، ثم على الناقد بعد هذا أن يقرأ النص بلسان منتجه وبفكره، لا وفقا لرؤيته هو أو فكره، وتأتي بعد ذلك مرحلة الكشف عما يمكن أن يشترك فيه النص من مشاعر وخلجات نفس مع الشريحة العريضة من المتلقين، وكلما ازدادت حصيلة ذلك الكشف اتسعت فرصة وصول العمل الأدبي إلى ساحة الخلود، لأن تلقي النص بشعور الملكية والذاتية من قبل القارئ هو السبيل الأوحد وجواز السفر إلى غاية الخلود.. ذلك بعضٌ من كل وللحديث بقية.

التحرير

منطلقات تعليم اللغة العربية في الوطن العربي

(شراكة الخصائص و هوية المجتمع)

د. بليغ حمدي إسماعيل

يقول ابن جني عن اللغة العربية: «إنني تأملت حال هذه اللغة الشريفة الكريمة اللطيفة، فوجدت فيها من الحكمة والدقة والرقة ما يملك علي جانب الفكر، حتى يكاد يطمح به أمام غلوة السحر، فعرفت بتتابعه وانقياده على بعد مراميه وآماده صحة ما وفقوا لتقديمه منه، ولطف ما أسعدوا به، وفرق لهم عنه، وانضاف إلى ذلك وارد الأخبار المأثورة بأنها من عند الله، فقوي في نفسي اعتقاد كونها من الله تعالى، وأنها وحي».

يؤكد ابن فارس أن لغة العرب أفضل اللغات وأوسعها، قال تعالى ﴿بلسان عربي مبين﴾ (الشعراء: ١٩٥)، فوصفه بأبلغ ما يوصف به الكلام وهو البيان، وقال تعالى ﴿خلق الإنسان علمه البيان﴾ (الرحمن: ٣-٤)، فقدم سبحانه وتعالى ذكر البيان على جميع ما توحد بخلقه وتفرد بإنشائه من الخلائق المحكمة والنشايا المتقنة، فلما خص الله اللسان العربي بالبيان عُلِم أن سائر اللغات قاصرة عنه وواقعة دونه.

وقد تأكد أن القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الذي احتفظ بلغته الأصلية وحفظها على قيد الحياة، وسيحفظها على مر الدهور، وستموت اللغات الحية المنتشرة اليوم في العالم، كما ماتت لغات حية كثيرة في سالف العصور، إلا العربية فستبقى بمنجاة من الموت وستبقى حية في كل زمان مخالفة النواميس الطبيعية التي تسري على سائر لغات البشر، ولا غرو فهي متصلة بالمعجزة القرآنية الأبدية، فالكتاب العربي المقدس هو الحصن الذي تحتمي به اللغة العربية وتقاوم أعاصير الزمن وعواصف السياسة المعادية ووسائلها الهدامة.

وقد اختصت اللغة العربية بعدة سمات وخصائص ميزتها عن باقي وسائر اللغات، واهتم الباحثون وعلماء اللغة بتحديد خصائصها المتعددة، ومن هذه الخصائص

لماخص الله تعالى اللسان العربي بالبيان عُلِم أن سائر اللغات قاصرة عن البيان

الترادف، ويعني الغنى والثروة مثل السعة التي تعني الجدة، والميسرة، واليسار، والزيد، والترياس، والجدا، والأتراب، والوفر، ومن خصائصها المشترك اللفظي ويراد به اللفظ الواحد له أكثر من معنى مثل الحوب: الإثم، الأخت، البنت، الحاجة، المسكنة، الهلاك، الحزن، الضرب، رقة الفؤاد، الأم.

واعتبر الباحثون في اللغة أن من خصائص العربية خصيصة التضاد، وهو ضرب من ضروب الاشتراك، إذ يطلق اللفظ على المعنى ونقيضه: البسل: الحلال، والحرام، بلق: فتح الباب كله وأغلق بسرعة، الحميم: الماء البارد والحار، المولى: العبد والسيد، الرس: الإصلاح والفساد، الرعيب: الشجاع والجبان.

ومن خصائص العربية أيضا وفرة أصواتها؛ فاللغة العربية بمقاييس علم الألسنة تعد أوفى اللغات جميعًا من حيث وفرة الأصوات؛ وذلك بمقياس بسيط لا خلاف فيه، وهو مقياس جهاز النطق في الإنسان، فالعربية تستخدم هذا الجهاز على أتمه وأحسنه، ولا تهمل وظيفة واحدة من وظائفه كما يحدث ذلك في أكثر الأبجديات اللغوية، فلا التباس في العربية في حرف من حروفها بين مخرجين، ولا مخرج من مخارجها بين حرفين.

ويرى اللغويون أن أكمل اللغات تلك التي انتظمت قواعدها الصوتية والصرفية وقواعد التركيب والعبارات، ثم يضاف إجمالاً وفي المفردات على التعميم، كالتمييز بين المذكر والمؤنث والجماد، وبين المفرد والمثنى والجمع، وبين جمع القلة وجمع الكثرة، وبين الصفات العارضة والملازمة، وهي جميعًا من المزايا التي توافرت في اللغة العربية على مثال لم تسبقها إليه لغة من لغات الحضارة.

أما الاشتقاق فيعد من أبرز وأهم الخصائص اللغوية التي تميز اللغة العربية عن غيرها من اللغات السامية، فالاشتقاق يعطي المتكلم من الأوزان بمقدار ما يحتاج إليه من المعاني المحتملة على جميع الوجوه، والمتكلم هو صاحب الشأن في اختيار الكلمة المناسبة على حسب أغراضه من الكلام واحتمالات تفكيره، ومن ثم يقوم الاشتقاق بدور مهم في تنويع المعنى الأصلي، إذ يكسبه نواحي مختلفة من

رئيس قسم اللغة العربية- صندوق تطوير التعليم- رئاسة مجلس الوزراء المصري

مبالغة وتعدية، ومطاوعة، ومشاركة، ومبادلة.

ولاشك في أن الاشتقاق أكبر مصدر لثراء اللغة العربية، وتطويعها لاستيعاب كثير من المستحدثات والمعاني الجديدة، كما أنه مصدر من مصادر الموسيقى فيها، ويشير عباس محمود العقاد إلى أن الاشتقاق هو السليقة الشاعرة في اللغة العربية، وأن للاشتقاق- بجانب قيمته في تنمية اللغة وتطويرها وتوسيعها لمطالب الحياة- أثره في مجال الإحساس الجمالي بموسيقى الكلمات فيها.

والنحت يعد من خصائص اللغة العربية، وهو من وسائل تنمية اللغة والتوسع في دلالات كلماتها، ويعني انتزاع كلمة جديدة من كلمتين أو أكثر تدل على معنى ما انتزعت منه، مثل «البسملة» من «بسم الله الرحمن الرحيم»، و«إنما» من إن وما.

ومن خصائص اللغة العربية أيضًا ثبات الحروف الأصلية الثلاثة في كل مادة مهما يطرأ على الكلمة من تبدل في اشتقاقها وصيغتها كحروف (ع ل م)، فإن جميع الألفاظ التي اشتقت أو يمكن أن تشتق من هذه المادة كالعلم والعلوم والعلماء، والاستعلام، والمعلومات، والمعالم، والإعلام، تثبت فيها تلك الحروف الثلاثة، ويقابل ثبات الحروف الثلاثة ثبات المعنى الأصلي والمفهوم المشترك بين الألفاظ.

ويعد التعويض من سمات اللغة العربية التي يتناساها العامة وبعض المتخصصين في علومها، وهو يعني إقامة الكلمة مقام الكلمة، كإقامة المصدر مقام الأمر، نحو: « صبرًا آل ياسر فإن موعدكم الجنة» والفاعل مقام المصدر، نحو: ﴿لَيسَ لِوقعَتِها كَاذِبَةٌ﴾ أي تكذيب، والمفعول مقام المصدر، نحو: ﴿ بِأَيِّكُم المَفتُون﴾ أي الفتنة، والمفعول مقام الفاعل، نحو

﴿حِجَابًا مَستُورًا﴾ أي ساتر.

وإذا كانت خصائص اللغة العربية تعد من أبرز منطلقات تعليم اللغة العربية، فإن دراسة طبيعة المجتمع أساس جوهري من أسس بناء منهج اللغة العربية، فالأفكار والمعتقدات الرئيسة، والقيم المتعارف عليها اجتماعيا، وأساليب العمل، وغير ذلك من الخصائص التي تميز طريقة الحياة، تعد مصدرًا رئيسًا للفلسفة التربوية وللأهداف والمحتوى في أي مجتمع وفي أي فلسفة، ومن أجل هذا نادى علماء التربية بضرورة ربط التعليم بمتطلبات المجتمع وظروفه ومشكلاته.

والمجتمع العربي عبارة عن أمة موحدة متجانسة موصولة التاريخ منذ أقدم العصور، وهذا المجتمع الكبير تنظمه جماعات صغيرة متفاوتة القدر والعمر، ولهذه المجتمعات الصغيرة، أو لهذه النظم الاجتماعية علاقات ووظائف مثلها في ذلك مثل الجوارح والأعضاء في الجسد الحي، يكمل بعضها بعضًا. ولهذا المجتمع العربي الكبير خصائص تميزه عن غيره من المجتمعات الأخرى، وإن كان يشترك معها في المشكلات التي ترتبط بظروف الحياة فيه، ومنهج التربية الإسلامية يتفاعل مع خصائص المجتمع ويقدم حلولا لمشكلاته.

ويعد المجتمع العربي مجتمعًا قديم النشأة، تمتد جذوره في أعماق التاريخ، وكانت حضارته من أقدم الحضارات العالمية التي اكتشفت الزراعة، وشيدت المدن، وعرفت نظام الدولة، وابتعدت عن الثقافة البدائية وارتبطت بالثقافة الراقية المتحضرة، وعبر العصور التاريخية تعرض المجتمع العربي لتغيرات سريعة وعميقة شاملة ومتلاحقة لمجريات الأمور الحياتية فيه، مما كان له أكبر الأثر في كل نواحي الحياة العربية، وبالرغم من هذه التغيرات التي حدثت وأثرت في المجتمع العربي فإنه احتفظ بمجموعة من السمات والخصائص التي اتسمت بالأصالة والمعاصرة والثبات.

فمن خصائص المجتمع العربي أنه مجتمع متدين، فالتدين يضرب بجذوره في أعماق المجتمع العربي منذ القدم، ولقد كانت سمة التدين في الشخصية العربية سببًا رئيسًا في إكسابها الروح الوطنية والفداء وجعلها سمة من سماتها، ولعل العدد الهائل من الشهداء الذين افتدوا الإسلام منذ القدم حتى أواخر القرن العشرين يؤكد وحدة وترابط هذا الوطن منذ مئات السنين، وأن تلك الروح الوطنية والفدائية التي رسخت في قلوب المسلمين لدليل على إيمانهم بدينهم وليس كواجب وطني فقط.

وتعد سمة الكرامة من سمات المجتمع العربي، حيث عرف العربي المسلم بالحفاظ على كرامته، والدفاع عنها بكل ما أوتي من قوة، فعلى مرّ العصور التي تعرض فيها الإنسان العربي لألوان الاستغلال والقهر لم يخضع للطغاة والإقطاعيين، بل قاومهم وقام بالثورات احتجاجًا على سوء معاملتهم، وقدم الشهداء أرواحهم في سبيل دينهم ووطنهم وأرضهم، وسمة الكرامة هي التي دفعت المجتمع العربي المسلم لتحدي القهر

الخارجي وهضم الغزاة والمستغلين.

ومن الملامح الرئيسة للمجتمع العربي المسلم تمسكه بالعادات والتقاليد الطيبة وحرصه على ممارسة الفضائل التي اكتسبها من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة مثل الصدق، والإحسان إلى الفقراء، وإغاثة الملهوف، والبر، والوضوح والصراحة، والدأب والمثابرة، والوفاء، والنزوع المستمر إلى النفع والخير بلا تفريق، وكذلك التطلع الأصيل إلى الكمال، ويتجلى ذلك في الإنجازات الحضارية، وكذلك الجسارة في مواجهة المجهول وفي تحمل المخاطر.

ومن أبرز سمات المجتمع العربي المسلم سمة الصراحة، وهي سمة حضارية تنبعث من الدين الإسلامي الحنيف، ونجد أيضا سمة الوسطية والاعتدال والتعقل، وقد أكسبت سمة الوسطية الشخصية العربية الإسلامية القدرة على الجمع بين الماضي والحاضر والمستقبل، والمعاصرة والتراث والاقتباس، والدين والعلم، وهذا يؤكد على عدم التطرف أو التعصب أو الغلو والبعد عنه بشتى الصور.

ويواجه المجتمع العربي المسلم تحديات في حاضره ومستقبله، وهي تختلف عما تواجهه المجتمعات الأخرى، منها ما هو فكري، ومنها ما هو اجتماعي، ومنها ما هو اقتصادي، ومنها ما هو سياسي، ومن أبرز هذه المشكلات التي تواجه المجتمع العربي الأمية الدينية، وتعني الجهل بأمور الدين، وعدم العلم به، أو الفهم الخاطئ لتعاليمه، والعلم ببعض جوانبه، وإهمال الجوانب الأخرى، ومن الواضح أن الفهم الخاطئ للإسلام ينطلق من تفسيرات مغلوطة لتعاليمه، وهذه التفسيرات تجعل منه دينًا جامدًا منغلقًا متقوقعًا لا يقوى على مسايرة الزمن، ولا يراعي متغيرات الحياة.

ولعل هذه الأمية الدينية ترجع أيضًا إلى ضآلة مكانة التربية الدينية الإسلامية في المدرسة في بعض البلدان العربية، حيث احتلت اهتمامًا قليلًا في المنهج المدرسي، من حيث قلة ما يعطى للتلاميذ خلال المراحل الدراسية، إذ لا يفي الغرض المطلوب، وعدم ارتباط ما يقدم بمراحل نمو المتعلم وواقع حياته.

وإذا كنا نتحدث عن المنطلقات التي يرتكز عليها تعليم اللغة العربية بوطننا العربي، فإن الكفاءة اللغوية تحتل مكانة بارزة في التنظيم المعرفي لهذه المنطلقات؛ لأن اللغة تعد أرقى ما لدى الإنسان من مصادر القوة والتفرد، ويؤكد علماء اللغة على أهمية الكفاءة اللغوية كأساس معرفي للأفراد، وذلك انطلاقًا من أن كثيرًا من أشكال التفكير وحل المشكلات تحدث في غيبة منبهات خارجية، وعملية التجريد إلى رموز لفظية تمدنا بوسائل التفكير وطرائق حل المشكلات.. ولقد تطور خلال القرن العشرين عدد من النظريات التي حاولت أن تحدد القدرات التي تكون ما يسمى بالكفاءة اللغوية.

وقد ظلت النظرية اللغوية عبر السنوات السابقة إلى عهد قريب- نسبيًا- تعتبر الكفاءة اللغوية مساوية لمعرفة مفردات اللغة ونحوها وصرفها، وكان أول الأطر النظرية التي حاولت وصف الكفاءة بناء على هذا التصور هو نموذج لادو (١٩٦١) وكذلك نموذج كارول (١٩٦١) الذي بيّن فيه المكونات الثلاثة للغة- حسب رأيه- وهي: النحو والمفردات ونظامي الأصوات والكتابة، وقد فصلها عن المهارات اللغوية الأربع، لكن كلا الباحثين لم يتطرقا إلى العلاقة بين مكونات الكفاءة اللغوية والمهارات.

ثم شرع اللغويون وعلماء الاجتماع ينظرون بإمعان إلى دور اللغة في سياقها الاجتماعي وحددوا عناصر «فوق لغوية» يعتقد أنها تؤثر على شكل اللغة المستعملة، وبدأ هذا التحول منذ أن أدخل برانسلاف مالينوفسكي (١٩٣٢) الأخصائي بعلم النفس الإنساني، واللغوي فيرث (١٩٦٤) عبارة «سياق الموقف اللغوي» context of situation مشيران إلى الواقع المحيط بالموقف اللغوي على شكل اللغة.

وفي علم اللغة افترض دي سوسير (١٩١٦) وجود وجهين للمعرفة اللغوية، أولهما الكلام، وثانيهما الكفاءة اللغوية، ثم جاء تشومسكي (١٩٦٥) ليصف نوعين من القدرة اللغوية يشبهان إلى حد بعيد الكلام والكفاءة اللذين قدمهما دي سوسير، والكلام هو ما يظهر من اللغة للأذن أو العين بما في ذلك الأخطاء والهفوات وسوء الاستعمال، أما الكفاءة فتعني ما يعرفه الناطقون باللغة ضمنيًا وبالسليقة عن لغتهم.

وفي ظل هذا التسارع البحثي المحمود تعددت مسميات الكفاءة اللغوية، واتفقت جميعها في المضمون والمعنى، فمن مسمياتها الكفاءة في اللغة، والخصوبة اللغوية، والقدرة اللغوية العليا، والتمايز بين القدرات، والقوة في اللغة.

أما بالنسبة للمصطلح نفسه فقصد به القدرة على التقاط المعاني اللغوية والعقلية والوجدانية والثقافية التي تصحب الأشكال اللغوية المختلفة، والسليقة أو الملكة التي تجعل للفرد من الحس اللغوي ما يميز به بين أشكال الفهم والإفهام، وتعني الكفاءة اللغوية تزويد الطلاب بالمهارات اللغوية التي تجعلهم قادرين على فهم طبيعة اللغة والقواعد التي تضبطها والنظام الذي يحكم ظواهرها.

ويرى عالم اللغة نوستراند (١٩٩١) الكفاءة اللغوية على أنها الاتصال اللغوي الفعال الذي يشمل تحويل الرسائل اللفظية إلى علاقات إبداعية تعتمد على الاستنباط الجاد حتى يصبح الاتصال عادة جيدة.

وبرغم تعدد التعريفات المتعددة لمفهوم الكفاءة اللغوية إلا أن معظمها يشير إلى امتلاك الفرد للمهارات اللغوية والقدرات المعرفية التي تضبط اللغة، وتفيد الاتصال الفعال، والتي يمكن استخدامها في مواقف محددة لإنجاز أعمال خاصة، كما أن التعريفات السابقة تؤكد على الدور

الاتصالي للكفاءة اللغوية، وتتعدى معرفة قواعد اللغة إلى الاستعمال الصحيح والسليم للغة ومهاراتها، بالإضافة إلى معرفة الفرد الضمنية بقواعد اللغة التي هي قائمة في ذهن الناطق باللغة، والكامنة وراء الفعل الكلامي.

وفي صدد اهتمام علماء اللغة بدراسة الكفاءة اللغوية بزغ مفهوم جديد هو مفهوم الوظيفة اللغوية، التي تعد مكونًا مهمًا من مكونات الكفاءة اللغوية، وتركز هذه الوظائف على جانبين من اللغة؛ الجانب العقلي، والجانب الاجتماعي، فالفرد يستخدم اللغة أحيانًا لكي يعبر عن نفسه ومشاعره وأفكاره، ويستخدمها في الوقت نفسه بهدف التواصل مع غيره من أفراد مجتمعه، كما أن استخدام الفرد للغة لا يكون فقط لحل مشكلة معينة، بل يعد وسيلة من وسائل الراحة وتقليل الاضطراب وكسر حاجز الاغتراب بين الفرد وبين من يشاركه الحديث.

ومن الوظائف اللغوية- كمكون من مكونات الكفاءة اللغوية- تيسير دفة الأمور، وتصريف شؤون المجتمع الإنساني، ومن أنصار هذا الاتجاه العالم الأنثروبولوجي مالينوفسكي الذي يؤكد على هذه الوظيفة للغة، وهي الجانب الاجتماعي الاتصالي لها، ويرى أنها وسيلة لتنفيذ الأعمال وقضاء حاجات الإنسان.

ويرى عدد من علماء اللغة من أمثال هنري سويت، وسابير، وجفونز أن وظيفة اللغة الأساسية تنحصر في أنها وسيلة إنسانية خالصة لتوصيل الأفكار والانفعالات بكفاءة عن طريق اتباع نظام دقيق من الرموز التي تصدر بطريقة تلقائية، وفي ضوء ذلك يرى أصحاب هذا الاتجاه أن اللغة تؤدي ثلاثة أغراض هي: الاتصال، والتفكير، والتسجيل، ولقد اتسم عقد الثمانينيات بموجة جديدة من الاهتمام والتركيز على اللغة الاتصالية، أي تدريس اللغات الثانية بهدف نهائي هو القدرة على الاتصال بمحدثيها الأصليين،

الكفاءة اللغوية تحتل مكانة بارزة في التنظيم المعرفي لمنطلقات تعليم العربية

وانصب هذا التركيز على مهارات التحدث والاستماع، وعلى مهارات الكتابة لأغراض اتصالية محددة، وعلى قراءة النصوص الأدبية.

وتعتبر الكفاءة اللغوية من أبرز أهداف تعليم اللغة، ويعدُّ استخدام المتعلم للغة بدقة في مواقف اتصالية إنتاجًا واستقبالاً من أهم مؤشرات التعلم الجيد، وهذا ما يؤكده كثير من التربويين وعلماء اللغة من ضرورة تدريب الطلاب على مهارات الكفاءة اللغوية قبل منحهم إجازة التخرج، حيث إن تدريب الطلاب على استخدام مهارات الكفاءة اللغوية يسهم في تحقيق التواصل الفعال، واكتساب المهارات اللغوية من استماع وتحدث وقراءة وكتابة، ومن ثم القدرة على إكسابها لأقرانهم وذويهم بعد ذلك، كما أن هناك حاجة ماسة لتدريب الطلاب على الكفاءة الاتصالية في أثناء إعدادهم- كمعلمين- في كليات التربية، حيث إنها تؤدي دورًا مهمًا في تحصيلهم اللغوي بصفة عامة.

وبهذا تتضح أن الكفاءة اللغوية ليست ترفًا في العملية التعليمية يمكن الاستغناء عنها، وإنما تعد من أهم المناشط التعليمية اللغوية، والتي لها أهميتها البالغة، وفائدتها الكبيرة بالنسبة للطلاب، تلك الأهمية التي تدفع إلى الاهتمام بتعليمها، وتشجيع الطلاب على تعلمها، والحفاظ عليها، وإتقان مهاراتها وفنياتها الأساسية اللازمة لإجادة اللغة، وحسن توظيفها.

وتشير جميع الكتابات اللغوية في القرن الواحد والعشرين إلى أن كل استراتيجيات تعلم اللغة موجهة نحو الهدف الأسمى وهو الكفاءة اللغوية، وذلك يتطلب تفاعلاً واقعيًا بين المتعلمين باستخدام اللغة في سياق ذي معنى، حيث إن استراتيجيات التعلم تساعد الطلاب على المشاركة بصورة فعلية في عملية الاتصال، وتلك الاستراتيجيات تعمل في أشكال عامة وأخرى خاصة على تطوير الكفاءة الاتصالية.

ومن مظاهر اهتمام علماء اللغة والتربويين بالكفاءة اللغوية تحديد مهاراتها المختلفة، ومستوياتها وأنماطها، وكذلك تحديد الأساليب والإجراءات التي تسهم في تنميتها لدى الطلاب، ولقد تعددت الدراسات العلمية والكتابات التربوية والمحاولات اللغوية التي اهتمت بتحديد مهارات الكفاءة اللغوية.

وإذا كانت الدراسات التربوية وأدبيات تعليم اللغة قد أشارت إلى تحديد مهارات الكفاءة اللغوية في مهارات تتعلق بالقراءة (الفهم القرائي)، والصحة اللغوية (القواعد والتراكيب)، والكفاءة الاتصالية التي تشمل الكتابة، وكفاءة الخطاب، وكفاءة المفردات، والجودة اللغوية، فإن هذا يرجع إلى اشتمال مهارات الفهم القرائي على عدة مهارات فرعية أخرى تتعلق بالجودة اللغوية مثل: التفسير، والتحليل، والنقد، والاستنتاج، وتقويم النص، وتحديد الأفكار الرئيسة، وتلخيصها، والعناية بالمعنى أثناء القراءة، ومهارة كفاءة فهم المفردات كمهارة رئيسة تتضمن عدة مهارات فرعية مثل: تذوق الكلمة ونقدها داخل السياق اللغوي، والوعي بها، وإدراك العلاقات المتعددة بين الكلمات، والاشتقاق، والتضاد، والمقابلة، واستخدام المعجم.

ومما يلفت النظر في وقتنا الحاضر- رغم ما تم ذكره من أهمية الكفاءة اللغوية- أننا نرى المتعلم يدرس اللغة العربية سنوات طويلة، وعلى الرغم من ذلك فإننا نراه بسيط الفكرة لا يعبر، ملتوي اللسان لا يبين، مضطرب القلم لا يُفهم، عاجزًا عن إقامة فقرة لغوية صحيحة، أو التعبير عن أفكاره بلغة خالية من الأخطاء.

أثر السياق في التنوعات الأسلوبية في القرآن الكريم

عثمان إسماعيل حسين

نشطت في الآونة الأخيرة مباحث الدراسات اللغوية بكل اتجاهاتها، وأخذت الرسائل العلمية تستلزم في مناهج البحث بها تحري الدقة والتي تصل إلى درجة المبالغة التي تخدم ذات الموضوع، ومن هنا كان لزامًا على الباحث أن يكون مسلما في ذاته بثقافة الموضوع الذي يريد الولوج إلى عالمه مهما يواجه من عقبات وتحديات تفرض عليه التأني والاتئاد والتريث، خصوصا إذا كان الموضوع يتصل بالدراسات القرآنية مما يجبر الباحث أن يعيش عالمًا من التراث برؤية عصرية في خوف وإشفاق.

من هذا المنطلق كانت رسالة الدكتوراه التي تقدم بها الباحث رجب عبدالفتاح إلى قسم علم اللغة بكلية دار العلوم جامعة المنيا تحت عنوان «أثر السياق في التنوعات الأسلوبية في القصص القرآني.. دراسة تحليلية»، وتأتي أهمية الدراسة لكونها تتصل بكتاب الله الحكيم الذي لا ينضب بحثًا ولا إعجازًا حتى يوم الساعة، فهو المنهل والمورد لكل من يريد أن يروي ظمأه ويبل صداه، والأمر الثاني هو المغامرة الشديدة التي تحملها الباحث متحديًا في صبر شديد اقتحام عالم اللغة عامة وهذا المبحث خاصة حيث تحمل ما تحمل في سبيل ما يصبو إليه، فجاءت الرسالة ناطقة بمعاني الهيبة والوقار والقيمة العلمية، ما يجبر المتلقي على الاطلاع عليها فهمًا وتذوقًا.

تقع تلك الرسالة في أربعمائة وثلاثين صفحة، هدفها العلمي هو دراسة السياق بنوعيه اللغوي والمقامي في تنويع الأساليب في القرآن الكريم، وقسم الباحث رسالته إلى مقدمة وثلاثة فصول.

- تناول في الفصل الأول أثر السياق في التنوعات الأسلوبية في الجملة الاسمية وجاءت في ثلاثة مباحث.

المبحث الأول: التنوعات الأسلوبية في الأنماط الرئيسية، وبه دراسة أثر السياق فيها.

المبحث الثاني: تناول فيه التنوعات الأسلوبية في الجملة الاسمية في الأنماط المحولة وبه وصف للصورة وأثر السياق فيها.

المبحث الثالث: تناول الباحث الأسلوب في الجملة الاسمية المنفية ودراسة أثر السياق فيها.

- أما في الفصل الثاني: فقد تحدث في الجمل الإنشائية، وبه أربعة مباحث.

المبحث الأول: دراسة التنوعات الأسلوبية في الاستفهام، وبه وصف ودراسة لأثر السياق فيها.

المبحث الثاني: فقد تناول فيه التنوعات الأسلوبية في الأمر وبه وصف لصورة ودراسة لدور السياق في التنوع.

المبحث الثالث: فقد درس التنوع الأسلوبي في النهي، وبه وصف لأنماطه وتحليل لدور السياق في تنوعها.

- واختتم الباحث الفصل **بالمبحث الرابع** وتناول فيه التنوعات الأسلوبية في النداء، وبه وصف لأنماط وتحليل لدور السياق في تنوعها.

مما سبق يتضح لنا أن الباحث بذل مجهودًا ضخمًا في تحليل مئات الآيات القرآنية من خلال السياق اللغوي والمقامي، مبينًا أثر ذلك في صور الاختصار والتوسع وأنواعه وصور التشابه

أديب إسلامي

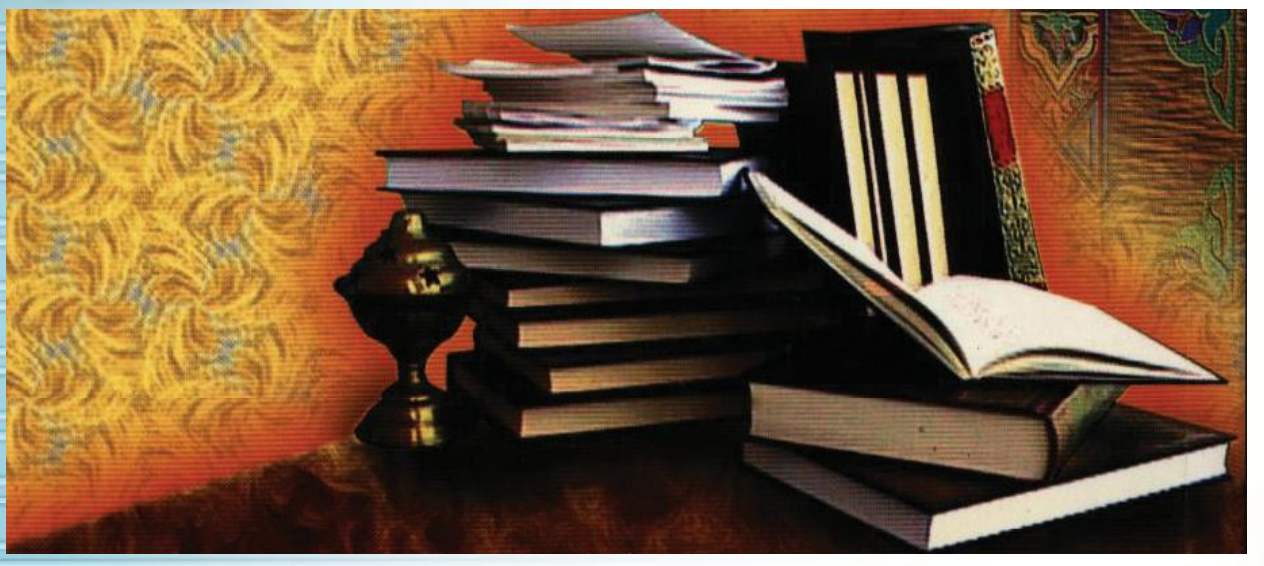

والتخالف إلى غير ذلك من الدراسات الجادة التي اشتمل عليها البحث.

ومن خلال تلك الدراسة القيمة توصل الباحث إلى ما يلي من نتائج:

إن المبتدأ بصورة الضمير هو الأكثر استعمالاً في كل من الجملة الاسمية والجملة الفعلية.

إن التضمين ينقل الفعل من اللزوم إلى التعدي ومن التعدي إلى اللزوم.

إن الاسمين الكريمين (الله) و(رب) إذا اخبر عن أي منهما لزم أن يتعدد الخبر إلا إذا كان الخبر مجردًا من (أل).

إن التنوع الأسلوبي بين الجملة الاسمية والفعلية وكذلك التنوع المعجمي بين العناصر اللغوية لا يكون إلا وفق متطلبات السياق، من مثل التركيز على الحركة في جملة ﴿فإذا هي حية تسعى﴾ والتركيز على الشكل في جملة ﴿فإذا هي ثعبان مبين﴾.

إن خروج العناصر اللغوية المكونة للجملة عن النسق المألوف أو عن القواعد التي قننها النحاة يكون تبعًا لحاجة المتكلم ومقتضيات السياق.

إن خروج الجملة عن نسقها المألوف

أهمية الدراسة تأتي لكونها تتصل بكتاب الله الحكيم الذي لا ينضب بحثاً ولا إعجازاً

ليس انحرافًا ولا انتهاكًا ولا انزياحًا كما يسميه اللغويون المحدثون، وإنما هو استغلال لإمكانات اللغة وطاقاتها التعبيرية غير المحددة.

إن جرس الحروف يرتبط بالسياق، فكلمة مثل الفعل «حصحص»، بحروفه المتكررة له علاقة بالسياق الذي يعبر عن ظهور الحق بصورة متكررة بحيث لا يمكن إنكاره.

إن امتداد الصورة بالحرف له علاقة بالسياق بشقيه كما في الفعل (جاء) في جملة ﴿فجاءته إحداهما تمشي على استحياء﴾، «إذ لا يصلح مكانه الفعل أتى».تبين من الدراسة أن معنى الفعل (جاء) يختلف في الدلالة المعجمية عن معنى الفعل (أتى) مع أن بعض القدماء ساوى بينهما.

دلت قرائن الحال والمقال على أن الفعل (واعد) يتعين في استعماله تحقق اللقاء بين المتواعدين، أما الفعل (وعد) فلا يكون فيه ذلك ولا يشترط وقوعه.

إن نداء الاسم الكريم (رب) سقطت مع أداة النداء في كل آيات القرآن الكريم إلا في موضعين ذكرا على سبيل الحكاية.

ثم اختتم الباحث رسالته بالخاتمة، ثم قائمة المصادر والمراجع، وملخص باللغة الانجليزية، وبعد مناقشة استمرت قرابة الخمس ساعات أفاض فيها الباحث عن علمه وثقافته وقراءاته وأبدع فيها الأساتذة المناقشون من فيض علمهم الغزير.فقررت اللجنة برئاسة الأستاذ الدكتور صلاح الدين مصطفى بكر الأستاذ بكلية دار العلوم بجامعة الفيوم، منح الباحث درجة دكتوراه مع مرتبة الشرف الأولى.

المُغَلَّفُ الأخير

علي محمد محاسنه

في طريق عودته من صلاة الفجر كان يجهد في الوصول إلى أحق المحتاجين.. وهؤلاء في نظره هم عمالُ النظافة الذين يجمعون النفايات ويكنسون الشوارع في تلك الساعة بلباسهم البرتقالي المميز بالشرائط الفسفورية العاكسة للضوء ليظهرهم في ساعات الليل وما قبل الشروق - وهم على حد علمه في أغلبهم- منا، ولكن من شرق آسيا.

عبدالرحمن الشاب المهندس مأخوذ بالتنظيم المبدع كما يحلو له أن يسميه.. وقدرات الحاسوب ونظرية الاحتمالات.. ولكن لابد من خطة عمل.. والأفضل هنا وبالتأكيد ألا تعلم الشمال ما تفعله اليمين.. وهكذا كانت البداية.

السلام عليكم يا عبدالرحمن، فيلتفت العامل ليرد السلام، فيضيف عبدالرحمن المهندس متسائلًا: أنت عبدالرحمن أم...؟ فإن كان كذلك فبها وإذا كان الاسم غير ذلك صححه المسؤول.. فيتأكد حينها أنه من عباد الرحمن.. وتحقق المقصود.

ظل عبدالرحمن يفعل ذلك منذ رمضان قبل الماضي، لكن منذ الليلة الثالثة من رمضان هذا العام.. والحديث المركز عن الفوز والجوائز.. والأضعاف المضاعفة.. والملايين، اكتشف أن هناك من هو أمهر أو أذكى منه فقرر اتباع طريقة جديدة، في منتصف المسافة بين بيته والمسجد عند شجرة السدر العملاقة المجاورة لمدرسة الصّدّيق، وقد بدأ النور يغمر المكان، لمح عَلَى الأرض مغلفًا مميزًا مكتوبا عليه بحروف كبيرة، «رسالة عاجلة إليك، لا تتركني على الأرض!» أثار ذلك فضوله، التقط المغلف فقرأ على وجهه الآخر «افتح المغلف، فيه هدية حلال لك، خالصة

أديب وكاتب أردني

من أخ لك، عبدالرحمن الثاني»، هكذا الثاني! داخل المغلف وجد رسالة قصيرة، «هذه ورقة نقد (من فئة العشرة دنانير) من أخيك، أرجو أن تشهد لي معك يوم نلتقي فتعرفني وأعرفك، وهذه رفيقتها (العشرة الأخرى) أمانة عندك، لك أن تهديها إلى مسلم آخر تختاره، أو تأخذها خالصة لك أيضًا، ولك خالص شكري، وسوف نلتقي حتمًا بإذنه تعالى».

أحس بفرح طفولي عميق، هذه طريقة أفضل، أسرع الخطى إلى البيت، وخلال أقل من ساعة قبيل الشروق جهز خمسة مغلفات بالطريقة الجديدة (الأفضل) للفجر التالي.

طوال ساعات النهار الطويلة، ثم الإفطار، والعشاء والتراويح، فالقليل من النوم، ثم المسير إلى مسجد «أبوعبيدة»، كان يتحرق بشوق لبدء الطريقة الجديدة، انطلق بهمة وفرحة في العمق، وبيده مغلفات ذلك الفجر، وقد أضاف إلى عنوان كل منها حروفًا انجليزية لتسهيل الأمر.

قبل مدخل المسجد، انعطف الى اليمين، اقترب من مجمع حاويات النظافة حيث يتحتم قدوم عمال الزي البرتقالي في الصباح.. وبعناية، وزع المغلفات على الأرض، متباعدة في الاتجاهات الأربعة، لعل أكثر من يد أو اثنتين تلتقط بعضًا منها، ثم واصل بخطوات راضية هادئة إلى المسجد، وفي صدره شوق لمتابعة مرحلة ما بعد الفجر وقبيل الشروق..!

مع أول خطوة له خارجًا من المسجد، بدأ يستنشق نسمات من سعادة غامرة لم يلمح على الأرض أيًا من المغلفات التي ألقاها بين المسجد والسدرة، لكن بعد السدرة بدا له ما يشبه مغلفًا وحيدًا باقيًا في مكانه، أحس ببعض القلق للحظات، اقترب وألقى نظرة، فرح، فلم يكن من مغلفاته، واصل المسير خطوات أخرى، كانت شاحنة النفايات الضخمة وعمالها بالزي البرتقالي يحملون أكداس النفايات، لم يكن على الأرض أي من مغلفاته، فرح أكثر، واصل في خطوات أخرى إلى موضع آخر مغلفاته، وجده في ذات المكان، اقترب وبنظرة جانبية حدق في المغلف فتأكد من عنوانه، نعم كان منها.. أسرع مبتعدًا وعيناه من لحظة لأخرى صوب المغلف، لعله يرى بعينه لحظة ينتظرها، أكملت الشاحنة مهمتها وتعلق بها العمال بالزي البرتقالي ومضت بهم بعيدًا، تمنى لو جاء من يلتقط المغلف المتروك.

أخرج من جيبه أشياء راح يفتعل النظر فيها، انتظر ومرت دقائق.

من الجهة الأخرى هذه المرة، من

خلفه مر أحدهم له بشرة سمراء يرتدي إزارًا آسيويًا، كاد يدوس المغلف، انحنى والتقطه، بدأ يحاول القراءة، لم يظهر على ملامحه ما ينبئ بأنه فهم المكتوب، التفت فوجد عبدالرحمن قريبًا منه وعيناه تريان ما يجري، اقترب صاحب الإزار على استحياء وتواضع، وبتلطف قال بلكنة مألوفة مع ابتسامة متوسلة، «هذا ممكن أنت يشوف، هذا أمانة، أنا ما يعرف»، ناوله المغلف واستدار منصرفًا، لكن عبدالرحمن المتحفز لا يدع فرصته تفلت هكذا، لحق بأخيه ذاك مع أول خطوة له واضعًا يده برفق على كتفه، «لحظة يا عبدالرحمن»، أنا.. أنا أرشد.. أرشد خان»، ولم يستسلم عبدالرحمن، واسم أبيك.. فيضيف أرشد... بابا الكبير عبدالرحمن خان، وهنا بابتسامة عريضة هتف عبدالرحمن، «أيوه يا أرشد، هذا لك، شوف.. عبدالرحمن يعني أنت.. أكيد أكيد».

لكن أرشد لم يبدو مقتنعًا بهذا التفسير.. هكذا.. هز رأسه مع ابتسامة متواضعة ورد المغلف شاكرًا معتذرًا عن عدم قبوله.. أحس عبدالرحمن بشيء من الخذلان.. دارت في رأسه دواليب البحث بسرعة هائلة.. كيف؟ ما هذا الفشل؟

«انتظر يا أرشد.. تعال.. سأفتح المغلف سنجد فيه ورقتين من فئة العشرة دنانير.. ورسالة إلى عبدالرحمن» هذه هدية لك مني في رمضان.. أنا عبدالرحمن.. وأنت كذلك.. كان قصدي ألا يراني بشر وأنا...

لكنك...

بإصرار فتح المغلف وأخرج الورقتين والرسالة.. يريد إثبات...

راح يقرأها لأرشد.. ابن عبدالرحمن خان.. وبحرارة وود يضع الورقتين في كفه متوسلًا.. أن يقبلهما!

جناحا الثقافة.. الأدب والعلم

لمّا تزل العلاقة بين الأدب والعلم مثار جدل وخلاف، فمازال كثيرون يرون أنهما نقيضان لا يجتمعان، ويستغربون ويستهجنون، بل ويستنكرون على من يجمع أو يدعو إلى الجمع واللقاء المشترك بينهما، وبناءً على ظن، وإن الظن لا يُغني من الحق شيئًا، توهم البعض أن ثمة نزاعا بين هذين الرافدين الثقافيين، وكيف للمرء أن يطير بهما؟ يكفيه جناحٌ واحدٌ منهما، لكنه سيبقى على الأرض لا يستطيع التحليق في السماء.. سماء الأدب والعلم معا.

ليس من شك في أن للأدب ذاتيته وموهبته، وللعلم موضوعيته ونسقه. الأدب رحم منه يولد الناس، ودنيا فيها يعيشون ويكبرون، يتشوقون ويضحون، يحبون ويكرهون، يفرحون ويحزنون، ينتصرون ويهزمون، يسعدون ويتألمون، يبدعون ويجسدون، يحلمون ويتطلعون، ثم يموتون. وللعلم تجريداته ونظرياته، معادلاته ورياضياته، مصطلحاته ومختبراته، كيمياؤه وفيزياؤه، ذراته ومجراته، أحياؤه وجيناته، رموزه وآثاره العقلية والتقنية والاجتماعية المباشرة وغير المباشرة... الخ. للأدب عالمه الخاص من العقائد والآراء والدوافع والمشاعر والأفكار والثقافات.. عالم التواصل الشفهي والكتاب، عالم اللغات وإيحاءاتها وتلميحاتها، وغموضها ووضوحها، وشعرها ونثرها، جميلها وبديعها، وآثارها المتنوعة فكرًا ووجدانًا، ثقافة وعرفانًا. وللعلم طرائقه في البحث، وأسلوبه ونهجه في التفكير، سواء أكان موضوعه الفيزياء أو التاريخ، الطب أو الفلسفة أو غيرهما.

لقد ظن البعض أن من يدرس الأدب «أديب»، وأن دارس العلم «عالم»، لكن شتان بين الدراسة والممارسة. فعبر حضارتنا العتيدة كان ومازال لدينا مفكرون وأدباء

حضارتنا العربية الإسلامية أنتجت علماء عباقرة لم يكن لديهم فاصل بين أدب وكيمياء وفلك وطب وحساب وشعر

وشعراء وفنانون لهم أياديهم وأفكارهم وآرؤهم ومدارسهم ودراساتهم العلمية. وهناك أطباء ومهندسون وكيمائيون... الخ يُقرضون الشعر، ويكتبون المقال والقصة والرواية والمسرحية، ويبدعون في الفنون التشكيلية... الخ.

إن المتأمل يلاحظ أن العقل الإنساني غير محدود بقدراته وإدراكاته وما يمكن للإنسان أن يتقنه في حياة واحدة، فالمرء يمكنه إتقان أكثر من لغة، ويتبحر في علوم ونحويات وبلاغة لغته الواحدة الخاصة، ويتقن في ذات الوقت أصول الحساب والجبر والرياضة العقلية، وبالتدريب والمران والممارسة يمكنه إتقان علوم مختلفة وأمثلة وشواهد الماضي العربي والمسلم تثبت ذلك.

لقد أنتجت حضارتنا العربية الإسلامية علماء عباقرة أفذاذًا موسوعيين، لم يكن لديهم ثمة فاصل بين أدب وفلسفة، وكيمياء وفلك وطب، وحساب وشعر، وموسيقى وفكر. فمن «الكندي» فيلسوف الفلاسفة العرب، و«الفارابي» المعلم الأول، و«أبوالريحان البيروني» العالم الموسوعي، و«الخوارزمي» أول من اخترع الصفر، و«عمر الخيام» الشاعر والفيلسوف «اللغز»، ونظرياته في الهندسة الجبرية، و«ابن رشد» الفيلسوف الطبيب، و«ابن خلدون» العبقري «السوسيولوجي»، و«الإدريسي مؤسس علم الجغرافيا، و«ابن بطوطة» أمير الرحالين، و«ابن حزم» درة الأندلس وإمامها الأشهر... الخ. ومن «الرازي» الطبيب الفيلسوف، و«جابر بن حيان» أبوالكيمياء، و«الزهراوي» أبوالجراحة، و«ابن سينا» الشيخ الرئيس، و«البتاني» بطليموس العرب، و«ثابت بن قرة» إقليدس العرب، و«ابن البيطار» أعظم عباقرة الأعشاب والنباتات والصيادلة العرب، و«ابن الجزار القيرواني» الطبيب الماهر، و«ابن النفيسط» إمام الطب، و«ابن الهيثم» أمير النور والبصريات، و«ابن باجة» الطبيب والفيلسوف، و«عباس بن فرناس» أول كابتن طيار في التاريخ، وصولًا إلى د. «إبراهيم ناجي»، د. «أحمد زكي»، د. «رشدي راشد»، د. «مصطفى محمود»، د. «أحمد مستجير»، د. «عبدالوهاب المسيري»، د. «عبدالمحسن صالح»، د. «محمد المنسي قنديل»، وغيرهم كثير.

لقد كانوا في مختبراتهم، ومشفاهم، ومعاهدهم وجامعاتهم، يصولون ويجولون، يمزجون ويختبرون، يشرّحون ويعالجون، يدرسون

ويحاضرون، يقيسون ويشيدون، كما نراهم في مكاتبهم ومكتباتهم يحللون الكلمات، ويستخرجون المعاني، ويصوغون الأفكار والرؤى والفلسفات، يبدعون الأشعار والقصص والروايات. لقد كانت «الفلسفة» كذهنية منطقية ومنهجية عقلية تحليلية كانت رابطا وقاسما مشتركا بينهم وبين علومهم المختلفة التي أتقنوها.

ولعل تجربة كل من «الفراهيدي»، و«سيبويه» أبلغ شاهد في هذا المضمار. فالاثنان نظرا في الآثار الأدبية نظرة العالم الباحث عن القوانين الدينامية التي تقف خلف «عمل النظام»، فأنتج الأول علم العروض، وأبدع الثاني علم النحو، وكلاهما علمان صرفان يخضعان للمنطق الرياضي. في حين أن هناك من لا يزال يدرس «المقالة النقدية» كضرب من ضروب الإبداع الأدبي، لها سماتها الإبداعية الخالصة، ولا تنتمي بصلة إلى العلوم الصرفة.

يقول د. «أحمد زكي» موضحا نهجه العلمي/ الأدبي: «الفارق بين العلم والأدب مفتعل، وهو أكثر افتعالا في الشرق. فكل كاتب في الشرق مفروض أن يكون أديبًا ولو كان عالمًا.. ومن غرائب الشرق أن يستغرب أن يكون العالم أديبًا» (حديث الزمان، د. أحمد زكي، كتاب الهلال، العدد: ٦٠٣، مارس ٢٠٠١، ص:١٧، مصر).

إلى متى الجفوة بل الجفاء؟

الحلول للمشاكل المتنوعة تكون إبداعية بقدر ما يتوافر فيها سمات: الأصالة، والمرونة، والطلاقة، ومن هذه العناصر يمكن فهم عملية الإبداع الأدبي، فعلى الأديب أن يستخدم ذات الأدوات التي استخدمها الآخرون وينصاع لذات القوانين التي اتبعوها وينتج عملا مبتكرا أصيلاً. لكنه لن يستطيع فعل ذلك ما لم يكن لديه من المرونة ما يمكنه من الإفلات من تلك القوانين الصارمة دون أن يخرقها، وما لم يمتلك الطلاقة التي تجعله قادرا على تكرار تجربة الإفلات تلك بشكل متناسب ومناسب. فالعمل الأدبي عمل إبداعي بما فيه من تحد للنظام الصارم القاهر، فهو عمل مبتكر يتشكل بنمط غير متوقع على الرغم من اتباعه قوانين رياضية صارمة.

ثمة محاولات للوصول إلى «علم» متكامل قادر على تفسير كل «الظواهر الجمالية في الأدب». بينما يبقى على الأديب السعي، حثيثا، للكشف عن كل القوانين الحركية التي تفعل فعلها في صنع الجمال الأدبي. مهمة لا يمكن الوصول إليها إلا باتباع سبل البحث العلمية الصرفة المعتمدة على الرياضيات والمختبر.

وعلى الجانب الآخر يؤكد كثيرون على أن الدولة العربية الحديثة لم تهتم اهتماما كافيًا بالعلم كقيمة اجتماعية، حيث كان يتم الاهتمام بالتقنية/ التكنولوجيا/ الاستيراد/ الاستهلاك أكثر من العلم/ التنظير/ الإنتاج/ التصدير، أو بالأبحاث التطبيقية أكثر من الأبحاث العلمية النظرية. لأن مفهوم العلم كان ومازال تطبيقيا.

ويذهب د. «زكي نجيب محمود» في مقال له ضمن كتابه «مجتمع جديد أو الكارثة، ط ٤، ١٩٨٧، ص:١٥٢»، إلى أن «التقاء الأدب بالعلم، إنما هو التقاء غير مباشر عن طريق إدخال التطبيقات العلمية وأسلوبها في شرايين الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، دخولا يُحيل هذه الحيوات علمًا مُجسدًا» ثم يضيف: «بعدئذ يجيء العالم لينفعل بالحياة المحيطة به على ما هي من صبغة علمية، فيتأثر بها وينفعل، فيبرع، ويُثري».

فصفة «العلمية» صفة منهجية بمعايير معينة إذا توفرت في التفكير أصبح علميا بغض النظر عن موضوع البحث. فـ «العلم هو مجموعة معارف وأبحاث على درجة كافية من الناحية الوحدة والعمومية، ومن شأنها أن تقود المشتغلين بها إلى استنتاجات متناسقة، لا تنجم عن مواضعات ارتجالية ولا عن

أذواق أو اهتمامات فردية تكون مشتركة بينها، بل تنجم عن علاقات موضوعية تكتشف بالتدرج وتتأكد بمناهج تحقق محددة» (موسوعة لالاند الفلسفية، صـ١٢٤٩).

وليس من شك في أن التخصص الدقيق في فروع العلوم والمعارف يفرض عدم إمكانية تجاوزها بغير تعلمها وإتقانها والتبحر فيها. وفي نفس الوقت فهناك ضرب من «أصول» الفكر والعلم الذي يعتمد العقل الذي هو مناط البحث والتحليل والتفكير وهو «الفلسفة» المقرونة بالثقافة الواسعة.

فالمعماري المتخصص تخصصا دقيقا في التصميم الحضري، لا يمنعه مانع من التثقيف والمثاقفة والإلمام بتاريخ العمارة ونظرياتها أو تاريخ الفن/ الأدب عموما، الخ إلماما يقترب من دائرة تخصصه. كل هذا مقرون بتملك ذهنية برهانية تحليلية تعتمد العقل والمنطق في القراءة والتحليل. وذات الأمر ينطبق على متخصص في علوم الطب والتشريح وعلوم الأدوية فلا يمنعه مانع من الإلمام بفروع من الطب/ العلم/ الثقافة تقع خارج دائرة تخصصه العامّ أو الدقيق وهكذا.

لعل مشكلة الأدب/ العلم في الثقافة العربية هي إشكالية مرتبطة بجوانب الحياة وتنظيماتها المتنوعة. يدلل الواقع على أن العلم والأدب كلاهما لا يتقدمان ويبدعان إلا في ظل أنظمة ومؤسسات ومحاضن فكرية واقتصادية واجتماعية وتعليمية وإعلامية متعافية.

ولنا وقفة متأنية مع الشاعر «معروف الرصافي»، وهو يدلي بدلوه في هذا الشأن فيقول:

أدب العلم، وعلم الأدب
شرف النفس ونفس الشرف
بهما يبلغ أعلى الرتب
كل رام منهما في هدف

لقاء علم الأدب وأدب العلم يمهّد لثقافة تطير بجناحين لا يرتفع شأن أمة إلا بهما

أيها السابح في بحر الفنون
غائصًا في لُجّها الملتطم
أنت والله على رغم المنون
ذو وجود قاتل للعَدَم
قرنك الحاضر من أرقى القرون
خضع السيف به للقلم
فإذا شئت بلوغ الأرَب
فاغترف من بحره وارتشف
فالمعالي أودعت في الكتب
كالآلي أودعت في الصَدَف
يا عهود العلم ما شئت اندُبي
يا عيون المجد ما شئت اذرفي
هل أتاك الدهر فيما قد أتى
بحديث العُرب في الأندلس
حيث بالعزم أماطوا العَنَتا
وبنور العلم ليل الهَوَس
فاسألَنّ الغرب عمّا ثَبَتا
في ربوع خلّفوها دُرُس
هل ترى ثَمّةَ من لم يُجب
عن معاليهم ولم يعترف
آه لو يرجع ماضي الحُقُب
آه لو عاد زمان الشرف
يا بني يعرب ما هذا المنام
أو ما أسفر صبح النُوَم
أين من كان بكم يرعى الذمام
ويُلبّي دعوة المُهْتَضَم
أفلا يَلذَعكم مني الملام
فلقد ألفظ جمرًا من فمي
خارجًا في نَفَس كاللهب
مُحرقًا مهجة قلبي الدَنِف
أنا لولا فيض دمعي السَكِب
لتَحرّقت بنار الأسَف
يا شباب القوم لولاكم لما
ساغ لي العذب وما أن لذّ لي
أنني أُبصر منكم أنجُما
لامعات في ظلام الأمَل
فاصبروا اليومَ على حرّ الظما
كي تنالوا الريّ في المستقبل
واتعبوا اليوم فعُقبى التعب
راحةٌ مُشبَعة بالتَرَف
لتَقُونا أسوأ المنقلَب
إذ بناء القوم هاري الجُرُف
يا شباب القوم هُبّوا للبراز
فبكم يَبسم ثغر الوطن
وارفلوا إما بثوب الاعتزاز
أو بثوب هو ثوب الكفن
وأعدّوا العلم لاَ السيف الجُراز
إنه عُدّة هذا الزمن
بسواه العزّ لم يُكتسَب
وهو المُنصف للمنتَصِف
إنه والله لا عن كذب

شرف النفس، ونفس الشرف

إنها دعوة لمشاركة أهل الاختصاص والبحث العلمي في الحياة الثقافية كتفا إلى كتف مع نظرائهم من أهل الأدب، فيزيدونها تراكما على تراكم. إنها دعوة لإيجاد لغة مشتركة بين العلم والأدب يستفيد منها العامة بحيث لا يبقى التخصص حكرا على أهله يختفي باختفائهم. إن اجتماع الأدب بالعلم يقلل من جفاف النظرية العلمية وينشرها للعامة كما أن العلم يكشف خفايا نفس الأديب.. شاعرا أو ناثرا أو فيلسوفا ويفسر سبب بروزه وتميزه وتأثيره على مجتمعه.

خلاصة الأمر: «على كل فن أن يصبح علمًا، وعلى كل علم أن يصبح فنا». إن اللقاء الرائع، لقاء العلم بالأدب «علم الأدب، وأدب العلم»، والصفاء والوئام بينهما يمهد لثقافة تطير بجناحين، لا ينهض مجتمع، أو يرتفع شأن أمة إلا بهما.

الاستشراق الأدبي والإسلام

محمود عبدالعزيز راضي
باحث بالماجستير - جامعة القاهرة

لقد كان الإسلام بعقيدته وشريعته وسيرة رسوله لدى أدباء أوروبا- مرتعًا خصبًا للتشويه، وعملاً مقدّسًا للتمويه منذ أن ظهر، فلم يحفل هؤلاء الأدباء والكتّاب إلا بهذا الأمر الذي أناطوا أنفسهم به، معتبرين إيّاه وعادّينه عملاً مقدّسًا، دفاعًا عن المسيحية الآخذة في الذبول، نتيجة انتشار أسواق الجدل في روما وبيزنطة حول أسماء الله وصفاته، وفي هذا السياق يقول الباحث ميلود عبيد منقور: «الأدب بمختلف أجناسه كان مطية اتخذها الغرب للدفاع عن مسيحيتهم ونشر تصورات غربية خطيرة في منتهى الخيالية المرضية والتوهم عن الإسلام»(١).

من الأدباء الذين اتخذوا من الأدب وسيلة للدفاع عن المسيحية إلى جانب تحقيق مطامحهم الشخصية على حساب الإسلام الأديب والفيلسوف العالمي الفرنسي الشهير فولتير. ففي عام ١٧٤١م كتب فولتير مسرحيته «مُحَمّد أو التعصُّب»، وفي هذه المسرحية اتّهم فولتير الإسلام بخطف النساء وحملهنّ على الإيمان، وشكك في أحاديث الرّسول ﷺ مع سفير الوحي جبريل عليه السلام(٢).

والأمر الذي يسترعي الانتباه في هذه المسرحية؛ أنّ فولتير بحماقته الأدبية اتهم النّبي بكثير من الصفات غير اللائقة بسيدنا محمد ﷺ. وهذه كلّها مزاعم لا تعتمد على أيّ أساس من الواقع ولا من التاريخ، وتدخل كلّها في باب التشويه والتخمينات والظنون. كما أنّ وصفه للنبي مُحَمّد كما يقول المستشرق والمفكر الإسباني Juan Goytisolo جاء «مصاحبًا لنعته إيّاه بالإهانة في شخصه وفي المعجزات التي أتى بها»(٣).

والعجيب أنّ فولتير كان يتفاخر بهذه

الأديب توفيق الحكيم تعجب من مسرحية فولتير «محمد أو التعصب» واتهمه بمجاملة الملوك والبابوات

النزقات الأدبية الصبيانية التي أسقطها على شخصية النّبي ﷺ رغبة في الشهرة والتزلف إلى الملوك والرؤساء في عصره.

وقد مُثّلت هذه المسرحية بمدينة «ليل» الفرنسية أولاً عام ١٧٤١م، ثُمّ قدّمتها الكوميدي فرانسيز في باريس عام ١٧٤٢م، وأدّى عرضها إلى احتجاج السفير التركي في فرنسا، وعَقَدَ مؤتمرًا دعا إليه كتّاب فرنسا الأحرار، ومن ثَمّ أوقفت الحكومة الفرنسية عرضها؛ فلم تزد حفلاتها على الثلاث، وظلّت بعد ذلك تسعة أعوام مختفية في الظلام(٤).

ويرجع الفضل في منع عرض هذه المسرحية الهزلية الساخرة إلى السلطان عبدالحميد الثاني- رحمه الله- فقد أبرق إلى الحكومة الفرنسية برسالة حملتْ بين دفتيها إنذارا شديد اللهجة، قائلاً فيها «لو قمتم بتمثيل هذه المسرحية التي تستهدف رسولي ورسول جميع المسلمين فإنّني سأثير جميع العرب وجميع المسلمين ضدكم»(٥). وبناء على ذلك تم منع عرض المسرحية نتيجة لهذه الضغوط السياسية وقيل: كذلك لضغوط كنسية(٦) لكن يبدو أنّ الضغوط السياسية كان لها من القوة والاعتبار الحيّز الأكبر.

وقد أرجع كثير من النقاد(٧) موقف فولتير من الإسلام في هذه المسرحية إلى رغبته في نقد الكنيسة وضرب الستار الحديدي الذي أقامته على حرية الفكر غير أن هذا الرأي الذي توافروا عليه لا يصمد أمام الحقيقة؛ لأنّ اشتغال فولتير كسائر أدباء أوروبا بتشويه الإسلام كان انطلاقًا من قناعته بالمسيحية، ونابعًا من إيمانه بها كعقيدة ليس فيها الصكوك وحماقات رجال الدين وليست المسيحية جملة وتفصيلاً؛ حيث كان يرى أنّ المسيحية بهذه الصورة عائقة عن مسايرة الرقي والعلم وركب سلم التقدم والمدنية.

وبما أنّ فولتير قد حاد عن توخّي الأمانة العلمية وترسُّم الموضوعية في أعماله الأدبية وبخاصة المسرحية، وعلى سبيل الخصوص «مُحَمّد أو التعصُّب»، فلا شك إذن أن يقابل بسهام من النقد والتجريح من جانب المفكرين والكتّاب الشرقيين والغربيين في عصره وما يليه من عقود لاحقة. فقد لقي ما حكاه وأبدعه من تخرُّصات وخزعبلات عن الإسلام ونبيه هجومًا حادًا من قبل المهتمين بشأن فولتير وأعماله والمختصين بالعلاقات الإسلامية

والغربية، نتيجة لإفراغه الحقائق اليقينية المسلّم بها عن الإسلام ونبيه والتي يؤمن ويسلّم بها مئات الملايين من البشر من سياقاتها التاريخية ومضامينها الحقيقية.

لقد هاجم المستشرق الألماني الشهير جوستاف بفانموللر عمل فولتير وعدّه خارجًا عن مراعاة الحقائق التاريخية، وموغلاً في الوهم والخيال، مشيرًا بذلك إلى أنّ فولتير استغلّ توظيف الصّورة السيئة للنبي لدى الغرب في ذلك الوقت في نسج الخيالات والأوهام عن نبي الإسلام.

يقول Gustav fannmuelle «أمّا فولتير فقد كتب روايته المأساوية «مُحَمّد أو التعصّب» دون أن يراعي الحقائق التاريخية، وقد كان فولتير مقتنعًا بأنّ كتابه المنبثق من خياله يتناقض تناقضًا حادًا مع التاريخ، ومع ذلك فقد أراد أن يعرض على الجمهور شخصية تارتوف ممسكًا سلاحًا في يده، وكان يعتقد أنّه يستطيع أن يعير مُحَمّدًا هذا الدور، ولكن فولتير لم يكن له أن يفعل ذلك لو لم يكن التصور السائد حينذاك هو أنّ مُحَمّدًا يمثل التعصّب والتضليل الديني»(٨)،

هذا، وقد ظلّت أعمال فولتير الأدبية مجالاً خصبًا للنقد والفحص من جانب الأدباء، نظرًا لتلبُّس صاحبها بكثير من الشبهات التي تدور حول أعماله الأدبية، فحينما قرأ الأديب العربي توفيق الحكيم مسرحية فولتير «مُحَمّد أو التعصّب» تعجّب لأمر فولتير وأحال عمله المسرحي إلى رغبة فولتير في التملق والتزلّف من الملوك والبابوات.

يقول توفيق الحكيم «عظم عجبي لأمر فولتير، وسألتُ نفسي طويلاً: أيستطيع عقل مثقف كعقل هذا الكاتب العظيم أن يعتقد ما يقول؟ دين تبعه آلاف الملايين من البشر على مدى الأجيال هو في نظره حقًا دين كاذب ؟! ومبادئ إنسانية كالتي جاء بها الإسلام هي عنده حقًا مبادئ بربرية! أم إنّه التملق والزلفى والنفاق. وإنّ الزمن والتاريخ يضعان أحيانًا أقنعة زائفة على نفوس تزعم أنّها خُلِقَتْ للدفاع عن حرية الفكر. منذ ذلك اليوم وأنا أحس كأنّي فجعت في شيء عزيز لدي: (الإيمان بنزاهة الفكر الحر).

ولقد كنتُ أحيانا ألتمس الأعذار لفولتير، وأزعم أنّه قال ما قال لا عن مجاملة أو ملق، بل عن عقيدة وحسن طوية استنادًا إلى علم خاطئ بأخبار النّبي ولكن كتابه إلى البابا كان يتهمه اتهامًا صارخًا ويدع مجالاً للشك في دخيلة أمره».

وأضاف توفيق الحكيم قائلاً، منتقدًا صنيع فولتير الأدبي «إنّي قرأتُ لفولتير كتبًا أخرى كانت تكشف عن آراء حرة حقًا في مسائل الأديان، وتنم عن روح واسعة الآفاق تكره التعصّب الذميم، فما باله عندما عرض لذكر مُحَمّد والإسلام كتب شيئًا هو التعصّب بعينه، تعصّب لدينه، ذهب فيه إلى حد السجود وتقبيل الأقدام لا لربّ العزة والخلق، بل لبشر هو رئيس الكنيسة التي ما أرى أنّ فولتير كان في ذات يوم من خدّامها المخلصين! هي الأطماع التي تدفع فولتير فيما أرى إلى التمسح بأعتاب الملوك والبابوات، ولقد يقدّم ثمنًا لذلك أفكاره الحرة أحيانًا. منذ ذلك الحين وفولتير عندي متهم ولن أبرئه أبدًا، ولن أعدّه أبدًا من بين أولئك العظام الذين عاشوا بالفكر وحده وللفكر. وأحسب أنّ التاريخ العادل سوف يحكم عليه هذا الحكم»(٩).

ولم يكن صنيع فولتير المسرحي الأدبي الهزيل بعيدًا عن توجيه سهام النقد إليه من قبل القائد الفرنسي الشهير نابليون بونابرت؛ فقد انتقد مسرحية فولتير هذه لتزييفه الحقائق التاريخية عن النّبي قائلاً «إنّه قد تخلّى هنا عن التاريخ والضمير الإنساني»(١٠).

أما وقد «استمتع الآن فولتير حينًا بالشهرة والمال دون أن يكدّرهما مكدر»(١١) نتيجة لصنيعه هذا- من اختلاق الأكاذيب وبث ثقافة التجهيل- إلا أنّ نهجه لم يدم على هذا الحال وهو من المحال؛ فالشهرة قد أوسعته ضربًا، قد علم الجميع به، طار ذكره في الآفاق واستُقبل بالحفاوة والترحاب، ومع بلوغه من الكبر عتيًا وتحليه بالشجاعة الأدبية والأمانة العلمية، وبعيدًا عن عالم الشهرة التي حقّقها، آبَ فولتير عن صنيعه، تركه، اعتزله، أوَ كفى؟

أزمع الكاتب والفيلسوف الفرنسي Fancois Maie Aouet الشهير بفولتير المسير نحو الحقيقة، تاركًا عالم الخيال والفانتازيا وراء ظهره، ولذا أغدق الثناء على رسول الله مُحَمّد ﷺ بعيدًا عن

فنون الأدب، بعيدًا عن المهمة المقدّسة، بعيدًا عن عهد مليء بالتعصُّب والحقد واللاموضوعية، فقد لهج لسانه بالثناء على خير الأنام إحقاقًا للحق وإقرارًا بالفضل. وتشير الباحثة البريطانية كارين أرمسترونج إلى شيءٍ من ذلك، فتقول: «لما أراد فولتير أن يبيّن كم كان مُحَمّد متسامحًا، وكم كانت المسيحية متعصّبة في كتابه «مقالة في الأخلاق»، فقد أغدق الثناء على الإسلام بسبب تسامحه»(١٢).

وممّا كتبه وجاء في «مقالته عن الأخلاق»- المطبوعة ضمن قاموسه الفلسفي، المنشور عام ١٨٣٥م- تعريته للوهم الخاطئ حوّل فرية السيف، التي طالما دندن الغربيون حولها، فقد كتب يقول «إنّ الإسلام الذي يعتنقه أكثر من نصف من يعيشون في نصف الكرة الأرضية ما كان أبدًا بواسطة السلاح، وإنّما انتشر بالحماس، وبالقدرة على الإقناع، ثُمّ على وجه الخصوص بالمثال الذي ضربه المنتصرون... فبمجرد أن اجتاز العرب (المسلمون) حدود بلادهم التي لم يكونوا قد بارحوها من قبل حتّى ذلك الوقت؛ فإنّهم لم يجبروا أحدًا من الأجانب على الدخول في الإسلام؛ لقد أعطوا الشعوب التي خضعت لهم حرية الاختيار ما بين أن يكونوا مسلمين أو أن يدفعوا لهم الجزية... والقليل الذي أريد أن أقوله إنّما يكذّب تمامًا كلّ ما يقوله لنا مؤرخونا وخطباؤنا وأحكامنا المسبقة، ولكن الحقيقة لابدّ أن تُقال، وأن تصفعهم»(١٣).

وقد كان للقرآن نصيب من الثناء الفولتيري، ومن ثَمّ حلّ محلاً مرموقًا في الموضوعية المتأخرة التي تحلّى بها فولتير في شيخوخته بعد أن عاش ريعان الشباب يلصق الخزعبلات بالإسلام ورموزه ومقدّساته من خلال التوظيف الأدبي السيئ الذي اتخذه مجالا لإبداعاته؛ فقد أثنى على القرآن وانتقد رجال الأكليروس والاستشراق لما حمّلوا القرآن الكريم من الأكاذيب والسفاهات الحمقاء والمطاعن الآثمة، ولهذا قال «لا يزال القرآن في واقع الأمر يبقى ويشتهر إلى اليوم بأنّه الكتاب الأكثر تميُّزًا وسموًّا، الذي كُتِبَ بهذه اللغة العربية. لقد نُسِبَ إلى القرآن ما لا نهاية له من الحماقات التي لم تُوجَد به على الإطلاق»(١٤).

هل شفع لفولتير ما قاله عن الإسلام ورسوله؟ لا، لم يكتف فولتير بإقرار تلك الحقائق وإخبار النّاس بها ومحاولات حمله إيّاهم على الإيمان والتسليم والتصديق بها، بل كان له موقف أكثر من رائع في الدفاع عن رسول الله مُحَمّد ﷺ والاعتراف بمكانته وهو موقف تشي محصلته النهائية بما ينبغي أن يكون عليه الإنسان من تجرد وموضوعية وبحث وتقصّ أثناء سفره إلى معرفة الحقيقة، بعيدًا عن التعصُّب والهوى والانسياق نحو الأهواء الشخصية والانتماءات القومية.

فحينما زار سويسرا البرنسُ تسينسندروف الذي تولى حكومة النمسا في شهري سبتمبر وأكتوبر سنة ١٧٦٤م، واجتمع في أحد مجالسه مع فولتير وجرى بينهما ذكر مارتن لوثر، وجون كالفن، قال فولتير للبرنس تسينسندروف «إنّهما لا يستحقان أن يكونا صانعي أحذية عند مُحَمّد!»(١٥) وهكذا آبَ فولتير إلى الواقع، رجع إلى الحقيقة بعيدًا عن عالم الصيت، تاب من اختلاقاته وعاد إلى رشده.

ومقولة فولتير هذه لا ينبغي حملها على أيّ تأويل فاسد أو معنى بعيد يقود إليه ظنٌّ غير حسنٍ، لأنّ هذه المقولة إن كان جهر بها فولتير وأعلنها على الملأ فإنّها تخرج من قريحة رجلٍ مختلف الفكرِ، متباين الثقافة، فهي تُحمَل أول ما تُحمَل على الثناء الحسن والتقدير الجميل لنبي الإسلام مُحَمّد ﷺ وغير قابلة لتأويل سيئ أو فهم مغال يتجافى مع سياق الموقف وطبيعة الحقيقة التاريخية لنبي الإسلام.

الهوامش

(١) راجع مجلة حوليات التراث، كلية الآداب والفنون، جامعة مستغانم، العدد الثالث، ٢٠٠٥م، مقال بعنوان: «صورة الإسلام في الآداب الغربية» للكاتب ميلود عبيد منقور.

(٢) راجع موقع ويكيبيديا www.wikiedia.com

(٣) Tibauna: eiodico el ais، ٤-٥-٢٠٠٦، Juan Goytisolo. Aticulo: Voltaie y Islam

(٤) الشرق والإسلام في أدب جوته، عبدالرحمن صدقي، ص٢٣، مطبوعات وزارة الثقافة والإرشاد، المكتبة الثقافية رقم ١٠، القاهرة.

(٥) انظر مقال الأستاذ محمد فتح الله كولن المعنون بـ «العثمانيون تاريخا وفكرا»، مثبت على موقعه على هذا الرابط: htt://afgulen.com/content/view ١٤/٧٥٨

(٦) Voltaie- Fiedich de Cosse. Aus dem. V. H. leschinski. hsg. Zuich ١٩٩٢، ١٤٦.S Biefwechsel

(٧) جلُ الباحثين الذين تناولوا مسألة أو قضية «فولتير مع الإسلام» اختزلوا موقف فولتير من الإسلام في هذا الرأي وحده، ومن هؤلاء: المفكر التونسي الدكتور هشام جعيط في كتابه «أوروبا والإسلام»، ص١٩، وعبدالرحمن صدقي في كتابه «الشرق والإسلام في أدب جوته»، ص٢٢، ٢٣، والدكتور محمود حمدي زقزوق في كتابه «الإسلام في تصورات الغرب»، ص ٨٨، والدكتور خالد بن عبدالرحمن الشايع في مقاله المعنون بـ «حقيقة موقف الفيلسوف الفرنسي فولتير من رسول الله مُحَمّد ﷺ ومن رسالته»، والمنشور في جريدة الشرق الأوسط في العدد ١٠٧٨٧ بتاريخ ٦ جماد الآخرة، ١٤٢٩هـ، ١٠-٦-٢٠٠٨م. ومن الكتاب الغربيين Islam. Euoe. and Emie. Edinbugh ،٢٦ Noman Daniel. age ،Noth Ameica ،univesity ess١٩٦٦ و جورج هنري بوسكي- Geoge Heny Bosquet في مقاله «فولتير والإسلام» المنشور بمجلة ستاديا إسلاميكا، عدد(٢٨، ١٩٦٢م).

(٨) الإسلام في تصورات الغرب، الدكتور محمود حمدي زقزوق، ص٨٧.

(٩) تحت شمس الفكر، توفيق الحكيم، ص ٢٢، ٢٣، ٢٤.

(١٠) Islam. Euoe. and Emie. Noman Edinbugh univesity ،٢٩ Daniel. age Noth Ameica ،ess١٩٦٦

(١١) قصة الحضارة، ويل ديورانت، ج٣٥، ٣٦، ص ٦٠.

(١٢) الحرب المقدّسة، كارين أرمسترونج، ص٥٧٩.

(١٣) Dictionnaie hilosohique de Voltaie. Tome ٣ ٩٩-١٠٠ ais ١٨٣٥

(١٤) Dictionnaie hilosohique de Voltaie. Tome ٧ ٤٦

(١٥) حاضر العالم الإسلامي، لوثروب ستودادر، ترجمة: عجاج نويهض، ص٤٢.

الصعقة الغضبية على منكري العربية لأبي الربيع نجم الدين الطوفي الحنبلي

التحرير

المؤلف: سليمان بن عبدالقوي الطوفي الحنبلي (ت٧١٦)
المحقق: د. محمد بن خالد الفاضل
الناشر: مكتبة العبيكان

وهذا الكتاب من أفضل الكتب التطبيقية لتخريج الأحكام الفقهية على قواعد اللغة العربية.

ويتكون الكتاب من أربعة أبواب:

الباب الأول: في ذكر السبب الموجب لوضع قانون العربية ومن وضعه.

الباب الثاني: في الدلالة على فضل علم العربية من الكتاب والسنة والآثار وصريح العقل.

الباب الثالث: في بيان فضل من تحلى بهذا العلم وذم من عطل منه أو أخطأ فيه أو عيب عليه.

الباب الرابع: في بيان كون هذا العلم أصلًا من أصول الدين ومعتمدًا من معتمدات الشريعة.

ويتكون الباب الرابع من ثلاثة فصول:

الفصل الأول: في بيان تأثير الإعراب في القرآن الكريم.

الفصل الثاني: في بيان تأثيره في السنة.

الفصل الثالث: في ذكر جملة من المسائل الدينية المتفرعة على القواعد العربية.

وهو فصل طويل ومفرّع جدًا.

فمن نماذج الفصل الأول ما جاء في صفحة ٣٤٢: «ومن ذلك إذا قال: ﴿ولا الظّالين﴾ هكذا بظاء قائمة، بطلت صلاته لإخلاله بالمعنى، فإن الصواب بـ «الضاد» من الضلال وهو ضد الهدى، فإذا قرأ «بالظاء» حرَّف وأحال المعنى، لأن ذلك من قولهم: «ظلَّ فلانٌ يفعل كذا» إذا فعله نهارًا، فيكون المعنى «غير المغضوب عليهم ولا الفاعلين نهارًا» والمراد غير ذلك.

قال أبوالحسن المدائني: «قرأ إمام بقوم ﴿ولا الظالين﴾ بالظاء فرفسه رجل خلفه، فقال: أوِه ضهري- بالضد- فقال له الرجل: يا فاعلَ! يا صانع! خذ الضاد من ظهرك فاجعله في ﴿الظالين﴾.

ومن نماذج الفصل الثاني: حديث الصحيحين: «احتج آدم وموسى، فقال: يا آدم أنت أبونا، خيّبتنا وأخرجتنا من الجنة، فقال آدم: أنت الذي اصطفاك الله بكلامه، وخَطَّ لك - يعني التوراة -بيده، تلومني على أمر قدّره الله عليّ قبل أن يخلقني..

فَحَجَّ آدم موسى»، وبيّن فيه الصواب في ضبط كلمتي «آدم وموسى» ومن هو الحاج ومن هو المحجوج.وقد بسط القول في مسائل الفصل الثالث كحديثه عن قوله تعالى﴿يأيها الذين آمنوا... إلى الكعبين﴾، ومثل مسألة حجب الأم عن الثلث إلى السدس باثنين من الإخوة، والاستثناء في الطلاق، ثم سرد بعض مسائل كتاب «المحرر» وبين أوجه الخلاف فيها.

ويقع الكتاب في ٧٢٨ صفحة منها عشرون صفحة للمقدمة، وأربعون صفحة للحوظة مهمة تناول فيها الطبعة السابقة للكتاب.

ثم الدراسة وتقع في ١٤٥، من صفحة ٦٣ وإلى ٢٠٨ وتتضمن أربعة فصول:

الفصل الأول: سيرة الطوفي وحياته.

الفصل الثاني: عقيدته ومذهبه وما قيل في جرحه وتعديله.

الفصل الثالث: مؤلفاته.

الفصل الرابع: دراسة الكتاب.

ثم النص المحقق ٢٠٩-٦٣٣ ويقع في ٤٢٤ صفحة.

ثم الفهارس ٦٣٥-٧٢٣ في ٢١٢ صفحة.

وقد بذل المحقق جهدًا يشكر عليه من حيث العناية بالنص ضبطا وتحقيقا وتعليقا.

والكتاب مرجع نفيس لمن يرغب في فهم تخريج الأحكام الفقهية على قواعد اللغة العربية.

أسرتي

الأسرة والتنشئة الوطنية

تعتبر التنشئة الوطنية محصلة تفاعل وتراكم عمليات التنشئة الاجتماعية والسياسية للفرد، فهي تشمل عمليات إعداد وتكوين شخصية الفرد وتدعيم قدراته بتزويده بالعادات والتقاليد والمفاهيم والقيم الحضارية والثقافية وعوامل التكوين الاجتماعي والوظيفي، بهذا المعنى فإن التنشئة أو التربية الوطنية تعتبر نظامًا اجتماعيًا قائمًا بذاته نظرًا لما تسهم به من تنظيم للسلوكات الفردية والجماعية وتحديد العلاقات والأنماط السلوكية، ومنظومة القيم التي تحكم علاقات الفرد بالجماعة وعلاقتهما معًا بالمجتمع، فهي من ناحية، وكما يقول عالم الاجتماع هربرت سبنسر تحفظ التراث والقيم وتنظيم العلاقات الاجتماعية والسياسية، وهي من ناحية أخرى تستهدف النهوض بالمكانة الوطنية من خلال إمداد الفرد وتغذيته بقيم الولاء وحب التفاني في خدمة الوطن، والارتباط بالعمل التطوعي.

التحرير

فن الحوار الناجح في الحياة

تسنيم الريدي

في عالم لا يصغي إلا للموهوبين وأصحاب الإمكانات والكفاءات، يعد امتلاك المهارات مطلبًا أساسيًا وجوهريًا، وللأسف فبعض المثقفين يفتقدون بعضا من أصول الحوار، فقد لا يتقبل بعضهم بعضا، ويكون حوارهم همجيًا يخسرون فيه القضية التي يتحاورون فيها، هذا غير أسلوب الحوار الذي يعتمد على مهاجمة الأفراد دون مناقشة الأفكار، ويتمسك كل منهم برأيه فيخرجون من أي حوار ومسافة التباعد بينهم قد ازدادت وضوحًا.

تواصلنا مع بعض الشباب والفتيات لاستطلاع آرائهم وتجاربهم تجاه هذه القضية حيث يبدأ محمود- ٢٣ سنة من الأردن - قائلًا: «أقمنا دورة تتناول فن إقناع الآخرين لنكون مؤهلين لممارسة الدعوة بشكل ناجح وفعال في الجامعة، وخلال قراءة أوراق الدورة وجدت أن هناك أساليب إقناعية تختلف من الشباب للفتيات، فلكل مداخل تناسبه، فإذا كانت هناك اختلافات وفروق بينة بين الرجال والنساء، فكيف نتوقع من الجميع أن يتمسك بوجهات نظرنا ويتفهمها فور طرحها».

في حين ترى أريج - ٢٨ عامًا من سورية- أن فن إدارة النقاش أو الحوار هو موهبة وفطرة قائلة: «أعتقد أن الشخص الذي يجيد إدارة المناقشات ويستطيع إقناع الآخرين بوجهات نظره هو شخص موهوب، وأعتقد أن المواهب فطرية لا تكتسب، فنجد شخصًا حادًا فظًا غير لبق، هذه طبيعة شخصيته لن يتغير مهما حاول، في حين أن الشخص الدبلوماسي اللبق لم يتعلم هذه المهارات».

الاختلاف بين المتحاورين قضية طبيعية لأن العقول والأفكار تتفاوت فيما بينهم

وتختلف معها هناء - ٢٢ عامًا من مصر- موضحة: «الدول الغربية أطلق عليها «دول متحضرة» لأنها أجادت غرس القيم الإنسانية في شعوبها، فصاروا يحترم بعضهم بعضا، ويحترمون الحوار والنقاش، لذلك نجحوا في أمور كثيرة، ونحن إن نجحنا في غرس قيم الحوار الفعال بناء على قواعد وأسس وضعها الإسلام سنفوقهم نجاحًا، لكن للأسف تعلمنا العشوائية والهمجية في كثير من أمور حياتنا، والحوار الذي هو أبسط شيء في التواصل الإنساني فشلنا فيه».

وكان للموظفين رأي آخر حيث يقول إسلام - ٣٢ عامًا - الموظف بإحدى الشركات الخاصة بالسعودية: «الحوار الذي يقوم على أسس صحيحة يكسب صاحبه ثقة واحترام من حوله حتى مديره في العمل، فأنا لا أجد حرجًا من مناقشة مديري لأنني ألتزم بآداب الحوار الصحيح، وفي كثير من الأحيان أنجح في أن أجعله يتبنى وجهة نظري، وهذا جعل بيننا توافقا كبيرا في وجهات النظر، بل وقرارات العمل».

الاختلاف فطرة

حملنا هذه الآراء والتجارب إلى الأستاذ محمد عبدالجواد مدير مؤسسة رؤية أكاديمي المصرية للتنمية البشرية والذي وضح أساسيات الحوار الفعال قائلًا: «الحوار الناجح كان وما يزال شارة كل فرد متميز واسع الأفق.. محب للرأي الآخر، ففي الحوار تلتقي الآراء، وتتفاعل في جو صحي تحوطه محاولة الوصول إلى الأصوب والنافع، وعلى من يرغب في إقامة حوار ناجح لابد أن يدرك أن الاختلاف بين الناس في رؤيتهم وحكمهم على الأشياء قضية طبيعية، والناس ليسوا طرازًا واحدًا، لأن عقولهم وأفكارهم، ومستويات ثقافتهم تتفاوت، ويؤدي هذا الاختلاف إلى التكامل بعد ذلك، وهنا لابد أن يكون هدف المحاور الوصول إلى الرأي الأمثل وليس الانتصار لرأيه، ولذلك قال بعض أسلافنا: ما ناظرت أحدًا إلا وددت أن يأتي الحق على لسانه.

كما ينبغي مراعاة أدب الحوار، ومنطلقاته، وخلال النقاش يتم انتقاد المحاور والأفكار المطروحة، لا

صحافية مصرية

شخصية قائلها، لأن المحاور إذا تعدى نقد الفكرة إلى نقد الشخص، جعل محاوره في موقف الدفاع عن نفسه ولو بالباطل، ونقد الفكر مسألة طبيعية، فكثير من الأفكار تقوى ويشتد عودها بعد مرحلة من الأخذ والرد وتكامل وجهات النظر من كل طرف، أما نقد الشخص فهو مسألة غير أخلاقية لأنك هناك تحطم خلية النحل في محاولتك أن تجني العسل.

وخلال الحوار احرص على تعبيرات وجهك وكلماتك وحركات يديك، فلابد من جلسة متوازنة، لا يجلس فيها المحاور على طرف المقعد متحفزًا، بل يستقر في مكانه مشجعًا لوجهات النظر الأخرى، ولابد أن يكسب الفرد من يحاوره، ولا يتعمد كسب المواقف على حساب أصحابها، وينبغي أن يكون مستقرًا في حسه أن كسب القلوب مقدم على كسب المواقف، وإعطاء محدثه قدرة كأن يناديه بأحب الأسماء إليه أو اللقب العلمي له.

نقاط الاتفاق.. بداية النجاح

ولا يجب أن يستعمل الإنسان سلطته في إسكات المتكلم والحكم عليه وإرجاع الأثر السيء لمواقفه السابقة، ويجب أن يعلم أن طريقة المناقشة والمحاورة التي يتقبلها هذا، ربما لا يتقبلها ذلك، والمحاور الفطن يعرف من يحاور وبالتالي يعرف الطريقة التي ينبغي له أن يناقشه بها ويحاوره.

كما يجب على المحاور والمتحدث بصفة عامة ألا يستأثر بالكلام لنفسه أو أن يحرم الطرف الآخر أو

الحاضرين من الكلام بالإطالة التي تخرج به عن حدود الذوق واللياقة، فالاستئثار بالكلام، كالاستئثار بالطعام كلاهما منقصة بصاحبه.

خلال الحديث على المتحاور أن يبدأ كلامه بنقاط الاتفاق، فيبدأ بالمسلمات والبدهيات، والحديث على هذا النحو من شأنه أن يطيل أمد الحوار، ويجعل بداياته هادئة من ناحية ومنطقية من ناحية أخرى، وهذا كله مؤشر إيجابي على احتمالات النجاح، ثم البدء بنقاط الاتفاق قد يفتح آفاقًا للتلاقي لم تكن واردة في الحسبان.

وأخيرًا على المتحاور أن يحذر إذا فتح الله عليه وانتصر الحق على لسانه أن يتسرب إليه الغرور والعجب والرضا بمدح الناس، فيجب أن يرجع كل نجاح يحصده إلى المنعم عز وجل.

فن الحوار في الإسلام

ويضيف الباحث بالمركز العالمي للوسطية بالكويت الأستاذ رمضان فوزي بديني قائلًا: «لقد عني الإسلام بالحوار عناية كبيرة، وهذا ما يتضح في حديث القرآن عن الحوار ونقله لنا حوارات كثيرة نتعبد بها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وقد تعددت سياقات هذه الحوارات القرآنية وأوقاتها؛ فالحوار ممتد قبل الخليقة كما يتضح في حوار رب العزة مع ملائكته حول خلق آدم عليه السلام، ثم حواره جل في علاه مع إبليس حينما تمرد على الأمر الإلهي بالسجود لآدم، ثم حواره جل وعلا مع آدم عليه السلام بعد خلقه.. وهكذا تتعدد الحوارات حتى مع العصاة والمطرودين من رحمة الله تعالى.

ولا يتوقف الحوار حتى بعد انتهاء الخليقة؛ فقد نقل القرآن بعض الحوارات التي تتم يوم القيامة بعد أن يقضي الله بين الخلائق؛ فهذا حوار بين رب العزة وأهل النار، وهذا حوار بين أهل الجنة وأهل النار، وهذا بين أهل النار بعضهم البعض في جو من الحسرة والندامة، وهذا حوار بين إبليس اللعين وأتباعه في النار، إلى آخر هذه الحوارات التي يضيق المقام عن التفصيل فيها، والتي تدل في مجملها على استمرارية الحوار حتى بعد فقد الأمل في نتائجه يوم القيامة.

حوارات الأنبياء

وقد نقل القرآن لنا أيضا الكثير من الحوارات بين الرسل الكرام وأقوامهم على مر العصور والأزمان يدعونهم فيها إلى طريق الله رب العالمين؛ فهذا حوار العاطفة والحرص على الإنقاذ من النار بين نبي الله إبراهيم عليه السلام وأبيه آزر، وهذه عاطفة من نوع آخر في حواره مع ابنه إسماعيل

لإقناعه بأمر غريب وهو ذبحه إنفاذا لأمر الله، وهذا حوار القوة والإفحام بينه وبين النمرود.. إلى آخر هذه الحوارات لجميع الأنبياء والمرسلين مع أقوامهم.

ومن هنا يتضح أن الحوار هو السلاح الأول والأمضى في يد الرسل ومن بعدهم الدعاة إلى الله؛ ذلك أن الدعوة في حقيقتها قائمة على التبليغ والتوضيح والإفهام، وهذا ما لا يتم إلا بفتح قنوات التواصل البناء والحوار الهادف بين الأطراف المختلفة.

والحوار في أحد معانيه يعني المراجعة في الكلام؛ فكل طرف يلقي حجته ويوضح رأيه وعلى الطرف الآخر استقبال هذا الرأي واستيعابه جيدا ثم النقاش والأخذ والرد فيه ومقابلة الحجة بالحجة والبرهان بالبرهان والدليل بالدليل، وبعدها يترك الأمر للعقل للقبول أو الرفض، والحوار في هذا الإطار غايته إقامة الحجة، ودفع الشبهة، وإزالة الريبة، ودحض الفاسد

الحوار كان السلاح الأمضى في يد الرسل ويجب أن يكون كذلك مع الدعاة إلى الله

من القول والرأي حتى يصل الطرفان إلى نقطة التقاء وتفاهم وتعاون بناء ومثمر، وحتى يتحقق هذا الأمر لابد من أسس وأصول للحوار يتفق عليها الطرفان، ولابد من آداب يتحلى بها كل طرف حتى يؤتي ثماره المرجوة. وفي هذا السياق فإنني أنعي على بعض إعلامنا ما يدور فيه من برامج حوارية لا تراعي آدابا ولا أسسا للحوار، حتى ينقضي البرنامج على غير هدى أو نقطة اتفاق واحدة بين المتحاورين؛ بل إن بعض البرامج مهمتها التحريض والتحريش بين المتحاورين ومحاولة الإبعاد بينهما؛ حتى إن معيار نجاح البرنامج يكون بناء على ما أحدثه من افتراق وخلاف بين المتحاورين، وهذا في حد ذاته يتناقض مع غاية الحوار التي أرساها الإسلام.

الحوار من فنون الدعوة

وعلى الدعاة إلى الله تعالى أن يتقنوا فن الحوار كما أراده الله عز وجل من مجادلة بالتي هي أحسن، وترك المراء الذي يورث الضغائن، وقبل ذلك معرفة مفتاح قلب المدعو ويحسنوا التأتي له؛ فإذا انفتح لهم قلبه سهل الطريق إلى عقله. وعليهم أيضا أن ينفتحوا على الدراسات والعلوم الحديثة المعنية بهذا الأمر؛ فيتقنوا فن التواصل والتأثير والإقناع والتفاعل وغيرها من مهارات لازمة للتبليغ، سواء عبر وسائل الإعلام المختلفة أو بصورة مباشرة مع الناس.

فالداعية لا يستغني عن الحوار؛ سواء بينه وبين مدعويه، أو بينه وبين إخوانه من الدعاة للاتفاق على السبيل الأقوم للدعوة، أو بينه وبين عائلته وأهل بيته لإقناعهم بطريقه وفكرته حتى يعينوه عليها، أو بينه وبين حكومته ودولته حتى تطمئن لفكره ولا تضع العراقيل أمامه.

تأثرت العلاقات الأسرية هذه الأيام بالتكنولوجيا الحديثة التي دخلت البيوت وجعلت كل فرد من أفراد الأسرة الواحدة يعيش في عزلة أمام شاشة «الكمبيوتر» الخاص به أو أمام جهاز التلفزيون الموجود في غرفته لا يتحدث سوى من تليفونه المحمول لأصدقائه.

التكنولوجيا دمرت العلاقات الأسرية

هذه الظاهرة وتأثيراتها على العلاقات الأسرية كانت موضوع ندوة «التواصل بين الآباء» التي عقدها أخيرًا المجلس العربي للتربية الأخلاقية برئاسة د.صديق عفيفي، واتهم فيها د.أحمد الرشيدي أستاذ أصول التربية بجامعة جنوب الوادي التكنولوجيا بأنها حولت المراهقين إلى مستهلكين للمواقع اللاأخلاقية مما أفقدهم القدرة على التفكير والتطلع إلى المستقبل، واتهمها أيضًا بأنها أسهمت في نشر أفكار مستوردة لا يتحقق منها إلا الفساد الأخلاقي، وأنها بدلًا من أن تساعد على تحقيق التقارب الاجتماعي بين صلة الرحم أدت إلى حدوث انفصال لاسلكي لا يتحقق به إلا السماع الصوتي.

أما د.وائل الرفاعي مدرس علم النفس بجامعة حلوان فأشار إلى التأثير السلبي لإدمان الإنترنت على قيمة التواصل بين الآباء والأبناء مؤكدًا أن من بين كل ٢٠٠ شخص مستخدم للإنترنت يوجد مدمن سواء للألعاب أو المواقع الإباحية، وهذا الإدمان يظهر في شكل عدم القدرة على التوقف أو الضبط، والقلق والارتعاش العصبي وحدة المزاج عند التوقف عن استخدام الإنترنت، والكذب والتأثير على الذاكرة أو العمل.

بعد عرض هذه التأثيرات السلبية تباحث المشاركون في الندوة حول الحلول المقترحة لتجنبها، فأشارت د.فيوليت فؤاد خبيرة تربوية إلى ضرورة منح الوالدين للأبناء فرصة التواصل من خلال عقد لقاءات أسبوعية أو شهرية مثلا للتباحث في أمور الأسرة وأي مشكلات تواجهها، هذا الرأي أكده أيضا د.محمد معوض عميد كلية الإعلام بجامعة النهضة موضحًا أهمية أن تكون هناك ديموقراطية في البيت وأن يعوّد الآباء أبناءهم على المناقشة الحرة.

كما اقترحت معزز الديواني مدير مدارس طيبة الدولية المتكاملة أن يكون جهاز التلفزيون و«الكمبيوتر» في أماكن غير منعزلة حتى يكون هناك نوع من الرقابة غير المباشرة على الأبناء.

وفي نهاية الندوة أكد د.صديق عفيفي أهمية استمرار مناقشة مثل هذه القضايا معلنًا أن المؤتمر السنوي للمجلس العربي للتربية الأخلاقية سيناقش قضية «أخلاقيات الشباب العربي».

اللعب العلاج النفسي للطفل

يعتبر اللعب وظيفة للطفل ولذلك فهو ذو أهمية كبيرة في حياته حيث إنه وسيلة لدراسة الطفل وسلوكه ومشكلاته وعلاجها، وسينمي اللعب جوانب عديدة في حياة الطفل من الناحية النفسية والاجتماعية والانفعالية، وقد استخدم اللعب كطريقة للعلاج وهو ما عرف بـ «اللعب العلاجي»، فقد يتعرض الطفل في حياته إلى مخاوف كثيرة أو يوجد في مواقف باعثة على التوتر نتيجة أساليب التنشئة المختلفة من قبل الوالدين أو المربين، فقد يفرط الآباء في القسوة أو التدليل والتذبذب في تعاملهم مع الأبناء وغيرها من العوامل التي تؤدي إلى الشعور بالتوتر والإحباط، ومن الطرق الفعالة في العلاج النفسي في هذا المجال ما يعرف باللعب العلاجي، فاللعب يساعد الطفل في التعبير عن انفعالاته، كما يستخدم اللعب الخيال كمخرج للقلق والتوتر ومتنفس لكثير من الحاجات والرغبات التي لا يتحقق لها الإشباع في الحياة اليومية للطفل وتقل الإحباطات التي يشعر بها في المواقف المختلفة، ومن فوائد اللعب العلاجية أيضًا التواصل دائمًا والمعايشة ونبذ المخاوف والتعلم والتفاعل الاجتماعي وحل المشكلات وتنمية الثقة بالنفس والنجاح، أما أهمية العلاج باللعب فتكمن في مساعدة الطفل على التعبير عن وعيه الشعوري واللاشعوري وتمكينه من الوصول بمهاراته إلى مستوى النضج، والمقصود باللعب العلاجي ألعاب العرائس والدمى المتحركة والكتابة والحاسب الآلي والفن المسرحي والرسم... ونحو ذلك.

خطوبة ناجحة.. خطوبة فاشلة

لماذا؟

تحقيق: علي إبراهيم علي

في الماضي كان إعلان الخطبة يفسر تلقائيا بقرب موعد الزواج.. أما الآن فقد اختلف الوضع تماما وأصبحت الخطوبة تطول لسنوات عديدة قد تنتهي بالزواج، وقد تنتهي بالفشل.الخطبة.. لماذا تطول؟ هل يصمد الحب أمام الأعباء الاقتصادية؟ أم يكسب الجولة الجاهز ماديا؟ تدخل الأهل والأقارب.. إيجابياته وسلبياته. أسئلة عديدة، رد عليها شباب وفتيات من خلال تجاربهم، سواء الفاشلة أو الناجحة.

يقول أشرف جمال: بيني وبين خطيبتي قصة حب منذ فترة.. فقد وجدت فيها الفتاة المتدينة والمثقفة فتحدثت معها بكل صراحة.. وقلت لها إن ظروفي لم تتضح بعد.. وبدورها حكت هي لأهلها ووافقوا على طلب الخطبة رغم أنني كنت في فترة التجنيد، هنا ظهرت مشكلة.. أحد الأشخاص أبلغهم أنني لن استقل بحياتي بعد الزواج، رغم وجود شقة خاصة بي في منزل الأسرة.

هذا الكلام رغم عدم صحته أدى إلى «فركشة» الخطبة قبل أن تتم.. بعدها تقابلنا أنا وهي وسط مجموعة من الأصدقاء، لكن شيئا ما ظل بداخلنا لم نفصح عنه بالكلام.. ومرت سنة ونصف.. والتحقت بالعمل في إحدى الشركات.. وتحسنت ظروفي المادية، وأصبح بمقدوري شراء شقة مستقلة.. فتقدمت مرة أخرى لفتاتي وأهلها فرحبوا بي، بل وافقوا على الشقة التي بمنزل الأسرة، وانتهت المشكلة السابقة.

وبالنسبة لفترة الخطبة أفضلها قصيرة لأن ذلك له ايجابيات كثيرة، أهمها قلة المشكلات.

سمير مصطفى فيقول: فكرت في الارتباط عن طريق الحب والمشاعر فقط، ولكن هذه التجربة فشلت بكل المقاييس، فقد كنت اعرفها قبل الخطبة.. وفي هذه الفترة لا أبالغ حين أقول: إن كل واحد يحاول أن يواري عيوبه عن الآخر، وبمجرد إتمام الخطبة، ظهرت حقائق كثيرة لم تكن موجودة من قبل، فانفصلنا وخرجت من هذه التجربة أكثر خبرة ودراية، فقد وضعت في حسباني مواصفات معينة لخطيبتي أهمها الأدب والأخلاق، وأن يكون أهلها ذوي سمعة طيبة، كل هذه المواصفات وجدتها في خطيبتي الحالية.. بعد فترة بسيطة من الخطبة بدأت أكتشف صفات جميلة أخرى جعلتني أحبها وأكمل معها، مما يجعلني أقول: إن الزواج بالعقل أفضل من الزواج عن طريق القلب والمشاعر.

ولمن على أبواب الخطبة أقول: تريث أولا، واختر بعقلك، وكن مستعدا ماديا، فلا تتعجل في اتخاذ قرار الزواج.

وتقول ثناء رمضان طالبة بالصف الثالث الثانوي: منذ فترة كان أحد جيراني يحب صديقة لي بالمدرسة تكبرني بسنة، وبعد فترة اكتشف أنها تحب شخصا آخر غيره، فقرر أن يتركها، وبعدما انفصلا تقدم ليطلبني من أهلي وتمت الخطبة، وبعدها اكتشفت أنا وأهلي أن خطيبي يتعاطى المخدرات، ولما واجهته وعدني أنه سيقلع عنها.. ومع حبي له وثقتي في انني سأقف بجانبه حتى ينسى هذا الوباء، قررت ألا أتركه ووقفت ضد أهلي، والتزم هو لفترة ولكنه عاد للمخدرات مرة أخرى وبدأت تظهر المشكلات.. أمي ترفض ما يفعله وتجبرني على أن أعيد إليه «الدبلة» وهو يرجوني أن أقف بجواره، فأعود وألبس «الدبلة» من جديد.. أصبحت حائرة بين حبي له، وحبي لأهلي، وثقتي في أنني سوف أجعله ينسى ماضيه، وينظر لمستقبله، ومرت سنة على موقفي هذا، إلا أنني في احد الأيام، وأنا عائدة من المدرسة، رأيته بصحبة صديقتي القديمة.. وهنا خلعت «الدبلة» للمرة الأخيرة.. خلعتها هذه المرة بإرادتي.

في النهاية استطيع أن أقول إنه يجب على الفتاة أن تستمع جيدا لصوت عقلها، ورأي أهلها فهم أقرب الناس وأفضلهم للمشورة.

أحمد سليمان: خطبت ابنة خالتي منذ حوالي ٧ شهور.. في البداية عرفتها بطباعي وأخلاقي بدون خداع.. لأن على الشاب أن يظهر حقيقة نفسه لمن يرغب في الارتباط بها، حتى لا تظهر المشكلات الناتجة عن تجميل الحقائق بعد الزواج.

خلال فترة الخطبة صادفتنا عدة مشكلات استطعنا حلها والحمد لله.

أهم المواصفات التي يجب أن يتصف بها الشاب الذي يقدم على الخطبة، أن يكون له الدخل المادي المناسب وأن يعي جيدا الالتزامات المطلوبة منه، أما الفتاة فلابد أن تتحلى بالأخلاق والأدب والثقافة والتعليم المناسب الذي يؤهلها لتفهم أمور حياتها وتربية أطفالها تربية حسنة فيما بعد.

غالبا ما يأتي الانفصال نتيجة عدم التوافق في السلوك أو في الطباع، أو نتيجة

مشكلات متعلقة بالأسرتين، أو مشكلات مادية، ولعل هذه المشكلات هي أصعبها، حيث إن هناك الكثير من الارتباطات التي تفسخ بسبب الاختلاف على أشياء مادية، قد تكون بسيطة جدا.

عصام زكي: لي تجربة مع الخطبة صادفها الفشل.. تعرفت على خطيبتي السابقة قدرًا، وبعد عدة مقابلات، قررت أن أخطبها رغم اعتراض الأسرة لعدم ارتياحهم لهذه المعرفة السريعة، ولكنهم وافقوا مضطرين.

بعد الخطبة لاحظت أن والدها يعاملني على انني تاجر سأشتري ابنته، ولاحظت أن والدتها هي التي تسيطر سيطرة شبه كاملة على المنزل.. وجلست ذات يوم أفكر، فوجدت نفسي أمام أسرة مفككة، بالإضافة إلى بعض المشكلات التي ظهرت تباعا بيني وبينها، بدأت بعدها أفكر بعقلي، وأخطو خطوات الانفصال لأعود حرا، وخرجت من هذه التجربة بأنه لابد من التفكير مرة وألف مرة قبل اتخاذ قرار الخطبة.

ظللت بعد هذه الفترة حوالي سنة لا أفكر مطلقا في الاندفاع نحو تجربة ثانية، إلا إن أهلي رشحوا لي إحدى قريباتي، ووافقت عليها، ووافقت هي، وتم الارتباط.

ويفضل أن تكون فترة الخطبة قصيرة إذا توافرت الإمكانات المادية اللازمة لإتمام الزواج، أما إذا لم تتوافر هذه الإمكانات، فيجب أن تطول فترة الخطبة حتى تتضح معالم الشخصيتين، ويتم اتخاذ القرار المناسب بإتمام الزواج أو عدم إتمامه.

دعاء رشيدي: أنا مخطوبة من حوالي ٥ أشهر.. هو من جيراني.. تقدم لخطبتي فوافق أهلي.. ووافقت.. وبعدها تحدثت معه عن قرب، أحسست بطيبة قلبه وحبه لي، ورغم رفضي له في بادئ الأمر، بحجة أنه إنسان متكبر إلا أنني اكتشفت أنه كان يحترم صداقته لأخي، فلم يبادر مطلقا بأن يتحدث معي.. هو الآن في السنة النهائية بالجامعة.. ويعمل في الإجازات. وإمكاناته

الوضوح من عوامل نجاح فترة الخطوبة

المادية متيسرة.. يمتلك شقة، وننتظر حصوله على الشهادة ليتم الزواج.. لن تطول فترة خطبتنا لأنه في رأيي أن الحب مادام موجودا فلابد أن تكون فترة الخطبة قصيرة حتى لا تظهر المشكلات التي قد تؤثر على الحب والمشاعر.. أما إن لم يوجد الحب، فلابد أن تطول فترة الخطبة حتى يحدث التفاهم والانسجام، فإن حدث ذلك فلابد من إتمام الزواج، وإن لم يحدث فلابد من الانفصال.

أرى أن تدخل الأهل في فترة الخطبة سلاح ذو حدين.. بمعنى أن هناك بعض الارتباطات التي تنتهي بسبب التدخل الخاطئ من الأهل.. لذلك فمن الواجب أن يأتي هذا التدخل برفق، ولصالح الطرفين، وأن يكون مغلفًا بشيء من المرونة.

د.زينب شكري- أستاذ علم الاجتماع: فترة الخطبة ليست دائما كاشفة عن طباع وسلوك الطرفين، لأنه في كثير من الأحيان قد يتحمل طرف الطرف الآخر، ويقدم أفضل ما عنده، وبالتالي عندما يتم الزواج، فليس بالضرورة ضمان نجاحه، لأن الحياة الزوجية، تكشف عن أمور يصعب اكتشافها في فترة الخطبة.

تبين فترة الخطبة نسبة معينة من سلوك الإنسان، ورغم أهميتها، فإنها لا تضمن زواجا سعيدا، ولاحظنا أن الخطبة تفسخ بنسبة مرتفعة، واعتقد أنها ظاهرة إيجابية وصحية، لأن الطرفين قد اتضح لهما أنهما غير منسجمين، فمن الأفضل لهما إنهاء هذه العلاقة وهي في مهدها، فذلك خير من إنهائها بعد الزواج.

تتوقف آثار فشل الخطبة على الإنسان نفسه وإيمانه وجهازه النفسي والعاطفي، فهناك من يدع نفسه تتحطم وهناك من يتحمل ويصمد ويتعلم من تجربته ويقبل على الدنيا من جديد.

وأنا أشجع فترة الخطبة الطويلة، وأشجع تدخل الأهل، لأنهم يكتشفون ويحللون أمورا قد تغيب عن الطرفين، لأنهم يتدخلون بشكل عقلاني، وفي رأيي أن هناك فترة لا يمكن تجاهلها وهي فترة ما قبل الخطبة، وهي نوع من الاكتشاف السليم، وحين أذكر الاختيار فلابد أن أذكر أهمية التكافؤ من النواحي التعليمية والاجتماعية والاقتصادية، أما التباين في أي ناحية فلابد أن يؤدي للاختلاف.

وأقولها كلمة: التكافؤ عند اختيار الخطيب يعطي احتمالاً أكبر لنجاح الخطبة ومن ثم الزواج.

د. عادل صديق- أستاذ الطب النفسي: يرجع طول فترة الخطبة في معظم الأحيان إلى عدم توافر المال الكافي لإتمام الزواج.. وكلما طالت فترة الخطبة، ازدادت معها المشكلات، مثل اكتشاف عيوب في احد الطرفين، أو تغير في مشاعر أحدهما، أو كلام الناس عن سر طول فترة الخطبة، وضجر أهل الفتاة من كثرة زيارات الخطيب... وما إلى ذلك من مشكلات تؤدي في النهاية إلى طريق مسدود أمام التفاهم، الأمر الذي يجعل من المستحيل إتمام الزواج بسبب تسرب الملل للطرفين.

أما حل هذه المشكلات، فلابد له من الاستعداد المسبق قبل الخطبة، والمرونة وعدم الإسراف في الطلبات التي ترهق الشاب، فيجب ألا يغالي أهل الفتاة في الشبكة أو تكاليف الفرح، أو طلب شقة كبيرة، وما شابه ذلك.. هذه المرونة مع شيء من الاستعداد، بالإضافة إلى التوافق الثقافي والنفسي بين الخطيبين يهيئ الظروف لنجاح مثل هذه الخطبة.

أخيرا أقول لكل شاب ولكل فتاة: عليكم بالوضوح وعدم ارتداء الأقنعة التي قد تكون في بادئ الأمر جميلة، لكنها ما تلبث أن تتحول إلى أقنعة مدمرة لعلاقة كان من المحتمل أن تكون ناجحة.

الأسلوب الأمثل لعلاج الصدمة العاطفية

أميرة سليمان أبوجبة

عندما يفكر الشاب والفتاة في الإقدام على خطوة الزواج.. فمن الطبيعي أن تكون مشاعر الحب قد جمعت بينهما، ولكن أحيانا تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن وتضطرب العلاقة وتصل لطريق مسدود ويكون الانفصال هو الحل وأحيانا كثيرة يكون القرار من طرف واحد، وهنا تكمن المشكلة ولاسيما عندما يرفض الطرف الآخر قبول الأمر الواقع تحدث له صدمة عاطفية.

ماذا نفعل عندما نتعرض لصدمة عاطفية؟ وما الأسلوب الأمثل لمعالجتها؟

في البداية يقول د. أحمد جمال ماضي أبوالعزايم أستاذ الصحة النفسية جامعة القاهرة.. عندما تتسم علاقة الإنسان بالحدة واللامعقولية لابد أن يكون وراء ذلك اضطراب نفسي، وفشل العلاقة العاطفية لا يؤدي وحده للخلل النفسي ولكن تكون هناك مجموعة عوامل مجتمعة مثل عدم التكيف مع الواقع وضغوط الحياة وغيرها من الأشياء، وعندما تفشل العلاقة تعجل بحدوث الاختلال النفسي، أيضا الاستعداد الجيني الوراثي وما يترسب في مرحلة الطفولة المتأخرة كلها عوامل تؤدي إلى حدوث الصدمة العاطفية وتترجم لعدة أفعال تكون غير متزنة.. وحول الأسلوب الأمثل لعلاج الصدمة العاطفية، يقول أبوالعزايم: لابد من تعزيز دور الإرادة للقدرة على مواجهة الواقع وعدم ربط الفشل بالكرامة ومحاولة معالجة الأخطاء التي أدت للفشل لتجنبها مع أي علاقة جديدة.

إن مسؤولية فشل العلاقة تقع على الطرفين وعدم قدرتهما على اقتراح الحلول البديلة لمعالجة الأخطاء، واستعجال الحلول السهلة بالتخلص من العلاقة وإنهائها بصورة مفاجئة، وهذا يسبب آثارًا جانبية ويؤدي إلى سلوك عدواني، فالعلاقة الزوجية شراكة متبادلة بين الزوج والزوجة، وقد شرع الله الحقوق والواجبات التي تنظم سير العلاقات، أما إذا تحولت العلاقة لنوع من الاستغلال أو الأنانية تنقلب الموازين، وهنا يسيطر سلوك التسلط والسيطرة والغيرة التي تدفع إلى الجنون في بعض الأحيان فيحدث نوع من الهوة أو الشرخ في القدرة على التعامل.

إن تعرض الإنسان للصدمة العاطفية يستمر لأنه اعتاد في حياته الاعتماد على أشياء سطحية وبسيطة فأصبح الإشباع العاطفي هو العامل الرئيسي بالنسبة له ولا توجد أي قيمة أخرى يعطيها أولوياته، ولذلك عندما يتعرض للفشل في علاقته العاطفية يرتكب بعض الحماقات لأنه يفقد القدرة على التركيز بعد أن أصيب بالإحباط والفشل، ولاسيما أنه لا يشعر بأمل في المستقبل! إن من الطبيعي أن يشعر الإنسان بالحزن والضيق لفترة محدودة لا تتجاوز ثلاثة أشهر. وأخيرا يمكن التغلب بسهولة على مواجهة الأزمات العاطفية وذلك في الشعور بالرغبة في الحياة، وزيادة الثقة بالنفس ومع تكرار النجاح يتولد الشعور بالسعادة، كما يمكن عقد صداقات جديدة والانشغال بأشياء أخرى مثل الاشتراك في عمل اجتماعي أو خيري، فهذه الأشياء تشعرنا بالسعادة وتساعدنا في التغلب على الصدمة العاطفية.

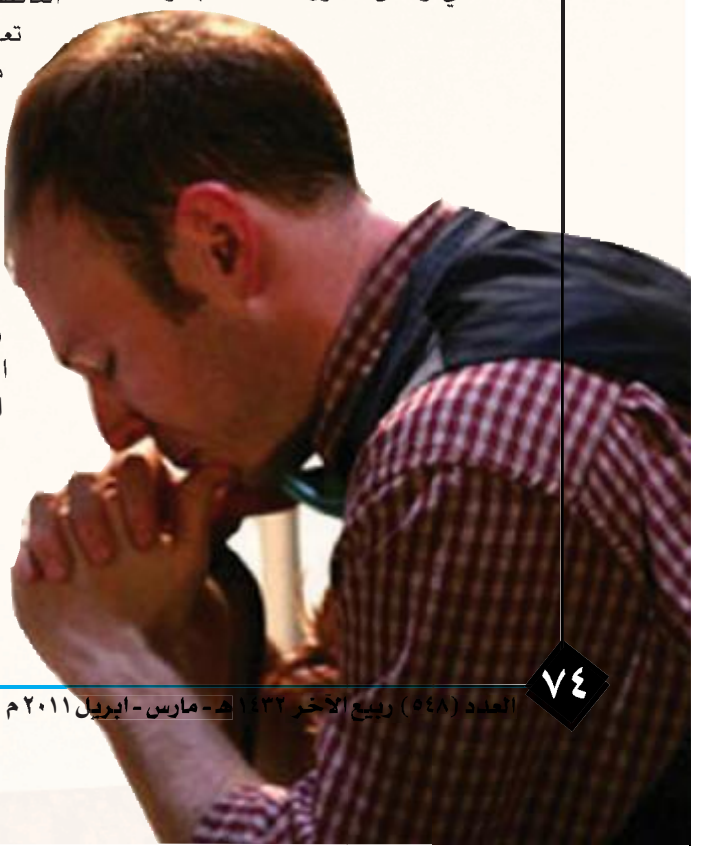

رمزية الحجاب

إيمان القدوسي

كانت نيتها طيبة حين قالت «الحجاب هو مجرد قطعة من القماش، لا يكفي ارتداؤه والأهم هو تحسين السلوك ليطابق الجوهر المظهر».

هل الحجاب فعلًا هو مجرد قطعة من القماش؟

لا، وألف لا، الحجاب رمز ولا يصح التقليل من شأنه حتى لو كانت النوايا طيبة، نحن جميعًا في مجتمعاتنا البشرية نتحرك ونتعامل عبر رموز تحمل وراءها معاني كثيرة، مثلا لكل دولة «علم» وهذا العلم يرمز لكرامة الدولة واستقلالها وحدودها وله مكانته المميزة رغم أنه في الحقيقة مجرد قطعة من القماش، فإذا أردت تحية دولة فأنت ترفع أعلامها، وإذا أردت إهانتها فأنت تحرق أعلامها وتدوسها بقدميك، وكما أن ارتفاع علم الدولة في منطقة معناه سيادتها عليها، كذلك فإن ارتفاع الحجاب على رأس المسلمات معناه عزة وسيادة الإسلام.

يلجأ لهذه الحيلة الكثير من الخبثاء، حين يجردون الرموز من معانيها ويقللون من شأنها في نفوس الناس تمهيدًا لإلغائها نهائيًا، الحجاب قطعة من القماش، واللحية شعيرات تنبت في الذقن، والصلاة مجرد حركات، وقد وصل الأمر بأحدهم أخيرًا إلى الجرأة على الكعبة المشرفة واعتبار الحج وهو الركن الخامس من الإسلام سياحة دينية.

وهناك بعد ذلك من ينخدع بكلامهم جزئيًا وربما بحسن نية ويردده، ولكن

الحجاب رمز إسلامي أصيل يؤرق العلمانية في الشرق والغرب ويغيظ القلوب المريضة وستثاب كل من ترتديه امتثالًا لأمر الله تعالى، ولنقل انه الخطوة الأولى على طريق الهداية ولابد أن يتبعها خطوات في تعديل السلوك وتغييره، وهو أمر ربما يحتاج بعضا من الوقت ولكنه مع الانتظام في الصلاة والارتباط بالأخوات والقراءة يحدث تدريجيًا.

وإذا كنا ننشد المثالية والكمال كهدف أسمى إلا أن الواقع يفرض علينا ظروفه، ودائمًا هناك مساحة يتحرك فيها المسلم لأنه دين عالمي يقدر الظروف واختلاف قدرات وإمكانات البشر، ولذلك من ارتدت الحجاب وأدت الصلاة وقامت بحق زوجها وبيتها فقد أدت ما عليها، كما تدل على ذلك أحاديث نبوية شريفة، ومن أرادت الاستزادة من العلم والفضل فطريق الخير مفتوحًا أمامها بلا نهاية.

من يطالب المسلمة بالكمال المطلق ويقلل من قيمة حجابها وجهدها في مكابدة الحياة يصعب الأمور ويجعلها شاقة عسيرة، في حين أنها يسيرة للغاية، إذ لا رهبانية في الإسلام ولا مشقة ولكنه حياة تمضي على منهج يستوعب الجميع، وكما تفاوت الناس في الهبات الربانية من عقل وقوة ومال فلابد أن تتفاوت استجابتهم وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

في ظل ظروف اجتماعية واقتصادية وسياسية مرتبكة في مجتمعاتنا سيصيب المرأة نصيبًا من ذلك، وفي كلمة بسيطة جدًا يمكنها أن تنمي إنسانيتها جنبًا إلى جنب مع تدينها، تنمي قيم الرحمة والتعاطف والاحترام والنظافة والنظام، وقد جاء في تعريف المسلم أنه من سلم المسلمون من لسانه ويده، ومن لا يرحم لا يرحم، والله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه، كلها معاني معروفة وردت في أحاديث نبوية وآيات قرآنية كثيرة، ولكن ينبغي التأكيد عليها لتتوازن شخصية المسلم وليكون «إنسانا متدينًا».

لا يمكننا التقليل من قيمة الرموز الإسلامية التي تميزنا عن غيرنا وتجعلنا بمجرد النظر نعرف أن هذه امرأة مسلمة، أما مجاهدة النفس وتزكيتها فهو سبيلنا الدائم مادمنا على قيد الحياة كما قال تعالى في محكم آياته ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ (الحجر:٢٨).

الطفل الديكتاتور أو المستبد

بشرى شاكر
باحثة مغربية

العديد من الآباء يسعدون بالحركة الزائدة لأطفالهم فهي بالنسبة لهم دليل سلامتهم الجسدية وقدراتهم الذهنية، وضعف الحركة هو ما يؤرق عادة الآباء ويجعلهم يخشون إصابة طفلهم بمرض ما أو عاهة لا يعرفونها، وهذا صحيح بنسبة كبيرة فالنشاط الحركي الزائد يكون عادة دليلا على نشاط الطفل، وهو أمر بدهي في السنوات الأولى من الطفولة حيث إن الطفل يكتشف حركات جديدة ويحاول تكرارها مثل المشي مثلا وقبلها حينما يبدأ بالحبو، وهو يفرح بقدرته الجديدة على بلوغ الأشياء، فتزداد حركته رغبة منه في إبراز مهاراته واكتشاف محيطه، كما أن كثرة الحركة داخل الفصل الدراسي قد تدل على ذكاء الطفل، فهو يحاول أن يظهر مهاراته الذهنية وقدرته على الإجابة، فتراه يتحرك بوفرة ويحاول أن يزيد عدد ايجابياته الصحيحة، غير أنها أمر طبيعي إلى حد كبير في سن الطفولة، فهي شحنة عادية يتوفر عليها الطفل ويريد بفطرته التخلص منها، وقلة الحركة في سن الطفولة هو ما يعد غير طبيعي ويجعل الآباء يتوجسون ويخافون، ولكن ما لا ينتبه إليه الكثير من الآباء هو أن أي شيء يزيد عن حده ينقلب إلى ضده، فحركة الأطفال الزائدة قد تنقلب إلى أمر غير عادي ومثير للأعصاب إن زاد على حده.

يعرف الأخصائيون النشاط الحركي الزائد على أنه حركات جسمية تفوق الحد الطبيعي أو المقبول، أو هو مجموعة من اضطرابات سلوكية تنشأ نتيجة أسباب نفسية أو عضوية وتكون مصحوبة بضعف التركيز وقلق مستمر مع اضطراب في الانتباه الناجم طبعا عن فرط الحركة والنشاط الزائد الذي يؤدي إلى تدهور حالة التركيز والانتباه، فالحركة المفرطة هي دليل الإصابة باضطراب فرط الحركة مع فقدان القدرة على التركيز، فغالبية الأطفال الذين يرتادون العيادات النفسية من المصابين بفرط الحركة المصحوبة بضعف التركيز، يعقبها فشل دراسي.

في الكثير من الأحيان تكون زيادة الحركة دليل عدم رضا الطفل عن أمر ما، أو كرد فعل لشيء آخر، مثل اكتئابه بسبب عدم استقرار أسري يعيشه بين والديه مثلا، أو مشاكل دراسية سواء أكانت فشلا أو عدم قدرة على متابعة سير الدرس، أو على جانب آخر إحساسه برتابة الدرس وسهولته بالنسبة لفهمه، وهذا في حالة الأطفال الموهوبين إذ قد يكون إحساسهم أن الدرس لا يوافق قدراتهم العقلية سببًا في فشل دراسي ورد فعل عنيف أو انطوائية وانعزال عن الآخرين.

إن كثرة الحركة التي تعرف أسبابها يسهل على الآباء والمدرسين معالجتها، وذلك بإنهاء هذه المسببات إن كانت نفسية أو محاولة الحد منها إن كانت عضوية، فلا يجد الطفل نفسه في حاجة للتعبير عن ضيقه بهذه الطريقة، وإنما يتحول إلى طفل بحركة عادية أو متوازنة على الأقل.

وفي الغالب يتحول فرط الحركة لدى هؤلاء إلى عنف تجاه آبائهم ومدرسيهم وزملائهم والأشياء التي بحوزتهم، فنجدهم يلقون بها هنا وهناك، ويميلون لتكسيرها أيضا، ولا يتمون واجباتهم الدراسية إلا بعد جهد بالغ من قبل الآباء، حيث إنه لايستطيع التركيز لفترة طويلة، ويجابه ذلك بالرفض والصراخ والعنف، وكأنه يريد أن يخبرنا أنه أيضا يعاني مثلنا تماما، وهذا السلوك قد يكون في بعض الحالات بسبب مشكلة جينية، مثل مرض التوحد- autism- الذي يصيب الذكور أكثر من الإناث، وقد يكون الطفل مع ضعف استيعابه للمعلومات كثير الحركة وعنيفا ويتعاطى أدوية تخفف من توتره وقلقه وفرط نشاطه ولكنها لا تعالج، إذ علينا مصاحبتها بعلاج نفسي وسلوكي خاص حتى يتمكن الطفل

المصاب بالتوحد من التعايش مع المجتمع وجعله فردا مرغوبا وفعالا فيه، ونجد أيضا بعض الأطفال المصابين بأحادية الصبغيات- monosomie- وغيرها من الأمراض الجينية يجنحون إلى هذا السلوك.. وقد يكون فرط الحركة مجرد مشكلة سلوكية، كرد فعل على حياة غير مستقرة، وفي كل الأحوال فإن المتابعة النفسية ومحاولة استيعاب السلوك والبحث عن مسبباته ومحاولة معالجتها يكون حلا أنجع من التوتر والقلق والعنف المضاد الذي يكون رد فعل عكسي من قبل الآباء الذين يعانون من أطفالهم.

فالطفل أو المراهق العنيف ومفرط الحركة، عادة شخص يجنح للعنف الجسدي أو الكلامي والذي يوجهه خاصة لوالديه ثم محيطه، يسميه البعض بـ«الطفل الديكتاتور» لأنه يحاول إملاء شروطه، ويلجأ في ذلك للابتزاز، ويكون عنيفا وصعب المراس بشكل كبير ومتجاوز وغير مقبول، مما يجعل بعض الآباء يعيدون ترتيب حياتهم وفقا لمتطلباته ويرضخون لرغباته، كما أن هناك نوعًا آخر من الجور السلوكي

أو السلوك الشاذ وهو ما نسميه بـ«الطفل الملك» l'enfant roi– His Majesty the Baby وهذا الطفل لا يلجأ للعنف الجسدي، ولكنه لا يعترف بالجميل، ويطلب دائما المزيد، وهو دائم الشعور بعدم الرضا ولا يتحمل الحرمان.

وهذا السلوك العنيف أو الابتزازي المتسلط قد لا يكون له سبب عضوي، وإنما يكون نتيجة حياة أسرية متوترة بسبب اضطراب العلاقات بين الوالدين مثلا، والسلوك العنيف من قبل أحدهما تجاه الآخر أو الاثنين معا، فالمشاحنات الكلامية أو الحركية تخلق في البيت جوا من التوتر الذي يؤثر سلبا على تربية الأبناء، وعند انفصال الوالدين أيضا قد يحدث مثلا أن يحس الابن بازدراء الأم للأب والتقليل من شأنه أمام الأطفال، ورسمها معالم لأب غير مرغوب فيه، مما يجعله يراه على أنه لا شيء، وتبقى الأم بالنسبة له تمثل الطرفين- الأم والأب- معا، ويجد نفسه يتقاسم وإياها الحقد والكره لهذا الأب، ونجد أن الطفل يكثر من معاملته العنيفة لوالده، لأنه لا يريد أن يكون مثله، لأنه يحتقر ضعفه ولا يريد أن يرى نفسه في صورة الأب الفاشل، فيحول ذلك إلى عنف، وفي بعض الأحيان تأتي ردة فعل الطفل عكسية فيتحول إلى العنف تجاه والدته كنوع من الانتقام لوالده المنزوع من وظيفته كأب، كما أن غياب الأب قد يحول هذا الطفل الوديع إلى طفل عنيف، لأن الأب لا يشكل فقط الحنان والعطف والرعاية للطفل والمراهق، ولكنه يمثل أيضا مركز القوة في البيت، فغياب الأب بالنسبة للطفل معناه عدم وجود لهذه السلطة، فيحاول أن يكون هو هذه السلطة في البيت، ونلاحظ ذلك خاصة لدى المراهقين الذين يتربون في بيت لا أب فيه مع أمهم فقط، فعادة ما تعاني المرأة- حتى الناجحة في تربية أبنائها- من صعوبات كبيرة أثناء هذه المرحلة في غياب الأب.

وقد يتولد العنف لدى الأطفال نتيجة تربية عنيفة من قبل الآباء حيث يخلط هؤلاء بين التربية والترويض وبين السلطة والاستبداد فحسب «ديان دروري» : «بالنسبة لهؤلاء الآباء السلطة هي أمر جذري، فهي تستعمل كترياق ضد الخوف من ألا يكون سيد الموقف، ذلك الذي يستطيع كل شيء، الذي لا يخطئ أبدا. هي أفكار وهمية يثقل حملها لأن هذا الأب يعلم جيدا انه ليس معصوما من الخطأ».

كما يمكن أن يكون هذا العنف تجاه الوالدين نتيجة إهمال للطفل أو عنف كبير في تربيته، يحوله الابن إلى عنف مضاد من قبله، ولكنه قد يكون أيضا حصيلة إسقاط نرجسي للآباء على أطفالهم بحيث إنهم يرون فيهم مرآة يريدونها أن تعكس رغباتهم، ويحاولون صناعة ابن كامل يعجب به كل من يراه، وأحيانا كثيرة تصل متطلباهم حد التعسف وينسون أن لكل شخص طاقة وأن الله لا يكلف نفسا

إلا وسعها، فمن العادي جدا أن يتمرد هذا الطفل بشكل أو بآخر، وعادة لا يجد أمامه سوى العنف ليعبر به عن رفضه لهذا السلوك من قبل والديه.

أما الوسائل التي يمكنها أن تحد من اضطراب الحركة لدى الطفل المصاب بمرض عضوي جيني، إضافة للأدوية، فمنها الترابط الأسري والحلم والصبر على هذا الطفل المصاب وتقبل البلاء واحتسابه عند الله وعدم الصراخ على الطفل، فذلك سيزيد من خوفه الذي سيحوله إلى عنف كوسيلة دفاع عن النفس.

أما في الحالات التي يكون فيها السلوك نتاج وضعية نفسية فالأمر هنا وإن بدا صعبا ولكن يمكن السيطرة عليه بمحاولة إنهاء المسببات، فإن كان السبب هو خلافات الوالدين المتكررة أمام الطفل، فيمكنهما أن يحاولا حل خلافاتها بطريقة أكثر احتراما وبنقاش ودي لا يؤدي إلى جو من التوتر داخل الأسرة، مما سينقص من إحساس الطفل بعدم الاستقرار، ويجعله يهدأ بدوره، وهذا العامل هو أشد الأسباب التي تجعل تربية الطفل فاشلة وتؤثر على النمو العادي له، كما أن العيش تحت سقف واحد بدون مودة ولا رحمة، وهما أساس الزواج، هو أحد العوامل التي تجعل الطفل يجنح نحو سلوك شاذ وعنيف، كما جاء في القرآن الكريم في سورة الروم: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾، وهذه الرحمة ليس فقط بين الأزواج، بل هي رحمة للأبناء أيضا، فالزرع ينمو في بيئة سليمة، ويحصد عقيما في بيئة خالية من الحب والوفاق.

مواجهة العنف بنظيره ليست حلاً لمشاكل الطفل السلوكية

والانفصال بين الوالدين إن كان أمرا حتميا، فليكن بدون مشاكل نفسية للطرفين وبدون مشاكل خلافية أمام الأبناء.

كما أن مواجهة العنف بنظيره ليست حلا لمشاكل الطفل السلوكية، وإنما عدم إساءة معاملته والتصرف بلين ورفق هي وسائل تربوية ناجحة تؤسس لطفل سليم وغير عنيف أبدا، فقد قال رسولنا الكريم عليه أفضل الصلوات والسلام: «ما كان الرفق في شيء إلا زانه، ولا نزع الرفق من شيء إلا شانه».

أما في المدرسة فحلم المربي أيضا أمر واجب لكي يتجاوز الطفل صدمة الميلاد التي قلنا إنها ترافق الإنسان طوال حياته، وخاصة حينما ينتقل من وضع قديم إلى وضع جديد، والطفل حين ولوجه المدرسة فهو يدخل عالما جديدا، وقد لا يستطيع التركيز في البداية على ما يراه جديدا عليه، فينجم عن ذلك عدم القدرة على التركيز وحركية زائدة فهو لم يعرف بعد حدوده داخل الفصل وهي بداية معرفته بحدوده داخل مجتمعه.

وإجمالا فإن الصبر على الطفل وتحمله والابتعاد عن العنف كوسيلة للتربية الذي قد يحول سلوك الطفل إلى سلوك شاذ عنيف ناجم عن تحد وعناد، وتعويض ذلك بمحاولة تفهم أسباب ما يحصل للطفل سواء أكانت عضوية تحتاج لتدريب خاص ومتابعة إكلينيكية أو نفسية أيضا، كل هذا يحتاج إلى صبر وحلم ومتابعة مع الابتعاد عن الأدوية لأن المسببات نفسية وليست مرضية عضوية، والحلم أساس الأشياء، ولذلك فلنجعل من نبينا ورسولنا ﷺ قدوة لنا ونتعلم كيف نتعامل بحلم ورفق ولين، فأجر ذلك عند الله ولن يضيع أبدا، ففوق أننا سوف نساهم في تكوين جيل سليم ينهض بأمته فنحن مأجورون على ذلك أيضا، ويكفي أن الحليم هو اسم من أسماء الله الحسنى وقد قال تعالى في سورة البقرة: ﴿قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غني حليم﴾.

كما يجب أن يغير الآباء والمربون طريقة تعليمهم من الترهيب إلى الترغيب والتحبيب، وذلك باقتراح جائزة مثلا إذا ما أنهى الطفل عمله كما يجب، مع الوفاء بالعهود، فالطفل يتعلم بالقدوة ثم الحوار أكثر من أي شيء آخر، فلا ضير من عقد اتفاقيات مع هذا الطفل كثير الحركة مثل وعده بنيل مكافأة ما إن هو تعلم كيف يحسن سلوكه مثلا أمام الآخرين أو شكر غيره أو ساعدنا في مهام البيت بدون مشقة، إلى غير ذلك من الأمور التي يمكن أن نجعلها محفزات تعلم الطفل السلوك الصحيح البعيد عن العنف، وتساعده على تثبيت تركيزه والانتباه بدون الضغط عليه، والأساس في كل ذلك أن نتعامل مع الطفل بطريقة عادية ونتفادى الغضب والعنف وهما أمران أكررهما كثيرا لأنهما أساس كل سلوك مرضي ونفسي، كما أنه لا يجب تحقير الطفل إذا ما أخطأ، وكذلك يجب أن نبتعد عن أسلوب الأمر وإنما نستعمل أسلوب الطلب بطريقة لينة ومدروسة.

اغرس الانتماء في نفوس أبنائك

د.محمد عيسوي الفيومي

هل الانتماء هو مجرد رفع العلم أو رسمه على الوجوه أو ارتداء قبعات بألوانه أو تعليقه على المباني أم أنه أكثر من ذلك بكثير؟ وكيف ننمي الانتماء في نفوس أبنائنا؟

يؤكد د.حسن شحاتة أستاذ التربية والمناهج وعضو المجالس القومية المتخصصة في مصر أن الانتماء يبدأ اكتسابه منذ السنوات الأولى من عمر الطفل وهو يبدأ بالانتماء إلى الأم لتلبية الاحتياجات وباعتبارها رمز الحماية، فهي أول من يلقنه دروس الأخلاق والقيم، فالأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعب طيب الأعراق، يتبعه الانتماء للوالد، ثم الأسرة، ثم المجتمع الأكبر مثل المدرسة أو النادي، ويتبع ذلك الانتماء للوطن، وهناك مكسبات للانتماء ومنها التعليم والرسائل الإيجابية والصور المشرقة التي يرسمها الأهل عن أفراد الأسرة من الأجداد والأقارب، ثم من رموز الوطن، كما ينتقل الانتماء بالتعليم والنقل عن الوالدين، فإذا كانا دائمي النقد والرفض للمجتمع وأقل تمسكًا بالقيم كان انتماء الأبناء أقل، ذلك إذا أظهر الوالدان أو الأهل أو المجتمع عدم تقدير للرموز الوطنية فإنهم يصيبون انتماء أبنائهم في مقتل.. كما يرتبط الانتماء بالتقدير لذات الفرد، وكلما زاد تمكين وتقدير الطفل في مجتمعه زاد انتماؤه، كما يرتبط الانتماء بموقع الفرد وسط الجماعة بتحقيق ذاته بينها، وتلعب القصص والحكايات والإعلام دورًا كبيرًا

في تنمية أو تقليل الانتماء في حكايات الجدات ورموز الوطن السابقين من زعماء وأدباء وعباقرة تلعب دورًا كبيرًا في ربط الطفل بوطنه منذ السنوات الأولى في حياته، ويشير د.حسن إلى بعض ما يهدد انتماء الطفل العربي مثل انتشار القدوة الغربية والترويج لها بين الأطفال والشباب واتباع بعض الاعلاميين والممثلين سلوكات غريبة تضر بالمجتمع مثل تفضيل شراء سلع أجنبية والتفاخر بالهجرة أو بازدواج الجنسية، كذلك يؤدي تقديم نماذج سيئة في المجتمع والترويج لها إلى نقص الانتماء لدى أفراده.

أما د.شعبان عبدالصمد أستاذ علم النفس المساعد بكلية الآداب جامعة عين شمس فيعتبر ضعف الانتماء محصلة لمجموعة من المتغيرات الاجتماعية، مثل افتقاد القدوة وانتشار ثقافة «الفهلوة» و«البلطجة» وتراجع دور مؤسسات التعليم في تعزيز الانتماء وشعور الإنسان بنقص القيمة مما يؤثر على علاقته بذاته وبالآخرين في المجتمع، ويضيف أن نقص الانتماء لدى الإنسان خاصة في المراحل الأولى من حياته هو مصدر لكل ما يمكن أن يتعرض له المجتمع من إفساد وتطرف وانحرافات سلوكية، بدءًا من صورتها البسيطة حتى الكارثية، مثل عدم إخلاص الإنسان في عمله، وقلة الإبداع، وانتهاء بالفساد والميل إلى التطرف السلوكي والخروج على القانون.

ويقترح الأثري بسام الشماع أن نبدأ الآن بعدما ظهر من حب الصغار والشباب لوطنهم خلال هذه الأيام بأن نغرس حب التاريخ بين أبنائنا ونقدمه لهم في أعمال قصصية وكرتونية داخل المدارس والمكتبات وعبر مجلات الأطفال، على أن نسلط الضوء بصورة أكبر على الشخصيات الناجحة والمتميزة في تاريخنا العربي القديم والحديث بصورة تسمح لأبنائنا باختيار قدوة منهم ليصبحوا جيلا أفضل في المستقبل.

باحث أكاديمي

الكوفية (الغترة).. تاريخ عربي ورمز وطني

د. رفيق حسن الحليمي

لكل أمة من الأمم لباسها الوطني الذي تتميز به عن غيرها، ولعل نظرة سريعة في بعض الآثار القديمة من رسومات ونقوشات، أو قراءة في بعض الأدبيات مما خلفتها الشعوب الغابرة تكشف عن أمور كثيرة، من بينها بعض مظاهر الأزياء والملابس وأشكالها المختلفة، سواء أكانت للعامة من الناس أم للخاصة منهم، بحيث أصبحت أكثر الأمم والشعوب منذ القدم تتماهى في أزيائها وملابسها التي غدت معلمًا بارزًا لهويتها وعلامة فارقة لشخصيتها، وقد لعبت البيئة بكل معطياتها، وخصائصها دورًا مهمًا في تحديد طبيعة الأزياء، سواء أكانت للرجال أم للنساء أم لغيرهم من الحكام والجنود.

في العصر الحديث بعد موجات المد الاستعماري التقليدي، اختلط الحابل بالنابل(١)، حيث ساد الزي الغربي في أكثر بلاد العالم وتأثر المغلوب المقهور بالغالب المنتصر!، وامّحت الأزياء الوطنية في كثير من دول العالم- كما هي الحال بالنسبة إلى كثير من اللغات التي توارت وحل مكانها لغات الغالب المنتصر- ومع هذا بقيت بعض الشعوب تحافظ وتحتفظ بالزي الوطني وتتخذ منه رمزًا للوطنية وتاريخًا للوطن وعنوانًا للأمة وحبلًا يعتصم به لربط الحاضر بالماضي، ومظهرًا من مظاهر السيادة والفخر، ففيه يستحضر المواطن ماضي الآباء، ويستقرئ صفحات من تاريخه بمجده وعبقه، وبطولاته وانتصاراته، ويستخلص العظات والعبر من مواقف الصناديد في نصرة الحق وقهر الباطل وتحدي الهزائم والصبر على المكاره وويلات الزمن.

وللكوفية تاريخ قديم تليد، ولها رمزيتها الخالدة، فهي من بين المعالم الأساسية لشخصية الإنسان العربي، وقد تصبح المعلم الوحيد له عندما يرتديها وهو يتزين بالزي الغربي (البدلة)، فندرك أن صاحبها عربي.

أما كلمة «كوفية» فقد قيل: إنها نسبة الى مدينة الكوفة في العراق، حيث كانت تصنع، وقيل: إنها كلمة إيطالية بمعنى غطاء الرأس(٢١)، وفي بلاد الشام تسمى «الحطة»، وفي دول الخليج تسمى «الغُترة»، ويبدو أن الكلمة الأخيرة اختزال لكلمة «غطاء الرأس».

كان الزعماء وعلية القوم من العرب في العصر الجاهلي يعتمرون العمامة في الحرب ويخلعونها وقت السلم(٣)، وأما العامة فيضعون قطعة قماش على الرأس لتقي من حر الشمس، ثم ألحقوا بها حبلًا يلتف حولها حتى لا تتقاذفها الرياح، وقد تطور الحبل الى «العقال»، كما تطورت هي الى اشكال مختلفة والوان متعددة، وساد اللون الأبيض أكثر من غيره لدلالته على العفاف والطهر والنظافة، وأكثر ما يرتدى في فصل الصيف.

في القرن العشرين توصلت مصانع النسيج في بلاد الشام- يدويًا- إلى نسج كوفيات بيضاء مطرزة باللون الأسود أو الأزرق أو الأحمر، أطلق عليها «الشماغ»(٤)، وقد برعت مصانع الغرب في تصنيعها وحملت اسم الشماغ أيضًا، وأفضلها الموشى باللون الأحمر، وهناك الموشى باللون الأبيض، وهي آخر ما

كاتب وأكاديمي فلسطيني

صنع. وأكثر ما تلبس في فصل الشتاء.

ساد العراق وبلاد الشام وفلسطين تحديدًا نوع من الشماغ المطرز باللون الأزرق، والمسافات بين حبات التطريز متباعدة، وكان يلبس هذا النوع الثوار في فلسطين ضد الانتداب البريطاني، وفي عام ١٩٣٦م عم الإضراب الثوار في فلسطين كلها عرف بإضراب ٣٦، شلت فيه الحركة، واشتدت ضربات الثوار ضد الجنود البريطانيين الذين وجدوا في ذلك الزي علامة مميزة لمعرفة الثوار فكانوا يلاحقونهم من خلال تلك الكوفية التي أصبحت رمزًا وطنيًا، فأصدر الثوار أمرًا لجميع سكان فلسطين بأن يرتدوا الكوفية حتى لا يستطيع الجنود البريطانيون التعرف إليهم، وكان أكثر سكان فلسطين من علية القوم يرتدون الطربوش التركي، وخلال أيام قلائل خلع سكان فلسطين الطربوش وارتدوا الكوفية بدلًا منه، وبانتهاء الإضراب (تدخلت دولة لإنهائه مقابل رشوة بمبلغ ألف جنيه استرليني دفعتها حكومة صاحب الجلالة دعمًا لأكبر مكتبة عامة في تلك الدولة) ظلت الكوفية رمزًا يتخذه المناضلون في حربهم ضد بريطانيا، ثم في حربهم ضد إسرائيل، وفي معركة القسطل- بجوار القدس- التي استشهد فيها المرحوم عبدالقادر الحسيني وآخرون من رفاقه عام ١٩٤٧م كانوا جميعًا يرتدون الكوفية موضع حديثنا، وقد حفظت بعض الوثائق صورة للشهيد عبدالقادر وهو يرتدي الكوفية.

عند قيام حركة فتح عام ١٩٦٥م وجد القائمون على أمرها ضرورة ارتداء الكوفية تيمنًا بموقف المناضلين القدامى وتقليدًا لهم، والذي أريد التركيز عليه أن ارتداءها من قبل حركة فتح وغيرها ليس ابتداعًا أو اختراعًا جديدًا كما يظن كثيرون وانما هو اتباع وتقليد، ومع الأيام عم ارتداء الكوفية لدى مختلف الفصائل، والقوى المؤيدة لنضال الشعب الفلسطيني من عرب وغير عرب، ووجدت مصانع النسيج فرصة لتطوير شكل الكوفية في أحجام وأنواع مختلفة، فصنعوا منها الوشاح الذي يلتف حول العنق أو يتدلى على الصدر، وصنعوا الحزام وربطة العنق والمنديل، ولم يقتصر ارتداؤها على الرجال فقط بل طال النساء والأطفال، وأكثر من ذلك أن بعض الفرق الشعبية تزهو وتتباهى بارتدائها في الحفلات والأعراس التي تقام في الأرض المحتلة وفي خارجها، ما يلهب الجماهير بالفرح وبالأمل في عودة وطن سليب إلى أهله وعودة الغرباء إليه، كما أصبحنا نرى على شاشات التلفزة أن من يريد أن يعلن عن تأييده للقضية الفلسطينية من العرب ومن غير العرب يضع حول عنقه وشاحا من شكل تلك الكوفية، وكأن هذا الشكل من الكوفيات استأثر به الفلسطينيون ومناصروهم، بحيث أصبحت هذه الكوفية بالقوة والفعل كما يقول أهل المنطق رمزًا له دلالته الوطنية على الكفاح المسلح، وشعارًا له مغزاه على التضحية والفداء، مع أن في الأردن وفي سواد العراق وسوريا من يرتدي هذه الكوفية من دون أن يكون ذلك من خلال نظرة سياسية أو حزبية، أو لمناصرة هذا أو ذاك، فهي ليست عندهم أكثر من زي شعبي «وطني» أو مجرد كوفية، وظيفتها الدفء شتاءً والوقاية من الحر صيفًا.

الهوامش

١- الحابل: الصائد بالحبال، النابل الصائد بالنبال (السهام)، مثل يضرب لاختلاط الأمور فلا يعرف الصائد بالحبال من الصائد بالنبال (قاموس).
٢- قاموس المنجد.
٣- الأصمعيات هامش ص١٨، ويستدل على ذلك ببيت من الشعر لسحيم بن وثيل (مخضرم):
أنا ابن جلا وطلع الثنايا
متى أضع العمامة تعرفوني
وقد استشهد به الحجاج بن يوسف الثقفي في أول خطبة له عند توليه العراق من قبل بني أمية، انظر: الجاحظ، البيان والتبيين ج٢، ص٣٠٨، وانظر: الأصمعي، الأصمعيات رقم (١) ص١٧، وابن جلا: الواضح الأمر.
٤- لا أعرف مصدر هذه الكلمة ولا معناها.

ملتان باكستان أسست عام ١٩١٠م

جامعة دار الحديث المحمّديّة

تركي محمد النصر

«ملتان» مدينة باكستانية عريقة تقع في الجزء الجنوبي من محافظة نهر تشناب وتبعد عن كراتشي حوالي ٩٦٦ كلم، يفوق عدد سكانها ٣,٨ مليون نسمة، مما يجعلها سادس أكبر مدن باكستان، وهي مدينة مليئة بالأسواق والجوامع والمباني الأثرية.

شهدت ملتان العديد من الصراعات التاريخية، ويعود أقدم تاريخ لها إلى عهد الإسكندر الكبير حينما اقتحمت قواته قلعتها بعد رؤية ملكهم مجروحًا وفاقدًا للوعي في ساحة المعركة.

وفي منتصف القرن الخامس دخل القائد «تورمان»، واستطاع احتلال المدينة لكنه لم يبق فيها طويلًا، ثم عاد إليها الحكم الهندوسي.

وفي القرن السابع وصل إليها الفاتحون المسلمون ولكنهم لم يفتحوها حتى جاءها الفتح الإسلامي بعد عدة عقود على يد القائد المسلم محمد بن قاسم الثقفي مع بلاد السند، ودخل هذه المنطقة كثير من المحدثين.

وكانت المدينة تعرف بـ «مدينة الذهب» وكتب المؤرخون بأنها احتوت على معبد هندوسي ضخم يعيش بداخله ٦٠٠٠ شخص كان يعرف باسم «سون ماندير».

حكم المسلمون المدينة منذ قدوم الثقفي، وحكمها الرند لعقود، ومن أشهر حكامهم الملك شاكر الرند سنة (١٥٥٠-١٥٦٥م)، ملك نيودلهي وبنجاب والسند ومكران، والأمير بكر حسن الرند.

وبعد ذلك هاجم السلطان «محمود الغزنوي» (ت:٤٢١هـ) الذي كان يعرف ببطل الإسلام وفاتح الهند المدينة مرتين، وجاء من بعده المغول الذين حكموها لحوالي ٢٠٠ سنة. وفي ذلك الوقت عُرفت بـ «دار الأمان»، وقد بني فيها العديد من المباني الشامخة. وحُكمت بعد ذلك من «كابل» بواسطة بعض السلالات الأفغانية لفترة من الزمن، وعندما هاجمتها الجيوش السيخية في القرن الثامن عشر أحدثت فيها دمارًا هائلًا وسلبت منها الكنوز، إلا أنهم لم يمكثوا فيها، وبعد فترة من عدم الاستقرار فيها دخلها البريطانيون فكانت جزءًا من الهند البريطانية.

وعندما استقلت باكستان عام ١٩٤٧م، كانت ملتان في وضع سيء للغاية، ولكنها سرعان ما ازدهرت من الناحيتين العمرانية والعلمية.

تأسيسها جامعة

بدأت النهضة العلمية في مدينة ملتان بشيء من التنافس العلمي الحاد بين عدد من التيارات الفكرية الإسلامية وغير الإسلامية، وبدأ كل تيار ببناء المراكز الخاصة به لنشر دعوته، وفي هذه الفترة الحرجة من النزاعات الفكرية أنشئت دار الحديث المحمدية في عام ١٣٢٧ هـ الموافق ١٩١٠م وهي أقدم جامعة لأهل التوحيد في هذه المنطقة، وتستمر بتوفيق الله تعالى نحو تحقيق أهدافها وبذل جهدها في خدمة الكتاب والسنة وإعلاء كلمة الحق وتدريس أبناء المسلمين وتربيتهم على منهج السلف الصالح عقيدة وعملًا.

أهدافها

وضعت الجامعة منذ تأسيسها أهدافًا سامية وبدأت العمل الجادّ لتحقيقها وهي:

١- تدريس العلوم الإسلامية واللغة العربية على منهج السلف الصالح.

٢- محاربة البدعة والشرك والأفكار الهدامة وتوجيه المسلمين إلى اتباع الكتاب والسنة.

٣- إيقاظ وتنمية مشاعر الأخوة الإسلامية وإيجاد الاعتدال في المسائل الفقهية وإبعاد الطلاب عن التعصب المذهبي.

٤- نشر المفاهيم الصحيحة للدين الإسلامي وحض المسلمين للتمسك بالكتاب والسنة.

٥- تربية الطلاب تربية إسلامية وإصلاح عقائدهم وجعلهم علماء ربانيين.

٦- إعداد الدعاة المخلصين الذين يقومون بأمور الدعوة ويشعرون بمسؤوليتهم.

٧- الاهتمام بنشر العقيدة الصحيحة المستمدة من الكتاب والسنة.

٨- العناية بتعليم البنات وتربيتهن التربية الصحيحة.

٩- تبليغ رسالة الإسلام الخالدة إلى الناس بأسلوب حكيم.

أقسامها

إمام وخطيب في وزارة الأوقاف الكويتية

لقد اهتم القائمون على الجامعة باستيعابها لجميع الشرائح الطلابية وقاموا بتوزيعهم في الأقسام الدراسية التالية:

١- قسم الدراسات الإسلامية للبنين.
٢- قسم الدراسات الإسلامية للبنات.
٣- قسم تحفيظ القرآن الكريم للبنين.
٤- قسم تحفيظ القرآن الكريم للبنات.
٥- قسم تجويد القرآن الكريم للبنين.
٦- المدرسة الابتدائية للبنين والبنات.

ويدرس في الجامعة عدد ٣٨٠ طالبًا وطالبة، منهم ١٦٠طالبًا يسكنون في الجامعة وتتحمل الجامعة تكاليف الطعام وخدمة العلاج والسكن وتقوم بتدريسهم نخبة من المدرسين وعددهم ٢٦ معلمًا ومعلمة، وتنفق الجامعة لقاء ذلك نفقات طائلة، مع العلم أنه ليس للجامعة موارد مالية مستقلة سوى تبرعات أهل الخير والجود جزاهم الله خيرًا.

نشاطاتها وفروعها

تتولى الجامعة العناية والاهتمام بإعداد الجيل الجديد وتربيتهم تربية إسلامية ولتحقيق هذا الغرض قامت الجامعة بإنشاء فروع شتى هي:

١- مدرسة لتعليم القرآن في جامع أم خالد.. منظور آباد.

يقدم المركز الموروث التاريخي الإسلامي للإنسان المعاصر اعتمادا على مناهج علمية حديثة

٢- مدرسة لتعليم القرآن .. مسجد بيت المكرم حي الأنصار.
٣- مدرسة لتحفيظ القرآن.. جامع مسجد عائشة حارة شاه ركن عالم.
٤- مدرسة لتعليم القرآن .. جامع مسجد الرضوان زكريا تاؤن.
٥- مدرسة لتحفيظ القرآن.. جامع أهل حديث كري داود خان؛ قدير آباد.
٦- مدرسة الحرمين لتحفيظ القرآن الكريم.. جهانيان خانيوال.
٧- مدرسة عائشة صديقة للبنات.. قرية مان ملتان.
٨- مدرسة رحمانية للبنات.. أحمد آباد ملتان.

دار الإفتاء وشعبة الدعوة

أقيمت في الجامعة دار الإفتاء للإجابة على أسئلة السائلين في مهمات حياتهم فيجاب لهم في ضوء الكتاب والسنة وعلى منهج السلف الصالح رحمهم الله.

كما كلفت شعبة الدعوة والتبليغ في الجامعة نخبة من المدرسين والطلاب بإلقاء الدروس والمحاضرات وخطب الجمعة في داخل مدينة ملتان وما حولها من القرى المجاورة في أيام شتى وفي مناسبات مختلفة.

وتقوم الجامعة بعقد المؤتمر السنوي بمناسبة سماع وختم صحيح البخاري بالسند المتصل إلى الإمام البخاري رحمه الله تعالى في نهاية كل عام دراسي.

وتقوم الجامعة في كل عام بتخريج كوكبة من الدعاة يحملون رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقد هدى الله على أيديهم كثيرًا من أهل المنطقة والمناطق المجاورة؛ فلله الحمد.

وقد زار عدد من علماء المسلمين الجامعة ودعموها معنويًا، منهم أئمة الحرمين الشريفين فضيلة الشيخ محمد بن عبدالله السبيل، وفضيلة الشيخ صالح بن عبدالله الحميد، وفضيلة الشيخ سعود بن إبراهيم الشريم، وغيرهم من العلماء وطلاب العلم.

المصادر:

١- تاريخ الإسلام للذهبي.
٢- تاريخ ابن خلدون.
٣- المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور لأبي إسحاق الصيرفيني.
٤- موقع جامعة دار الحديث على الانترنت.

مشكلات النطق عند الأطفال وكيفية العلاج

د.ناصر أحمد سنة

لأسباب عدة يوجد لدى بعض الأطفال مشكلات في النطق، فقد يتأخرون في النطق والكلام، أو يتلجلجون، أو يعجزون، أو يتلعثمون... الخ. وغالبا ما يصاحب هذه المشكلات والاضطرابات- ضمن دائرة خبيثة من السبب والنتيجة - قلق وارتباك وشعور بالنقص والخجل، وعدم القدرة على التوافق وميل إلى الانطواء والعزلة، فما العلاج؟

النطق والبيان من أجلّ نعم الله تعالى على الإنسان، بعد الخلق والإيجاد، قال تعالى:﴿الرَّحْمَنُ. عَلَّمَ الْقُرْآنَ. خَلَقَ الْإِنْسَانَ. عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ (سورة الرحمن:١-٤) فبعد الخلق والإيجاد يكون النطق والكلام واللغة سبيلًا للتواصل والتفاهم الاجتماعي الطبيعي بين البشر.

والنطق والكلام هو حركة أعضاء النطق في إنتاج الأصوات اللغوية والرموز المنطوقة. والكلام وسيلة تعبير عن اللغة، وهناك وسائل تعبير أخرى غير كلامية مثل الكتابة وإشارة اليد ولغة الجسم... الخ. ومن المعلوم أن اللغة قدرة ذهنية مكتسبة يتواصل بها الفرد مع الآخرين، وهي مجموعة من المعارف التي تشمل المعاني والمفردات والقواعد التي تنظمها أو تضبطها. هذه اللغة تتولد في ذهن الفرد وتمكنه من إنتاج وفهم العبارات والجمل المسموعة أو المكتوبة.

ولعل أكثر ما يُطرب الأذن تلكم الأحرف/ الكلمات الأولى التي يبدأ أطفالنا (وهم يقتربون من إتمام عامهم الأول) بالنطق بها (غالبا ما تكون ماما، بابا، نانا). ومن ثم تزداد السعادة عندما يمتلك القدرة المتراكمة على تكوين جمل مركبة من عدد أكبر من الكلمات، باستخدام قواعد اللغة المتعارف عليها. وما أن يصل الطفل إلى سن السادسة، حتى تكون قدراته اللغوية قد اكتملت أو كادت.

وهناك بعض الإشارات التي تساعد على معرفة مدى تطور اكتساب اللغة، ومن ثم التواصل بها عند الأطفال، منها: اتجاه الطفل تجاه مصدر الصوت، واستجابته للأصوات العالية والهادئة، وبكاؤه وتفاعله مع المؤثرات الخارجية، وانجذاب نظره لوجه من يتحدث إليه، وقدرته على التعرف على صورة والدته أو والده أو أقاربه، ومحاولته المشاركة والتواصل من خلال حركات جسدية أو صوتية (مناغاة) ثم تحدثه بمقاطع متكررة مثل: (بابا- نانا)، فهمه للألعاب المحيطة به.

اضطرابات النطق

ثمة حالات لوصف تأخر الكلام عند الطفل: كتأخر التلفظ بالكلمات إلى سن ثمانية عشر شهرًا، أو عدم نطق الجُمل بعد بلوغ الطفل سنتين ونصف السنة من العمر، أو إذا كان كلام الطفل البالغ من العمر أكثر من سنتين غير مفهوم للآخرين، أو إذا كان أكثر من نصف كلام الطفل البالغ من العمر أكثر من ثلاث سنوات غير مفهوم، أو كان ١٠٪ من كلام الطفل البالغ من العمر أكثر من أربع سنوات من العمر غير مفهوم للآخرين.

وقد خلصت دراسة حديثة إلى أن الأطفال الذين يعانون من تأخر الكلام يستخدمون جزءًا مختلفا من الدماغ في السماع (مهارات اللغة ترتبط بالجانب

كاتب وأكاديمي مصري

الأيسر من الدماغ). فوجد الباحثون أن الجانب الأيمن من دماغ هؤلاء الأطفال شهد نشاطا أكبر، في حين مال آخرون إلى استخدام الجانب الأيسر. كما أن المتأخرين في النطق يعانون أيضا من انخفاض نشاط الدماغ الكلي.

ومن أكثر اضطرابات النطق شيوعا، فُرادى أو مجتمعة، بوتيرة مستمرة أو متقطعة حسب المواقف

- الحذف (Omission): عدم مقدرة الطفل على نطق جميع حروف الكلمة وإنما يسقط منها حرفًا أو أكثر.

- الإبدال (Substitution): عدم مقدرة الطفل على التلفظ بجميع حروف الكلمة كما هي، وإنما يبدل حرفًا يستعصي عليه نطقه بحرف آخر أكثر سهولة لديه مثل: (خبيبي بدل حبيبي، تاب بدل باب، تيارة بدل سيارة... الخ).

- الإضافة (Addition): إضافة الطفل حرفًا آخر لحروف الكلمة الأساسية.

- التحريف أو التشويه (Distortion): يتمثل في أن تكون الإضافة أو الإبدال أو الحذف مخلًا بالكلمة.. نطقًا ومعنى.

- اللجلجة (Clutting): عدم قدرة المتكلم على توظيف اللغة للتعبير/ الإفصاح عن أفكاره ومشاعره. وهي تتمثل في خروج الكلمات من فم الطفل مضطربة، وبخاصة عندما يتحدث إلى من يهابهم. وهي من أكثر مشاكل الكلام انتشارًا، وغالبًا ما ترد إلى عوامل نفسية (القلق والتوتر وعدم الشعور بالطمأنينة منذ الطفولة المبكرة). لكن في كثير من الحالات فإن المصاب يستطيع أن يتحدث دون لجلجة إذا شعر بالطمأنينة وتوثقت صلته بنفسه وبالآخرين.

وقد يكون سبب اللجلجة عند بعض

من أكثر اضطرابات النطق شيوعاً: الحذف - الإبدال - الإضافة - التحريف - اللجلجة - التأتأة

الأطفال هو عدم تمكنهم من اللغة بالقدر الذي يجعلها طوع أمرهم وفي متناولهم، فيؤدي تزاحم الأفكار بسبب قصور ذخيرتهم اللغوية واللفظية إلى اللجلجة. وأحيانا بسبب أن الطفل يتكلم في موضوع لا يهمه أو يعنيه أو لا يفهمه معتمدًا على الحفظ الآلي وبذلك تكون اللجلجة وسيلته كلما ضاع منه اللفظ المناسب.

من المعلوم أن التعثر الطبيعي في الكلام يحدث لأن قدرة الطفل الذهنية على التفكير بالكلام أسرع من تمكن اللسان على إخراجها، ولا يستمر التعثر الطبيعي في الكلام أكثر من شهرين إلى ثلاثة أشهر إذا تم التعامل مع الحالة بالطريقة السليمة. أما صعوبة النطق الطبيعية فترجع إلى أسباب وراثية.

- التأتأة (Stammering): (مثل نطق: ت ت ت.. تلعب). يحدث تعثر طبيعي في الكلام عند ٩٠٪ من الأطفال بعكس التأتأة الحقيقية التي تحدث عند ١٪ من الأطفال. كما أن هناك ٧٠٪ تقريبا من الأطفال ينطقون الكلمات بوضوح منذ بداية تعلم الكلام، أما البقية الذين تتراوح أعمارهم من سنة إلى أربع سنوات فيكون لديهم عسر نطق طبيعي، ويتلفظون بالعديد من الكلمات التي لا يتم فهمها.

لاشك أن المتحدث الطبيعي قد يصادف لحظات من التردد والتهتهة، وهي تتفاوت من فرد إلى آخر وتتعلق بإلمام المتكلم بموضوع الحديث وطبيعة المستمع إذا كان ناقدًا أو ذا سلطة وسيطرة. عمومًا.. لا يتجاوز عدد الوقفات (التأتآت) عند الفرد الطبيعي٧٪ - ١٠٪، ويكون نوعها من قبيل تكرار بعض الوقفات القصيرة أو الكلمات/ الجمل القصيرة والحشوات لكسب بعض الوقت لتنظيم الأفكار (مثل: آه، إم، آآه). لكن عندما يزيد معدل الوقفات أو التأتأة عن ١٠٪ يكون ذلك مؤشرًا لوجود اضطراب في النطق.

فـ«التأتأة» مشكلة تسبب انقطاعا في سلاسة وانسابية النطق، ويفوق حدوثها عند الأولاد عن البنات بأربع مرات. يردد/ يكرر الطفل صوتًا لغويًا/ كلمة/ مقطعًا ترديدًا لا إراديًا مع عدم القدرة على تجاوزه (يتوقف في الكلام) إلى المقطع التالي. ويلاحظ على المصاب بها اضطراب في حركتي الشهيق والزفير مثل انحباس النفس ثم انطلاقه بطريقة تشنجية، مع حدوث حركات زائدة في اللسان والشفتين والوجه واليدين عما يتطلبه نطق الكلام العادي. وتتكرر تلك الحالة بصورة أكثر كلما كان الطفل متعبًا أو منفعلًا أو مجهدًا، خائفًا من التحدث.

أسباب اضطربات النطق

أسبابها معقدة (عوامل فسيولوجية، عصبية، اجتماعية، ولغوية). لكن الرأي القائل بأن منشأها عوامل نفسية يُعد من أكثر الآراء قبولًا. من ذلك إفراط الأبوين في تدليل الطفل أو محاباته على إخوته، أو العكس افتقاره إلى عطف الأبوين، والحياة في جو يسوده العقاب الجسدي والإهانة والشقاق، أو لتضارب أساليب التربية، أو للإخفاق المدرسي كما أن إهمال الآباء للأبناء ومحاولتهم إسكاتهم عند التحدث أمام الآخرين يؤدي إلى خلق رواسب

نفسية سلبية، تعمل على زعزعة ثقتهم بأنفسهم، وقدراتهم على التحدث والنطق بشكل صحيح.

ويمكن تبين أثر القلق وانعدام الأمن عند الطفل من الأثر الانفعالي الذي يعانيه عندما يتكلم، فالقلق/التخوف من مواجهة المواقف/ الأشخاص يسبب توتره، فيتلكأ في إخراج الكلام بصورة تامة. وبمرور الأيام يتعود اللجلجة مما يزيد شعوره بالنقص وعدم الكفاءة. بيد أنه أحيانا عندما يكون في ظروف نفسية إيجابية، أو بمعزل عن الناس.. فإنه يستطيع التكلم بطلاقة.

ما العلاج؟

- تتفاوت الأساليب العلاجية لاضطرابات النطق حسب عمر الطفل. ومن ذلك توفير الرعاية الصحية له باستمرار، وعرضه على أصحاب الاختصاص في وقت مبكر إذا لوحظ لديه أعراض مشاكل النطق. وينبغي التأكد من خلو الطفل من المسببات المرضية العضوية لمشاكل النطق، ومعالجتها إن وجدت (مشاكل الجهاز العصبي، وأجهزة السمع والكلام العليلة مثل: الزائدة اللحمية في الأنف، انشقاق الشفة، عيوب الأسنان واللسان... الخ).

- العلاج النفسي: وذلك بإبعاد الطفل عن الضغوط النفسية والانفعالات الحادة والتدليل الزائد وإظهار الاهتمام والقلق المبالغ فيه نحوه. مع تقدير حالته وعدم السخرية منه أو إحراجه أو مقارنته بالأسوياء، مع تنمية ثقته بنفسه ووضع حد لما يشعر به من خوف أو خجل وتعزيز النجاحات التي يحققها.

لعلاج مشكلات النطق يجب التعاون والتنسيق بين المنزل والمدرسة والاختصاصي المعالج

- تفهم الوالدين والمعلمين لحالة الطفل لأسباب الصعوبات التي يعاني منها الطفل والسعي لتخليصه منها. وتغيير البيئة (المدرسة) إذا كانت الحالة تستدعي ذلك.

- تنظيم برنامج تأهيل مستمر ومتطور للمعلمين للإلمام بما هو حديث في عمليات ملاحظة القدرات التعبيرية، والاكتشاف المبكر لاضطرابات الكلام، وسبل التعامل معها وتقويمها. وذلك ضمن منظومة تعليمية متكاملة من قبل المؤسسات المعنية.

- تدريبات رياضية لتقوية الفكين وأجهزة التنفس بإشراف اختصاصيين، مع تنظيم التنفس، وتخفيف سرعة التكلم، والتحدث بهدوء.

- مخاطبة الطفل بألفاظ سهلة ومفهومة حول أشياء يعرفها، وتدريبه على الكلام السليم تدريجيًا ابتداءً بالسهل ثم الصعب. وإعطاؤه الفرصة كاملة للتعبير عن نفسه، وتشجيعه، وعدم توجيه أي لوم إليه. وتنمية قاموسه اللغوي باستمرار. ومتابعة تلك التدريبات من خلال التسجيل الصوتي.

- التعامل مع التأخر اللغوي عند الطفل من خلال الابتعاد عن مقارنة الطفل بغيره من زملائه وأقرانه ممن تمكنوا من النطق لغويًا بشكل جيد. التحدث مع الطفل بلغة واحدة. استعمال أسلوب سهل وبسيط في التحاور مع الطفل. تشجيع الطفل على طلب الأشياء وعدم الاكتفاء بالإشارة لها فقط. مشاركة الطفل في جميع ممارساته اليومية والتحدث معه. الحرص على سرد قصة قبل النوم؛ فهي تساعد على جذب الطفل واسترعاء انتباهه للمشاركة في الحديث حول القصة، اجتناب ازدواجية اللغة أثناء فترة الطفولة المبكرة.

- يجب تحقيق اكبر قدر ممكن من التعاون والتنسيق بين دور المنزل والمدرسة والاختصاصي المعالج حتى تتكامل الجهود لعلاج مشكلات النطق وفق الاحتياجات المطلوبة لكل منها.

الشيخ العلامة أحمد نصيب المحاميد - رحمه الله -

التحرير

هو العلامة الشيخ أحمد بن محمد سعيد بن حسن العلي المحاميد، أبومحمد، ولد في سنة ١٣٣٠هـ، الموافق ١٩١٢م، في قرية «نصيب» من محافظة درعا بالجمهورية العربية السورية، وعُرف بالشيخ نصيب نسبة لقريته التي ولد فيها.

درس الشيخ أحمد نصيب المحاميد في بداية نشأته في الكتّاب، ولما بلغ السابعة عشرة من عمره سافر إلى مدينة دمشق التي تبعد عن قريته التي يعيش فيها أكثر من ١٠٠ كم، وفيها التحق مباشرة بحلقة الشيخ علي الدقر رحمه الله تعالى، وقرأ على الشيخ العلامة عبدالكريم الرفاعي رحمه الله، ثم تدرج شيخنا في طلب العلوم على فحول العلم في الشام:

فأخذ الحديث من محدث الشام الحافظ محمد بدر الدين الحسني ت: ١٣٥٤هـ، فقرأ عليه من صحيحي البخاري ومسلم، كما أخذ من شيخه العلامة علي الدقر ت:١٣٦٢هـ كتاب الترغيب والترهيب، وأخذ على شيخه الشيخ محمود العطار ت:١٣٦٢هـ، مسند الإمام الشافعي وسمع على شيخه أبي الخير الميداني ت١٣٨٠هـ، حديث الرحمة المسلسل بالأولية الإضافية و المسلسل بالدمشقيين.

وأخذ الفقه من شيخه الشيخ أحمد البصوروي، والشيخ علي الدقر، وتفقه على شيخ الشافعية العلامة صالح العقّاد، وقرأ عليه كتاب: شرح البهجة لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري.

وقرأ أصول الفقه على شيخه الشيخ محمد بدر الدين الحسني، وشيخه الأصولي محمد أمين سويد (ت١٣٥٥).

كما أخذ الشيخ التجويد على الشيخ جميل الخوّام (ت١٤١٥) وقرأ على الشيخ المقرئ عز الدين العرقسوسي بعض سور القرآن. وحفظ القرآن الكريم كاملًا على تلميذ العرقسوسي الشيخ محمد أبي الحسن الخبّاز وغيره.

وقرأ ختمة كاملة على القارئ الشيخ عبدالوهاب الحافظ المشهور بدبس وزيت ت: ١٣٨٩هـ، كما قرأ رحمه الله علوم العربية وآدابها حتى غدا مرجعًا فيها، وكان الشيوخ يُحيلون عليه، ومنهم شيخ الشام عبدالوهاب دبس وزيت.

كما أخذ البلاغة عن شيخه أبي الخير الميداني.

عمله

أمّ الشيخ بالوكالة في جامع «تنكز»، واشتهر بإمامة جامع التوبة والتدريس فيه، وخطب في جوامع أشهرها: جامع الشمسية، وانتقل منه إلى جامع العثمان المعروف بجامع الكويتي، وخطب في جامع السِّبَاهِيّة.

كما درّس رحمه الله في عدة مدارس كمدرسة الجمعية الغرّاء ومدرسة سعادة الأبناء، ومدرسة أسعد عبدالله، والثانوية الشرعية في الميدان، وفي دائرة الإفتاء العام.

مؤلفاته

للشيخ رحمه الله العديد من المؤلفات أشهرها:

«من وحي المنبر، وهو مجموعة من خطب منبرية، قبسات هادفات، الحبّ بين العبد والرب، الأمانة والأمناء، روائع من الأدب العربي» وغيرها.

هذا ومع اهتمام الشيخ بالجانب الديني والإيماني وانغماسه في التدريس والإرشاد غير أنه لم تغب قضايا الأمة الإسلامية عن باله، و بخاصة قضية الأقصى السليب ومسجده المبارك، فإنك تجد هذا متجسدًا في خطبه ودروسه رحمه الله.

الخطيب المفوه

تأخر خطيب جامع تنكز يومًا عن خطبته، فطلب المؤذن من الشيخ أحمد أن يخطب بدلًا عن الشيخ، وبينما كان الشيخ أحمد جالسًا على المنبر إذا بالشيخ عبدالجليل يدخل من الباب، فأراد الشيخ أحمد أن ينزل، فأشار الشيخ أن اجلس مكانك، فلما انتهى المؤذن خطب الشيخ أحمد ووفّق، وكان حافظًا لكتاب الله، وبعد الصلاة ذهب الشيخ أحمد ليسلم على خطيب المسجد فبادره الشيخ بتقبيله بين عينيه ودعا له بالخير والتوفيق، وأخبر بعد ذلك الشيخ عليًا الدقر عن تفوّق تلميذه، وسُرّ لهذا.

أقوال العلماء فيه

قال فيه شيخه شيخ الشافعية في دمشق الشيخ صالح العقّاد - وكان يدعى بالشافعي الصغير رحمه الله-: «هذا خطيب العلماء وعالم الخطباء».

وفاته

توفي رحمة الله عليه في دمشق صباح يوم الأحد الواقع في الأول من شعبان ١٤٢١هـ الموافق لـ٢٩ تشرين الأول عام ٢٠٠٠م وشيّع بعد صلاة العصر في اليوم نفسه، بعد أن صلى عليه الشيخ العلامة أديب الكلاس رحمه الله في الجامع الأموي بدمشق، ووري الثرى في مقبرة الدحداح بجوار شيخه الشيخ أبي الخير الميداني والشيخ محمد الهاشمي وغيرهما من أكابر علماء الشام رحمهم الله جميعًا، وقد ضمت هذه المقبرة قبورًا لصحابة أجلاء وتابعين وممن جاء بعدهم ممن سار على هديهم واستنّ بسنتهم، رحم الله الجميع وأسكنهم فسيح جناته.

فتاوى لجنة الفتوى في وزارة الأوقاف الكويتية

إعداد: التحرير

لاشك أن التجدد ومسايرة العصر من خصائص الرسالة الإسلامية الخالدة والصالحة لكل زمان ومكان، وهو لازم من لوازمها، وضمان لبقاء قدرتها على التكيف مع متغيرات الزمان والمكان، والاستجابة لمتطلبات المسيرة الإنسانية المتواصلة وحركة الحياة المستمرة في كل عهودها ومجتمعاتها ومعطياتها المختلفة بمعين لا ينضب وعطاء لا يتوقف، ومن مقتضيات الفقه لتحقيق تلك المقاصد عدم الجمود عند موقف واحد دائم في الفتوى أو التعليم أو التأليف والتقنين، بل ينبغي مراعاة مقاصد الشريعة الكلية وأهدافها العامة عند الحكم في الأمور الجزئية الخاصة.

٢٧/٥/ع/٨٧ التعامل مع السوق السوداء

رقم الفتوى (١١٦٧)

أنا أعمل في الكويت وأرسل إلى عائلتي في كينيا دولارات أميركية، ويقومون بصرفها إلى العملة المحلية في كينيا عند أشخاص وليس في البنك (يعني في السوق السوداء)، حيث إن السعر في السوق السوداء أعلى من البنك، فهل هذا حرام؟

الأصل في المعاملات الحل إذا كانت عن تراض، ولا يمنع من الاتجار بالعملة بشرطه (أي بالتقابض الفوري عند الاتفاق على البيع وتحديد السعر الحال) مع نهي الحاكم عنها، إلا إذا تحقق ضرر عام، والله أعلم.

٤٥/٤/ع/٨٧ تعيين المبيع وإمكانية قبضه

رقم الفتوى (١١٦٨)

تعقد البنوك الإسلامية وغيرها صفقات تجارية بواسطة المصارف والبنوك الأجنبية في أوروبا وأميركا وغيرها على النحو التالي:

تقوم المصارف الأميركية بالواسطة في شراء صفقات كبيرة من الأسمنت أو الحديد أو النفط أو أي بضائع أخرى عدا الذهب والفضة، وكذلك تقوم بالتوسط بين البائع والمشتري فتعقد الصفقات على النحو الآتي:

تعلن تلك البنوك الأجنبية في البنوك الإسلامية وغيرها عن وجود بائع لصفقة ما، بسعر معين نقدًا وفي الوقت نفسه تعلن عن وجود المشتري لتلك الصفقة بالأجل بسعر أعلى من سعر الشراء لمدد مختلفة، وتدخل البنوك الكبيرة الوسيطة ضامنة للبيع المؤجل بحيث تضمن أن ثمن الصفقة يدفع في وقته، ولولا ضمان تلك البنوك لما عقدت الصفقات لأن البائع لا يعرف المشتري إلا عن طريق تلك البنوك ولا يعلم مدى قدرته على السداد أو مدى التزامه بالسداد في وقته، فتدخل تلك البنوك الوسيطة ضامنة للسداد في وقته وهي كفيلة بذلك لقاء أجر تأخذه من المشتري... فما هو الحكم بارك الله فيكم في مثل هذه الصفقات وهل تجوز شرعًا؟

وكان نص فتوى اللجنة في ذلك كما يلي:

إن هذه الصفقات عبارة عن وكالة بالشراء لشخص ثم البيع لصالح ذلك الشخص إلى طرف ثالث بأجر على هذه الوكالة، وهذا جائز لأن الوكالة بأجر معلوم جائز شرعًا سواء أكانت الوكالة بالبيع أم بالشراء أم بهما معًا.

وأما بالنسبة للطرف الثالث وهو المشتري، إذا حصل على كفالة البنك له لقاء أجر منه يدفعه إلى الكفيل فإن هذا لا يجوز، وهذا عقد كفالة مستقل عن عقد الوكالة، ولا أثر له على صحة الوكالة بأجر، ولابد من مراعاة القواعد الشرعية في هذه الوكالة وأهمها:

١. ألا يبيع هذه العين التي هو موكل بشرائها إلا بعد أن يشتريها فعلا للموكل.

٢. ألا يكون موضوع التعامل محرمًا.

٣. لابد من تحاشي تداخل الضمان أي ضمان البائع وضمان المشتري، وذلك بالقبض الفعلي قبل إعادة بيعه، والقبض في كل شيء بحسبه لأنه لم يرد عن الشرع تحديد للقبض فيرجع فيه إلى العرف، ويعتبر مما ينوب عن القبض مرور فاصل زمني بين عملية الشراء للموكل وعملية البيع عنه، وهذا ما يحصل في هذه الصفقات لدى البنوك الإسلامية بإرسال تلكس بتمام الشراء ثم تلكس آخر بتمام البيع.

٤. ألا يكون المشتري في العقد الثاني هو البائع في العقد الأول لئلا يكون ذلك من بيع العينة المحرمة.

● **ورأت اللجنة أن يضاف إلى هذه الفتوى ما يلي:**

وهذا في بيع السلع الموجودة لدى البائع أو في مخازن عمومية يتم فيها تعيين السلع المبيعة بوسيلة تزيل الجهالة، علمًا بأنه يغني عن القبض التمكين منه بأي وسيلة متعارف عليها كإعطاء سند التخزين أو وثائق الشحن...إلخ. والله أعلم.

١/٣٣/ع/٨٧ زيادة الأسعار إرضاء للمقاولين

رقم الفتوى(١١٦٩)

أنا مكلف بإدارة شركة من شركة المقاولات، ونحن نضطر تحت وقع الظروف والواقع إلى دفع رشاوى، وحالاتها كالتالي:

نتيجة لصعوبة الأسواق والأسعار بسبب فتح الدولة الباب لكثير من المقاولين للعمل، ما أدى إلى تنافس شديد بينهم، وإلى الاتفاق بين بعضهم داخليًا على أساس أن واحدًا منهم يأخذ المشروع ويضع سعرًا يتضمن حصة كل مقاول على ضمان أن يدخلوا المناقصة ويرفعوا أسعارهم أكثر منه ليتسنى له الفوز بها.

● وأجابت اللجنة عن الصورة وهي الاتفاق بين المقاولين على سعر معيّن ثم يقتسمون الأرباح الناتجة عن هذا السعر فيما بينهم بما يلي:

إن هذه الصورة محرمة لأنها من قبيل النجش المنهي عنه، وهو تقديم أسعار غير واقعية بقصد التوريط في الدخول في الصفقة أو التنفير منها، وفي هذا تعاون على الإثم والعدوان وأكل لأموال الناس بالباطل.. والله اعلم.

١/٦/ع/٨٧ أرباح أسهم الجمعيات التعاونية

رقم الفتوى (١١٧٠)

بالنسبة للأرباح السنوية للجمعيات التعاونية فأنا مساهم بإحدى الجمعيات التعاونية وأسأل عن هذه الأرباح مع العلم أنها تنقسم إلى قسمين:

الأول: عائد المشتريات وهو نسبة معينة على مشترياتك ١٠٪ مثلا.

الثاني: فائدة الأسهم وتكون نسبة معينة على عدد أسهمك.

فما حكم هذه الأرباح في حالة وضع مبالغ الجمعية في بنك إسلامي؟

وما حكمها في حالة وضعها في بنك تجاري ربوي على شكل حسابات جارية؟

وقد اطلعت اللجنة على النظام الأساسي لجمعية ضاحية عبدالله السالم، وأجابت بما يلي:

أولا: عائد المشتريات الذي تعطيه الجمعية بنسبة معينة على ما يشتريه المساهم جائز لأنه يعدّ من قبيل التشجيع والمكافأة على الشراء من الجمعية.

الثاني: أما أرباح الأسهم التي تعود على المساهم بحسب عدد أسهمه فهي جائزة إذا كانت هذه الأسهم تستثمر استثمارًا مشروعًا، كوضعها في بنك ملتزم بأحكام الشريعة الإسلامية، أما إذا وضعت في بنك تجاري ربوي على شكل حسابات جارية بدون فائدة فجائزة، ولكن ينبغي عدم وضعها في هذه البنوك الربوية لأن فيها دعمًا لهذه البنوك الربوية.. والله أعلم.

٤/٦٩/ع/٨٧ تسجيل مشتريات الجمعية على رقم أحد المساهمين

رقم الفتوى (١١٧١)

س١/ هل يجوز لي إذا لم أكن مشتركًا (مساهمًا) في جمعية تعاونية أن أضع أرباح مشترياتي لشخص آخر بأن أقول لـ «كاشير» رقم صندوقي هو كذا، مع العلم بأنه ليس لي صندوق؟

● وأجابت اللجنة بما يلي: لا يجوز تسجيل مشتريات شخص آخر باسم مشترك (مساهم) لم يشتر هذه الأشياء بهدف إضافة أرباحها إلى ذلك المشترك لأن هذه الأرباح عبارة عن جوائز مخصصة للمساهمين لتشجيعهم على الشراء من الجمعية، ولا يكون حق التصرف فيها إلا بعد تمام تخصيصها لهم بالشروط المرسومة، وهذا العمل من قبيل التزوير المحرم شرعًا.

س٢/ هل يجوز أخذ الفائدة على الأسهم في الجمعيات التعاونية؟

أجابت اللجنة بما يلي:

إن ما جاء في السؤال وفي نص أنظمة الجمعيات التعاونية باسم الفائدة على الأسهم ليس من قبيل الفوائد الربوية المحرمة، وإنما هو عوائد الأسهم ونوع من الأرباح وقد سبق للجنة أن أجابت عن سؤال أرباح الجمعيات (في فتوى سابقة) بما يلي: بالنسبة لما يوزع على المساهمين وهو ٧٪ ليس من قبيل الربا وإنما هو جزء مقطوع من الربح يوزع على أصحاب الأسهم.

كما رأت اللجنة أنه يجب ألا يسمى هذا فائدة لئلا يلتبس على الناس أن هذا من قبيل الربا.

٢/١٣/ع/٨٧ الأرباح بنسبة ثابتة من قيمة أسهم الجمعيات

رقم الفتوى (١١٧٢)

أرجو إفتائي عن مدى جواز أخذ الفائدة على أموال الأسهم في الجمعيات التعاونية الاستهلاكية والتي منها قانون الجمعيات التعاونية المعمول به حاليا (وتقدر الفائدة وهي ثابتة بقيمة ٧٪ من قيمة الأسهم) علمًا بأن كثيرًا من المساهمين نقلوا أموالهم إلى الجمعيات لاستفادتهم من الفائدة هذه.

وبعد أن اطلعت اللجنة على إجابة سابقة رأت أنها تصلح أن تكون جوابًا عن الاستفتاء المعروض عليها وهذا نصّ الإجابة:

إن ما جاء في السؤال وفي بعض أنظمة الجمعيات التعاونية باسم الفائدة على الأسهم ليس من قبيل الفوائد الربوية المحرمة، وإنما هو عوائد الأسهم، ونوع من الأرباح، وقد سبق للجنة أن أجابت عن سؤال سابق بشأن أرباح الجمعيات بما يلي: إنه بالنسبة لما يوزع على المساهمين وهو ٧٪ ليس من قبيل الربا وإنما هو جزء مقطوع من الربح يوزع على أصحاب الأسهم، كما رأت اللجنة أنه يجب ألا يسمى هذا فائدة لئلا يلتبس على الناس أن هذا من قبيل الربا. والله أعلم.

إعداد: خالد خلاوي

لتكن ابتسامتك عنوان تميزك

في مجال العلاقات الاجتماعية ربما يتكلف البعض الابتسامة كأداة تعبيرية للمجاملة في بعض المواقف، ولكن هذه الابتسامة الجافة ليس لها تأثير يذكر ولا تحقق هدفها غالبًا، فالابتسامة التي تخرج من القلب تصل الى القلب، وتكون سمة مميزة لصاحبها يقدمها بلا تصنع ولا تكلف لكل من يلقاه، إنها ابتسامة صاحب الوجه البشوش دائمًا، يقول رسول الله ﷺ: «إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم، فليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق» (رواه مسلم). وقال الإمام ابن عيينة: البشاشة مصيدة المودة، والبر شيء هين، وجه طليق وكلام لين.

ويقول ابن القيم في أهمية البشاشة في حسن العلاقة مع الناس: إن الناس ينفرون من الكثيف ولو بلغ في الدين ما بلغ، ولله ما يجلب اللطف والظرف من القلوب فليس الثقلاء بخواص الأولياء، وما ثقل أحد على قلوب الصادقين المخلصين إلا من آفة هناك، وإلا فهذه الطريق تكسو العبد حلاوة ولطافة وظرفًا، فترى الصادق فيها من أحب الناس وألطفهم وقد زالت عنه ثقالة النفس وكدورة الطبع.

وفي المعنى نفسه يقول الأستاذ محمد قطب: لا يكفي المال وحدة لتأليف القلوب، ولا تكفي التنظيمات الاقتصادية والأوضاع المادية، لابد أن يشملها ويغلفها ذلك الروح الشفيف، المستمد من روح الله، ألا وهو الحب، الحب الذي يطلق البسمة من القلوب فينشرح لها الصدر وتنفرج القسمات فيلقى الإنسان أخاه بوجه طليق.

لقد جعل الإسلام الابتسامة إحدى السمات البارزة لشخصية المسلم، فهو صاحب وجه طلق يعامل الناس بخلق حسن، بل إذا لم يكن لديه ما يتصدق به فما أقل أن يتصدق بابتسامة.. قال رسول الله ﷺ: «تبسمك في وجه أخيك صدقة» (رواه البخاري).

ولكن لماذا جعلت الابتسامة صدقة؟

يقول الباحث في الإعجاز العلمي للقرآن والسنة عبدالدائم كحيل في الإجابة عن هذا السؤال: قام علماء بدراسة تأثير الابتسامة على الآخرين، فوجدوا أن الابتسامة تحمل معلومات قوية تستطيع التأثير على العقل الباطن للإنسان! لقد وجدوا أن لكل إنسان ابتسامته الخاصة التي لا يشاركه فيها أحد، وأن كل ابتسامة تحمل تأثيرات مختلفة أيضًا، وعندما قاموا بتصوير هذه الابتسامات وعرضها بشكل بطيء وجدوا حركات محددة للوجه ترافق الابتسامة، وأن الإنسان نفسه قد يكون له أكثر من نوع من الابتسامة، وذلك حسب الحالة النفسية وحسب الحديث الذي يتحدث به والأشخاص الذين أمامه.

ومن النتائج المهمة لمثل هذه الأبحاث أن العلماء يتحدثون عن عطاء يمكن أن تقدمه للآخرين من خلال الابتسامة، فالابتسامة تفوق العطاء المادي لأسباب عدة:

١- يمكنك من خلال الابتسامة أن تدخل السرور على قلوب الآخرين، وهذا نوع من أنواع العطاء بل قد يكون أهمها؛ لأن الدراسات بينت أن حاجة الإنسان للسرور والفرح ربما تكون أهم من حاجته أحيانًا للطعام والشراب، وأن السرور يعالج كثيرًا من الأمراض على رأسها اضطرابات القلب.

٢- من خلال الابتسامة يمكنك أن توصل المعلومة بسهولة للآخرين؛ لأن الكلمات المحملة بابتسامة يكون لها تأثير أكبر على الدماغ، حيث بينت أجهزة المسح بالرنين المغناطيسي الوظيفي أن تأثير العبارة يختلف كثيرًا إذا كانت محملة بابتسامة، مع أنها العبارة ذاتها، إلا أن المناطق التي تثيرها في الدماغ تختلف حسب نوع الابتسامة التي ترافق هذه المعلومة أو هذه العبارة.

٣- بابتسامة لطيفة يمكنك أن تبعد جو التوتر الذي يخيم على موقف ما، وهذا ما لا يستطيع المال فعله، وهنا نجد أن الابتسامة أهم من المال، ولذلك فإن اقل ما تقدمه للآخرين هو صدقة الابتسامة.

٤- الابتسامة والشفاء، لاحظ كثير من الأطباء تأثير الابتسامة في الشفاء، وبالتالي بدأ بعض الباحثين بالتصريح بأن ابتسامة الطبيب تعتبر جزءًا من العلاج! إذن عندما تقدم ابتسامة لصديقك أو زوجتك أو جارك إنما تقدم له وصفة مجانية للشفاء من دون أن تشعر، وهذا نوع من أنواع العطاء أ. هـ.

وبالإضافة إلى كل ذلك فإن الابتسامة تدخل في باب أحب الأعمال إلى الله، لأنها من وسائل إدخال السرور على المسلم، وصدق رسولنا الكريم ﷺ إذ يقول: «وأحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم أو تكشف عنه كربة» (رواه أحمد).

صور من حياة المتميزين

مواقف من تبسم النبي ﷺ

- يقول فضالة بن عمير الليثي: قدمت على النبي ﷺ عام الفتح وهو يطوف بالكعبة، وكنت أريد قتله، ولما اقتربت من الرسول ﷺ قال لي: «أفضالة؟»، قلت: نعم فضالة يا رسول الله. قال: «ماذا كنت تحدث نفسك؟»، قلت: لا شيء، كنت أذكر الله. قال: فضحك النبي ﷺ ثم قال لي: «استغفر الله»، ثم وضع يده على صدري، فوالله ما رفعها حتى ما من خلق الله شيء أحب إلي منه.

- عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن المسلمين بينما هم في صلاة الفجر يوم الاثنين وأبوبكر يصلي لهم لم يفاجئهم إلا رسول الله ﷺ قد كشف ستر حجرة عائشة، رضي الله عنها، فنظر إليهم وهم في صفوف الصلاة ثم تبسم يضحك. (رواه البخاري).

- عن صهيب رضي الله عنه قال: قدمت على النبي ﷺ وبين يديه خبز وتمر، فقال النبي ﷺ: «ادن فكل»، فأخذت آكل من التمر، فقال النبي ﷺ: «تأكل تمرًا وبك رمد»، قال: فقلت: إني أمضغ من ناحية أخرى. فتبسم رسول ﷺ. (رواه ابن ماجة).

- عن سماك بن حرب قال: قلت لجابر بن سمرة: أكنت تجالس رسول الله ﷺ؟ قال: نعم كثيرًا، كان لا يقوم من مصلاه الذي يصلي فيه الصبح حتى تطلع الشمس، فإذا طلعت قام، وكانوا يتحدثون فيأخذون في أمر الجاهلية فيضحكون ويبتسم. (رواه مسلم).

- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه رداء نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجذبه جذبة شديدة، قال أنس: فنظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ قد أثرت به حاشية الرداء من شدة جذبته ثم قال: مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت فضحك ثم أمر له بعطاء. (رواه البخاري).

- وعن جرير بن عبدالله رضي الله عنه قال: «ما حجبني النبي ﷺ ولا رآني إلا تبسم في وجهي» (رواه البخاري).

- ويقول أبوالدرداء رضي الله عنه: «ما رأيت أو سمعت رسول الله ﷺ يحدث حديثًا إلا تبسم» (رواه أحمد).

كلمات في التميز

الابتسامة

حسن الخلق: بسط الوجه وبذل المعروف وكف الأذى.

عبدالله بن المبارك

انثر الابتسامات يمينًا وشمالًا على طول الطريق، فإنك لن تعود للسير فيه ثانية.

أحمد أمين

الرجل الذي لا يعرف كيف يبتسم لا ينبغي أن يفتح متجرا!

مثل صيني

الابتسامة مفتاح السعادة، بل هي الطلسم الذي يحل المشاكل ويساعد على اجتياز الصعاب والتغلب على العقبات.

حكيم

الناجح يبتسم ولا يقطب، عاداته كريمة منتقاة، إذا غضب فسرعان ما يعود إلى الرضا والصفح.

أنور الجندي

ابتسامة تذيب الجليد.. وتنشر الارتياح.. وتبلسم الجراح: إنها مفتاح العلاقات الإنسانية الصافية.

فولتير

جميل أن تبدأ الصداقة بابتسامة.. والأجمل أن تنتهي بابتسامة.

أوسكار وايلد

أن تشق طريقًا بالابتسامة خير من أن تشقه بالسيف.

شكسبير

إعداد: هالة محمد

طرائق التدريس القديمة أفضل

أظهرت دراستان نشرتا في مجلة «ساينس» العلمية أن طريقة التدريس القديمة عن طريق الحفظ والتسميع أفضل لتثبيت المعرفة، كما أوضحت أن الأطفال والطلبة الذين يكتبون يتعلمون افضل من الذين يكتبون على الحاسوب، وبالنسبة للدراسة الأولى يعتقد الباحثون الذين أعدوها أن قراءة الحقائق بعد وقت قصير من التعلم أفضل من الوسائل التعليمية الحديثة المعتمدة في التعليم، وأشارت الى ان العديد من المعلمين في الوقت الحالي يعتمدون اعتمادًا كبيرًا على تقنيات التعليم مثل رسم الخرائط لمساعدة الطلاب على ترسيخ النصوص التي يقرأونها، واثبتت التجارب أن هذا الأسلوب أقل فعالية من اختبار قراءة ثابت، كما أظهرت دراسة أخرى أن الأطفال الذين يكتبون بأيديهم يتعلمون افضل من الذين يكتبون على الحاسوب، وأن عملية وضع القلم على الورق والقراءة من كتاب أفضل من استخدام لوحة المفاتيح وشاشة الكمبيوتر، وأوضحت الدراسة أن القراءة والكتابة تنطويان على عدد من الحواس، وعند الكتابة باليد يتلقى الدماغ ردود فعل تكون أقوى من تلك التي يتلقاها عند اللمس والكتابة على لوحة المفاتيح وأن أجزاء مختلفة من الدماغ يتم تحضيرها عن طريق القراءة والكتابة، وأن الكتابة باليد تأخذ المزيد من الجهد العقلي وهذا يساعد على عملية التعلم، وتعقيبًا على هذه الدراسة نورد قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ن والقلم وما يسطرون﴾.

الخوف يغير المخ

أكدت دراسة هولندية أن تكرار المواقف الواقعية التي يتعرض فيها الجنود للخوف يغير المخ لدى هؤلاء الجنود، وجاء في الدراسة التي أعدها باحثون في جامعة «راد بود» بمدينة «نيميغن» الهولندية أن هذا التغير يتوقف بشكل أساسي على درجة الخوف التي يشعر بها كل جندي على حدة، وقال الباحثون: إن ذلك يعني أن شعور الجندي بانفجار قنبلة بالقرب منه ليس هو الفيصل في هذا الأمر، بل مدى إحساسه بأن ذلك يشكل خطرًا حقيقيًا عليه، وهذا فقط هو الذي يؤثر في تغير المخ والجهاز المسؤول عن التعامل مع الضغط والإرهاق العصبي للإنسان.

كويكب يبعد عن الأرض ٣٠٠ مليون كلم

بعد رحلة استمرت سبع سنوات عاد المسبار الفضائي الياباني «هايابوسا» أي (الصقر) الى الأرض، قام خلالها بزيارة كويكب «إيتو كاوا» وقد هبطت كبسولة المسبار في صحراء استراليا، وقد أعلن ممثلو وكالة الفضاء اليابانية في شهر نوفمبر الماضي أن بعض الحبيبات التي تم التقاطها تعود بالفعل إلى هذا الكويكب الذي يبعد عن الأرض ٣٠٠ مليون كلم.

الجزيرة العربية وأفريقيا أصل البشرية المعاصرة

قال باحثون دوليون بعد اكتشافهم أدوات قديمة مثل الفأس والمخرز في دولة الإمارات شبيهة بتلك التي استخدمها الإنسان القديم في شرق إفريقيا، إن الإنسان المعاصر خرج من إفريقيا أول مرة قبل ٤٠ ألف سنة مما كان يعتقد، وعثر الباحثون على أدوات تعود إلى ما قبل ١٠٠ ألف سنة على الأقل في الصحراء العربية، قد تكون دليلًا على أول خطوة للإنسان للانتقال حول العالم، وكانت دراسات سابقة اعتقدت بأن ذلك حصل قبل ٦٠ ألف سنة.

وتوقع العلماء بأن يكون الإنسان وصل إلى شبة الجزيرة العربية مباشرة من افريقيا بدلًا من المرور في النيل أو الشرق الأدنى كما كان يعتقد سابقًا، وقال المسؤول عن الدراسة في جامعة لندن سيمون ارميتاج: إن الإنسان المعاصر ظهر في افريقيا قبل ٢٠٠ ألف سنة، وسكن تدريجيًا بقية العالم، وينبغي أن تحث النتائج التي توصلنا إليها على إعادة تقييم الطريقة التي أصبح فيها كإنسان معاصر مخلوقات عالمية.

وأشار أرميتاج وزملاؤه إلى أن شبه الجزيرة العربية كانت أكثر رطوبة قبل ١٢٥ ألف سنة، مع وجود كميات أكبر من النباتات وشبكة من الأنهار والبحيرات، وهذه البيئة قد تكون مكنت الإنسان المعاصر من السفر إلى وعبر الجزيرة العربية وبعدها إلى الهلال الخصيب وهي المنطقة التي تضم بلاد ما بين النهرين وبلاد الشام.

مرصد ضخم في ثلوج القطب الجنوبي

تتويجًا لعقد كامل من التخطيط والابتكار والاختبارات أصبحت البشرية تملك المرصد الأضخم في العالم ويدعى «أيس كيوب» المبني عميقًا تحت ثلوج القطب الجنوبي ويعمل على النيوترين للمرة الأولى في التاريخ، فقد تم قبيل نهاية عام ٢٠١٠م الماضي تركيب السلسلة الأخيرة من المجسات البصرية في مرصد المكعب الجليدي، وهو عبارة عن تلسكوب قوي مصمم للعمل في الجليد، ويشمل كاشف المرصد الآن ٥١٦٠ مجسًا بصريًا ضمن ٨٦ سلسلة على عمق كيلومترين تحت محطة «أمندسون سكوت» التابعة لمؤسسة العلوم القومية في القطب الجنوبي، ويتيح المرصد من موقعه المميز هذا في نهاية العالم الفرصة لوسائل خلاقة في دراسة خصائص الجسيمات الأساسية التي تنشأ لدى بعض الظواهر المثيرة في هذا العالم، وتقوم المجسات

البصرية الأكثر تطورًا لهذا المرصد والتي يتم زرعها في الثلوج الأكثر بقاء على سطح الأرض بتسجيل الاصطدامات النادرة بين جزيئات الثلوج والنيوترونات وتأتي بعض النيوترونات من الشمس بينما يأتي البعض الآخر من الاشعاعات الكونية التي تتفاعل مع جو الأرض، وبعض المصادر القطبية الدراماتيكية كالنجوم المتفجرة في درب التبانة والمجرات البعيدة.

اختبار جديد للتحولات الجينية لدى الأبوين

قال باحثون اميركيون ان اختبارا جديدًا للتحورات الجينية لدى الأبوين ربما يساعد في الحيلولة دون مجيء مواليد بأمراض وراثية قاتلة.

ويمكن للاختبار- وهو من بنات أفكار رئيس مجلس ادارة شركة للتكنولوجيا الحيوية أصيبت ابنته بمرض جيني قاتل لا شفاء منه- أن يرصد أكثر من ٥٠٠ مرض جيني وراثي ينتقل من جيل إلى آخر قبل أن يحدث الحمل.

وبالمضي قدمًا في الاختبار وجد الباحثون أن الناس ربما يكون لديهم في المتوسط بين اثنين الى ثلاثة تحورات جينية وراثية، ويمكن لسوء الحظ أن ينقلوا واحدًا من هذه الأمراض إلى ابنائهم.

من هنا وهناك

● أظهر باحثون في ألمانيا أن الدماغ يعمل بشكل أفضل خلال ساعات النوم في حفظ المعلومات منه خلال ساعات اليقظة.

● حققت باحثة إيطالية في الولايات المتحدة الأميركية إنجازًا مهمًا في الحرب على النسيان إذ اكتشفت بروتينًا جديدًا يحفز الذاكرة من خلال بناء جسور بين الخلايا العصبية، ويحمل البروتين اسم «أي جي إف ٤٢».

● ينتظر أن تطلق شركة جوجل الطبعة الجديدة لنظام استغلال الهواتف الذكية والألواح الالكترونية التفاعلية في الشهر المقبل.

● توصلت رابطة النباتيين الألمان إلى إمكانية استخدام الصويا والحبوب الزراعية كبدائل للنظم الغذائية التي تعتمد على اللحم، ويمكن لتلك الحبوب أن يكون لها طعم اللحم ولها نسيج مشابه.

● قال الطبيب النفسي التشيكي «مارتن أوباترني» إن الكمبيوتر هو الأسوأ بالنسبة للطفل من التلفزيون لأنه يمنحه الفرصة لاختيار اللعبة التي يريدها ثم لعب المزيد من اللعب الأخرى، وبالتالي فإن مقدرته على التوقف تكون أسوأ من التوقف على مشاهدة التلفزيون.

● قال باحثون في إدارة الطيران والفضاء الأميركية «ناسا»: ان عام ٢٠١٠م الماضي كان أكثر الأعوام على الإطلاق من حيث ارتفاع درجة الحرارة على كوكب الأرض.

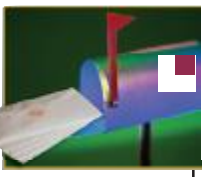

إعداد: التحرير

عظمة الخط العربي

الخط العربي ليس مجرد حروف، بل هو علم وفن، وتقول بعض المصادر: إن فن الخط العربي هبة من الله، والخط العربي هو الفن الوحيد الذي تنفرد به الأمة العربية عن غيرها من الأمم، ويتفهم الغرب قيمة هذا الفن ويقدره أكثر منا، يقول بيكاسو، رائد الفن التجريدي، عن الخط العربي: «إن أقصى نقطة أردت الوصول إليها في فن الرسم سبقني إليها الخط العربي منذ أمد بعيد»، ويقول المؤرخ الإنجليزي الشهير أرنولد تونبي: «لقد انطلق الخط العربي الذي كتب به القرآن غازيًا ومعلمًا مع الجيوش الفاتحة إلى الممالك المجاورة والبعيدة، بل حل محل خطوطهم مثل الإيرانية ولغة الأوردو واللغة التركية».

وقد أولى الإسلام الكتابة عناية وأهمية فائقة، فيقول المولى عز وجل ﴿اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم﴾ (العلق: ٣-٤)، ويقول عز وجل: ﴿ن والقلم وما يسطرون﴾ (القلم: ١)، والحروف العربية هي التي أقسم الله تعالى بها في سور عديدة من القرآن الكريم «الم- المص- الر - كهيعص- طسم- طس- ص- حم- ق- ن» وهذا الفن العريق ارتبط ارتباطًا وثيقًا بالإسلام فأصبح له مكانته في قلوب العرب والمسلمين، وخلال القرون الماضية كان الخط العربي ملتقى حوار بين العلم والفن، ولعب الخط العربي دورًا مهما في تحديد العناصر الزخرفية، واستعمل لتزيين المساجد والقصور، والخطوط العربية سميت بأسماء المدن مثل مكة والمدينة والكوفة والبصرة، فيقال الخط المكي وبعده المدني والبصري ثم الكوفي.

والخط العربي في التاريخ له أعلام مثل المعتصمي والبغدادي وابن البواب وسيد إبراهيم.

- ويعد ياقوت المستعصمي من أشهر الخطاطين في تاريخ الحضارة الإسلامية، وقد لقي تشجيعًا ورعاية أسهمت في نبوغه من الخليفة العباسي الأخير المستعصم.
- ويعد هاشم محمد البغدادي عميد الخط العربي في بلاد الرافدين، حتى قيل فيه: إنه نابغة الزمان - تاج بغداد وسراجها- خادم القرآن الكريم- أستاذ الجيل- رافع لواء الخط العربي.
- ويعد سيد إبراهيم رائد الخط العربي في العصر الحديث.

نعيم نعيم السلاموني

الجنوب السوداني قصة استعمار

تمثل قضية فصل جنوب السودان عن شماله جزءًا من مؤامرة كبرى حاكها الغرب منذ سنوات عديدة لشرذمة العالم الإسلامي وتقطيع أوصاله، فقد دأب الاحتلال الانجليزي من أول يوم وطئت أقدامهم وادي النيل (مصر والسودان) على الفصل بين شطري البلد الواحد، وإثارة العصبيات القطرية بين القطرين من جهة برفع شعار «مصر للمصريين» و«السودان للسودانيين»، ومن جهة أخرى بالعمل على فصل شمال السودان عن جنوبه.

وعلى الرغم من قيام البريطانيين بتكوين السودان الحديث وتزويده بنظم حديثة في مجالات القانون والاقتصاد والتعليم والخدمة المدنية والبوليس وغيرها، أهملوا في الوقت نفسه جنوب السودان إهمالا كبيرًا بغية تحقيق أهداف معينة أهمها فصل المناطق الجنوبية عن بقية البلاد، وذلك تمهيدًا لضمها إلى ممتلكات التاج البريطاني لإقامة اتحاد افريقي شرقي تحت السيطرة البريطانية.

كما تبنت السياسة البريطانية تجاه الجنوب سياسة خاصة عرفت بـ«سياسة الجنوب» عام ١٩٢٠م، وبيانها أن على حكومة السودان حماية الجنوب من التأثير الإسلامي، وتقترح تلك السياسة أن يوضع في الاعتبار إمكانية اقتطاع الجزء الجنوبي الأسود من الشمال العربي وإلحاقه في النهاية بنظام ما من أنظمة وسط إفريقيا.

وهكذا يتبين بجلاء أن الغرب الاستعماري وعلى رأسه إنجلترا قد خطط من قبل لتقسيم السودان، وعمل جاهدًا على تحقيق ذلك على أرض الواقع، وما هي إلا ساعات ويسفر الصبح عن سودان جديد لا علاقة له بالإسلام والمسلمين، بل ينضم سريعًا إلى التكتل المعادي للإسلام والذي يتمثل في الصهيونية العالمية، ويصبح عينا تتجسس بها إسرائيل على العرب والمسلمين، وخطرًا يهدد الوجود العربي والإسلامي بالمنطقة.

علي شعيب

الكوارث الطبيعية

«الكوارث الطبيعية» .. كثيرًا ما نسمع هذا التعبير يذاع هنا وهناك على ألسنة الناس وفي وسائل الإعلام المختلفة، وخصوصًا في هذا الزمان الذي كثرت فيه هذه الكوارث، ويقول الإنسان: ما لها؟

ها نحن نرى كل سنة، بل كل شهر أحداثًا وكوارث جديدة تضرب الكثير من مناطق العالم بأنواع بلاياها، فتدمر المدن الجميلة والقرى الحصينة، هل القرون الذين عمروا قبلنا قد شهدوا ما نشهده اليوم؟

لابد في هذه الدار من الفتن والكوارث يجدها الإنسان في طريق حياته ليختبر في إيمانه وعقيدته، والفتن والكوارث تصيب المؤمنين والكافرين، وتصيب الطائعين والعصاة، هذه سنة الله سبحانه وتعالى في كونه، يقول القرآن الكريم: ﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب﴾ (الأنفال: ٢٥)، وهذه الفتن منها ما له سبب، أي جزاء على عمل، ومنها ما ليس له سبب، بل تكون اختبارًا من الله لبعض عباده، وأسباب هذه الفتن كثيرة لا تكاد تنحصر تحت عد، فقد وردت في ذلك أحاديث صحيحة تبين بعض هذه الأسباب، ففي سنن الترمذي، قال رسول الله ﷺ: «إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء، قيل ما هن يا رسول الله؟ قال: إذا كان المغنم دولا، والأمانة مغنمًا، والزكاة مغرمًا، وأطاع الرجل زوجته وعق أمه، وبر صديقه وجفا أباه، وارتفعت الأصوات في المساجد، وكان زعيم القوم أرذلهم، وأكرم الرجل مخافة شره، وشربت الخمور، ولبس الحرير، واتخذت القينات والمعازف، ولعن آخر هذه الأمة أولها، فليرتقبوا عند ذلك ريحا حمراء، أو خسفا أو مسخا» (رواه الترمذي)، هذه دلالات على أن الناس إذا فشا فيهم هذا الوباء بأنواعه، كان سببا في ظهور الفتن والكوارث التي هي من جند الله وليست طبيعية، وكذلك إذا أسرف الإنسان في تعامله مع الطبيعة والبيئة فإنه سيجني ثمار ما غرسه، وليستعد لمواجهة عنيفة مع طبيعته، ففي مطلع الالفية الثالثة لاحظ العلماء أن هذه الكوارث في ازدياد مستمر، والسبب الإنسان، لأنه لم يحترم قوانين دينه مع طبيعته وبيئته، إذا كان الإنسان هو السبب في هذه الأخطار والكوارث الخ... فإن القرآن الكريم نزل قبل ألف وأربعمائة عام، يخبر بذلك، يقول القرآن الكريم: ﴿ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون﴾ (الروم: ٤١)، ولو كان للمفسرين أقوال أخرى فإنها تندرج تحت هذا المعنى، كما هو ظاهر الآية. والله أعلم.

محمد عزيز الرحماني

الإرهاب العالمي.. فكر شيطاني

● مقولة الغرب.. بوصف الإسلام بالإرهاب هجمة سياسية حاقدة، لأن العدالة الدولية غائبة، مع تراجع الوعي والقانون، وانتشار الانفلات السياسي والاخلاقي والاجتماعي.

وأمن أي مجتمع ضرورة حياتية، والتطرف والقتل والغلو ضد كل القيم الإنسانية والأخلاقية والدينية.

والإرهاب نما بأفكار صهيونية، والجناة في أي حادث إرهابي أناس ابتعدوا عن تعاليم الأديان السماوية، وكل الأعمال الإرهابية أو التخريبية أعمال غادرة بتفكير إنساني خاطئ.

ولا يوجد دين سماوي يدعو لترويع الآمنين، أو القتل العمد، من هنا فالإرهاب فكر شيطاني، والشيطان ينشد الغدر والقتل، والقتلة لا دين لهم، كما أن عناصر الغدر تمارس الجبن والخسة، ولا تكشف عن وجهها القبيح.

● والاديان السماوية دعت للتسامح، حيث لا بغي ولا ظلم ولا عدوان، إنما دعوة للتعاون والتآلف بين الأمم والشعوب.

وقال تعالى: ﴿يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾ (الحجرات: ١٣).

والإسلام دعا لإقامة العلاقات الإنسانية مع أهل الديانات الأخرى، والتحرك بقيمة الرحمة والمودة، وعدم ايذاء الآخرين، أو الاضرار بهم.

ونادى بحرية العقيدة لأهل الديانات الأخرى، والتسامح الديني في الإسلام لغة حضارية، بعكس ما يتحرك به الغرب من دعاوى مغلوطة ضد الإسلام وابنائه ويتجاهل الغرب أن للإسلام حضارة بناءة استفادت منها أوروبا في عصور الظلام، لانها تميزت بطبيعة إنسانية، والغرب صنع حضارته بتعلمه من حضارة الإسلام.

يحيى السعيد النجار

ينابيع المعرفة

إعداد: التحرير

ربيع الآخر

ربيع الآخر هو الشهر الرابع من شهور السنة الهجرية، سُمّي بهذا الاسم نحو عام ٤١٢م في عهد كلاب بن مُرّة الجد الخامس للرسول ﷺ، وقد جاء في تسمية هذا الشهر روايات كثيرة، من ذلك أن هذا الشهر والشهر السابق له حل وقت تسميتهما في زمن الربيع فلزمتهما التسمية. والعرب تذكر الشهور كلها مجردة إلا شهري ربيع وشهر رمضان.

ومن أهم أحداث هذا الشهر أن صلاة العصر زيدت فيه ركعتين، في السنة الأولى للهجرة. وفيه عام ٩ هـ كانت غزوة طيبيء، وفيه عام ١٦هـ تم فَتْح القدس. واحترقت الكعبة عام ٧٣هـ لما رماها الحجاج بن يوسف بالمنجنيق وهو محاصر لابن الزبير.

احفظ عنّي أربع كلمات

خرج الزُّهري يومًا من عند هشام بن عبدالملك، فقال: ما رأيت كاليوم، ولا سمعت كأربع كلمات تكلم بهنّ رجلٌ عند هشام دخل عليه، فَقال: يا أمير المؤمنين، احفظ عني أربع كلمات فيهنّ صلاح ملكك، واستقامة رعيتك، قال: ما هُنّ؟ قال: «لا تَعدّ عدّة ولا تثقُ مِنْ نفسكَ بإنجازها، ولا يغُرّنّك المُرتقى وإنْ كان سهلًا، إذا كانَ المنحدرُ وعرًا، واعلم أنّ للأعمال جزاء، فاتقِ العواقبَ، وأنّ للأمورِ بغتات، فكُنْ على حَذَر».

(طرائف عربية)

الارتحال في طلب الإسناد سنة

الارتحال في طلب الإسناد سنة مطلوبة في الدين كما قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، هذا إن كان السند موجودًا في بلده، فإن لم يكن موجودًا في بلده فالارتحال إليه فرضٌ كفائي.

قال الإمام يحيى بن معين: «الإسناد العالي قرب من الله ورسوله..». وقيل له في مرض موته: ماذا تشتهي؟ قال: «بيتُ خال وسند عال».

ولله در القائل:

إذا عالمٌ عالي الحديث تسامعوا بـ ... ـه وجاءه القاصي من القوم والداني

وساروا مسير الشمس في جمع علمـ ... ـه فأوطانهم أضحت غير أوطان

يا سامع الأصوات

دعا الفخر الرازي ربه في مرض موته فقال: «اللهم يا سامع الأصوات، ويا مجيب الدعوات، ويا مقيل العثرات، ويا راحم العبرات، ويا قيام المحدثات والممكنات، وأنا كنت حسن الظن بك، عظيم الرجاء في رحمتك، وأنت قلت: «أنا عند ظن عبدي بي»، وأنت قلت: ﴿أمّن يجيب المضطر إذا دعاه﴾، وأنت قلت: ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب﴾، فهب اني ما جئت بشيء، فأنت الغني الكريم، وأنا المحتاج اللئيم».

(وصايا وعظات للحموي ص: ١٧٥).

قرين التوحيد

الواجب على العاقل لزوم التوكل على من تكفّل بالأرزاق؛ إذ التوكل هو نظام الإيمان، وقرين التوحيد، وهو السبب المؤدي إلى نفي الفقر، ووجود الراحة، وما توكّل أحدٌ على الله جل وعلا من صحة قلبه، حتى كان الله جل وعلا بما تضمّن من الكفالة أوثق عنده بما حوته يده؛ إلا لم يَكِلْه الله إلى عباده، وآتاه رزقه من حيث لم يحتسب.

(روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ص: ١٣٨)

أُوصيكم بخمس

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «لا يرجو أَحدُكُم إلا ربّهُ، ولا يَخَافَنّ إلا ذَنبَه، ولا يستحي إذَا سُئِلَ عمّا لا يَعلَم أَنْ يقول: لا أَعْلَم، وإذا لَمْ يَعْلَمْ الشّيء يَتَعَلّمُهُ، واعلموا أَنّ الصّبْرَ مِنَ الإيمانِ بمنزِلَةِ الرّأْسِ مِنَ الجَسَدِ، فإذا قُطِعَ الرّأْسُ ذَهَبَ الجَسَد» (موسوعة أقوال الحكماء).

أوصيكم بخمس

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «لا يرجو أحدُكُم إلا ربّهُ، ولا يَخَافَنّ إلا ذَنبَه، ولا يستحي إذَا سُئِلَ عمّا لا يَعلَم أنْ يقول: لا أعْلَم، وإذا لَمْ يَعْلَمْ الشّيء يَتَعَلّمُهُ، واعلموا أنّ الصّبْرَ مِنَ الإيمان بمنزلَة الرّأس مِنَ الجَسَد، فإذا قُطِعَ الرّأسُ ذَهَبَ الجَسَد»

(موسوعة أقوال الحكماء).

العجائب السبع

١- حدائق بابل المعلقة في العراق، بناها نبوخذ نصّر.

٢- أهرام الجيزة بمصر بناها الفراعنة منذ خمسة آلاف سنة.

٣- مقبرة الملك موسولوس، على شاطئ بحر إيجة، بُنيت سنة ٣٥٣ قبل الميلاد.

٤- تمثال أبولو بجزيرة رودس وقد حطّمه زلزال في سنة ٢٢٤ قبل الميلاد.

٥- معبد ديانا بمدينة أفسوس، وقد استغرق بناؤه مائتين وعشرين عامًا.

٦- تمثال جوبيتر على جبل أولمبوس، وهو مصنوع من العاج، ومكسو بالذهب.

٧- منارة الاسكندرية، ارتفاعها ٥٢٠ قدمًا بناها بطليموس عام ٤٨ قبل الميلاد.

وقد اندثرت كل هذه الأبنية ما عدا أهرام الجيزة.

باب التوفيق

قال شقيق بن إبراهيم البلخي: أُغلِقَ باب التوفيق عن الخلق من ستة أشياء:

- اشتغالهم بالنعمة عن شكرها.
- ورغبتهم في العلم وترك العمل.
- والمسارعة إلى الذَّنب وتأخير التوبة.
- والاغترار بصحبة الصالحين، وترك الاقتداء بأفعالهم.
- وإدبار الدنيا عنهم وهم يتبعونها.
- وإقبال الآخرة عليهم وهم معرضون عنها.

(موسوعة أقوال الحكماء)

ابتسامة.. لاشك في احتمالك المكاره

خطب رجلٌ عظيم الأنف امرأةً فقال لها: قد عرفت أني رجل كريم المعاشرة محتمل المكاره، فقالت: لاشك في احتمالك المكاره مع حملك هذا الأنف أربعين سنة.

قال الشاعر في رجل كبير الأنف:

لك وجه وفيه قطعة أنف
كجدار قد أدعموه ببغلة
وهو كالقبر في المثال ولكن
جعلوا نصبه على غير قبلة

وقال آخر:

لك أنف من أنوف — **أنفت منه الأنوف**
أنت في القدس تصلي — **وهو في البيت يطوف**

(المستطرف للأبشيهي)

جعل ماله كالحجارة

سرق رجلٌ من رجلٍ عشرة آلاف درهم، فسأله رجلٌ عنها، فقال: كنت أجمعها منذ ثلاثين سنة درهمًا على درهم.

فقال له الرجل: كنتَ تحدثُ نفسَكَ أنك تفعل فيها شيئًا من أبواب البر؟

فقال: لا.

قال الرجل: فشيء تتمتع به في الدنيا.

قال: لا.

قال الرجل: فاذهب فخذ حجرًا وزنه عشرة آلاف درهم فاجعله في موضعها، فإنه وتلك سواء.

(الأجوبة المسكتة لابن أبي عون، ت:٣٢٢هـ)

السنن الأربعة والأمهات الست والكتب التسعة

السنن الأربعة هي: سنن النسائي، سنن أبي داود، سنن الترمذي، سنن ابن ماجة.

أما الأمهات الست فهي: صحيح البخاري وصحيح مسلم مع السنن الأربعة. وأما الكتب التسعة فهي: صحيح البخاري وصحيح مسلم والسنن الأربعة وموطأ الإمام مالك ومسند الإمام أحمد ومسند الإمام الدارمي.

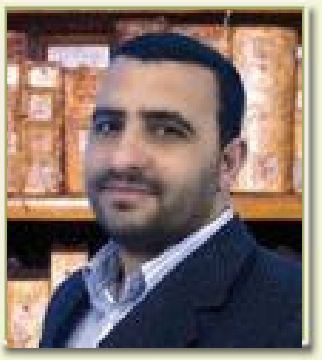

محمود القلعاوي

صناعة الرحيل

الغريب أنه مع اختلاف البشرية على أشياء كثيرة إلّا أنها اتفقت على الرحيل.. كونه لزاماً أن يحدث.. أن يكون.. أن يأتي.. ولكن ما امتاز به سلفنا الصالح استعدادهم لهذه الفكرة.. جهدهم في صناعتها.. حركتهم نحوها.. تفكيرهم فيها.. كان الرحيل نقطة ارتكاز حياتهم.. يصحون وينامون وهم فيها يعيشون ومن أجلها يتحركون. فلا يهنأون في دنياهم، وأنّى لهم ذلك؟! فالرحيل شغلهم الشاغل.

لكن ماذا لو تذكرنا الرحيل؟!

إن ذكر الموت والرحيل عن الدنيا واحدٌ من أنفع أدوية القلوب وأسباب حياتها وصلاحها؛ ولهذا المعنى الرائع الذي يسعى إليه كل محب لآخرته كان النبي ﷺ يُوصي بذكر الموت بقوله: «أكثروا ذكر هادم اللذات» أكثروا ففي الإكثار حياة القلوب وعدم تعلقها بالدنيا والاستعداد كل الاستعداد للآخرة.

وقد سأل رجل عالمًا عن دواء لقسوة القلوب، فأمره بعيادة المرضى، وتشييع الجنائز، ففي هذا قرب من فكرة الرحيل.

ولو ذهبنا لكتاب الإحياء الذي فيه الحياة لوجدنا كلمة دقيقة رائعة الدقة يخاطب الإمام الغزالي نفسه بها: «يا نفس، لو أن طبيبًا منعك من أكلة تحبينها لاشك أنك تمتنعين، أيكون الطبيب أصدق عندك من الله؟» رائع أيها الإمام برائعتك تلك.

ولكنه ليس يأسًا، ولكن لحظة يا سادة قبل أن نفترق.. ليس معنى أن نغرق في الرحيل ونجهد أنفسنا في صناعته بكل ما نملك من أعمال بر وخير وإحسان أن نترك دنيانا يسودها اليأس والتشاؤم.. أن نترك الدنيا بما فيها للظُّلام يظلمون والطغاة يطغون.. كلا وألف كلا.. إن في استعدادنا للرحيل عمارة الآخرة بعمارة الدنيا.. أرأيت كيف أن سلفنا الصالح مع تواصيهم بالموت والاستعداد له فتحوا مشارق الأرض ومغاربها، وسادوا الدنيا بطاعة الله، وجاءهم الموت فكانوا أفرح بقدومه من الأم بقدوم ولدها الغائب.. فوجدنا منهم من يقول وهو على فراش الموت: «غدًا نلقى الأحبة محمدًا وحزبه» والله أعلم.

مشروع رعاية القرآن الكريم بالمساجد

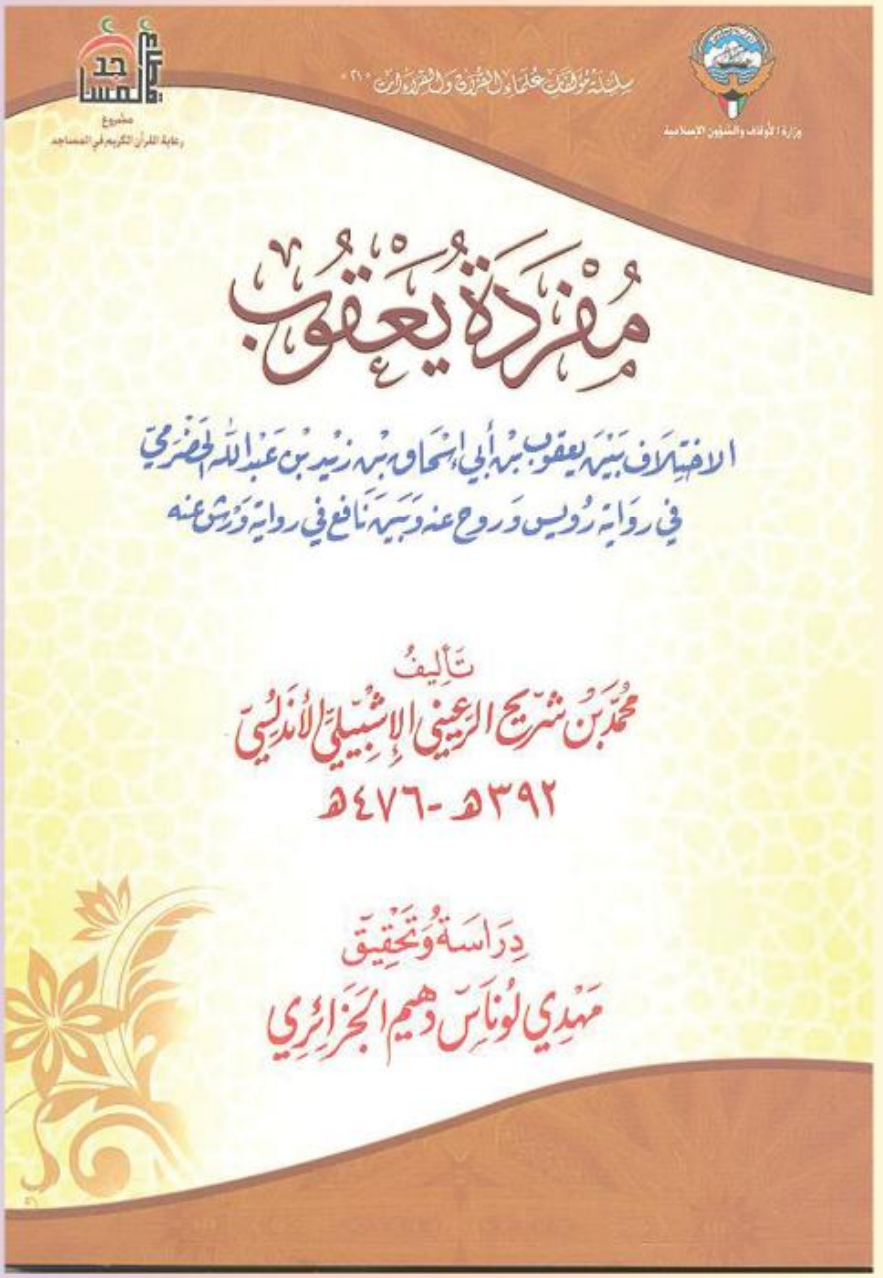

هذا الإصدار القرآني هو مفردة لقراءة يعقوب للإمام محمد بن شريح الرعيني رحمه الله، قام بدراستها وتحقيقها الشيخ مهدي دهيم، وهذه الرسالة مهمة في بابها حيث بينت أوجه الإتفاق والخلاف بين قراءة يعقوب وغيره من القراء، وهي مفيدة للمعتنين بعلم القراءات خصوصاً، ولطلبة العلم عموماً.

دولة الكويت
وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية

وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
إدارة الإعلام الديني

فيديو كليب

أغلى وطن

رائعة من روائعنا المرئية
تلخص سر الانتماء والوطنية
لدرة الخليج .. كويتنا الأبية
أنشودة وطنية في حب الكويت
نهديها لكل عاشق لوطنه

ألحان وأداء
صلاح الهاشم
الطفلة / الثريا

الإشراف العام
صلاح أبا الخيل

الآن.. اطلب نسختك

إدارة الإعلام الديني - مجمع الوزارات
بلوك ١٦ - الدور الأول - وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
تلفون : ٨ / ٢٢٤٨٧٣٢٧ - فاكس: ٢٢٤٨٧٣٢٦

تفضلوا بزيارتنا .. للفوز بجوائزنا
www.nafaess.com